أسباب نعيم القبر

إعــداد

د/ جهاد محمود الأشقـر

كلية الشريعة والقانون

جامعة الأزهر



مكتبة جزيرة الورد

القاهــرة : 4 ميــــدان حليــم خلــف بنـــك فيصــــل

ش 26 يوليو ميدان الأوبرا ت : 0100004046 - 027877574

tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: أسباب نعيم القبر

إعـــــداد: د/ جهاد محمود الأشقـر

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى 2012



مكتبة جزيرة الورد

القاهـرة : 4 ميـــدان حليـم خلـف بنـــك فيصـــل

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين: الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسَرَ به ظهور الأكاسرة، وقصَّر به آمال القياصرة، الذين لم تزل قلوبُهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد بالحق، فأرداهم في الحافرة، فنُقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظُلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والنساء إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في ألوان الوحلِ والتراب، ومن أنسِ العشرةِ إلى وحشةِ الوحدةِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن القبرَ مرحلةٌ تلي الموت، فقال ﷻ:**{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}** [عبس:21].

وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ : بين لنا أن القبر أول منزلة من منازل الآخرة، ومن ينج منه فما بعده أيسر، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:**《إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه أحدٌ فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد》**.

أما بعــــد:

فإن القبر أول منزلة من منازل الآخرة، ومن ينج منه فما بعده أيسر، ومن لم ينج منه فما بعده أصعب، فروى الترمذي وابن ماجه والحاكم عن هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي، حتى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال : إن رسول الله قال:**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه أحدٌ فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد.**

والقبر الذي نراه الآن صامتاً، وهو عبارة عن حجارة وتراب، إنه يتكلم، ترى بم يتكلم؟ روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: دخل

الرسول مصلاه، فرأى ناسًا يكشرون فقال:**إما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى - الموت - فأكثروا من ذكر هادم اللذات - الموت - فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتُك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه، وتختلف أضلاعه.**

وقد يظن كثير من الناس أن الإنسان بالموت يكون قد انتهى كلُ شيء بالنسبة له، وبالتالي فهو لا يدري بأي شيء وهو محمول على الأعناق لوضعه في التراب، بل الأمر على العكس من ذلك تماماً، فالجنازة وهي في طريقها إلى القبر ترى كل من يشاهدها، وتعرف كذلك من صلى عليها، بل وتتكلم وهي سائرة إلى القبر، ترى بم تتكلم؟ إذا كانت الجنازة صالحةً، قالت: قدموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ ويسمع هذا الصوت الذي يخرج من الجنازة كل المخلوقات ما عدا الإنس والجن.

فروى البخاري أن الرسولﷺ قال:**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدموني، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتَها كلُ شيءٍ إلا الثقلين، أو قال: إلا الإنسان، ولو سمع الإنسانُ لصُعِق.**

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: يا ترى سنكون من أي نوع من الجنازات؟ هل الصالحة، فنقول: قدموني، لأننا نفرح بلقاء الله ﷻ، فيفرح الله بلقائنا، أم نكون من الغير الصالحة، فندعو على أنفسنا ونقول: يا ويلها، لأننا نكره لقاء الله ، وبالتالي يكره الله لقائنا.

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**من أحب لقاء الله، أحب الله**

لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه.

فقالت عائشة (رضي الله عنها): إنا لنكره الموت، قال :**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموتُ، بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه.**

فانتبه أخي المسلم، واعمل لهذا اليوم قبل فوات الأوان؛ لأن الندم بعد فوات الأوان لا يفيد، فالرسول نبهنا على العمل والاستعداد لهذا اليوم، فروى أحمد وابن ماجه عن البراء بن عازب قال: بينما نحن مع رسول الله ، إذ أبصر بجماعة، فقال:**علام اجتمع هؤلاء؟**، قيل: على قبر يحفرونه، قال ففزع رسول الله فبدى بين يدي أصحابه مسرعاً، حتى انتهى إلى القبر، فجثي عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، فقال:**أي إخواني: لمثل هذا فأعدوا.**

قال عمر بن عبد العزيز : لو علم أهل العافية ما تضمنت القبور من الأجساد البالية، لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية، خوفاً من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

ومن هذا المنطلق شرعنا بعون الله وتوفيقه في كتابة أسباب النعيم في القبر، حتى يجتهد الإنسان في الدنيا، قبل فوات الأوان، ويعمل للآخرة، كي ينعم في القبر، وينال رضوان الله.

وفي النهاية أدعو الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي:**{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [الشعراء:88، 89].

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ

د. جهاد محمود الأشقر

ميت العامل – أجا – دقهلية

* * *

حب الله ﷻ

أسباب نعيم القبر

حب الله

الحمد لله رب العالمين: هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه، وصدق الله إذ يقول:{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: 3].

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: 26].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا إذا أحب عبداً كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، فروى البخاري أن الله يقول في الحديث القدسي:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الله إذا أحب عبداً من عباده أمر أهل السماء بحبهم لهذا العبد، ثم يضع له المولى القبول في الأرض، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

إننا اليوم على موعد مع أسباب نعيم القبر، ألا وهو: **حب الله** .

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: من الله؟

الله : هذا الاسم الكريم الذي يطلق على الذات المقدسة، التي نؤمن بها، ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا، وإليها مصيرنا.

الله: هو قبلُ كلِ شيء، وآخر كل شيء، وهو وارثُ كلِ شيء، أحاط بعلمه كلَ شيء، ولا يتوارى عنه شيءٌ، ولا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

الله: هو أول من شهد لنفسه بالوحدانية، فقال:{**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**} [آل عمران: 18].

الله: هو الاسم الذي ما تعلق به فقيرٌ إلا أغناه الله.

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به مريضٌ إلا شفاه الله وعفاه.

الله: هو الاسم الذي ما تعلق به ذليلٌ إلا أعزه الله وكفاه.

الله : هو الاسم الذي تقال به العثرات، وتستجاب به الدعوات، وتستدر به الرحمات.

الله : هو الاسم الذي به ولأجله قامت الأرض والسموات.

الله : أعلن عن نفسه فقال:{**اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ**} [البقرة: 255].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{**هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ**

وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 22 - 24].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 1 - 4].

الله: الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، روى مسلم أن الرسول ﷺ قال: إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ.

الله : اسمع معي وهو يقول:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: 26].

ولقد تكرر هذا اللفظ في القرآن تسعمائة وثمانين مرة.

الحقيقة الثانية: لماذا خلقنا الله ؟

إن الله لم يخلق الخلق لحاجة يحتاجها منهم، ولم يخلق الخلق ليستأنس بهم من وحشة، ولم يخلق الخلق ليستكثر بهم من قله، ولم يخلق الخلق ليستعين بهم على عمل عجز عن فعله، ولم يخلق الخلق ليجلب بهم منفعة، أو يدفع بهم مضرة، بل خلق الخلق ليعبدوه وحده، ويشكروه وحده، ويقدسوه وحده، ويعظموه وحده، وليسبحوه وحده.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 56 - 58].

وقال في الحديث القدسي: **يا عبادي: ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستعين بكم على عمل عجزت عن فعله، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولكني خلقتكم كي تعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرة وأصيلاً.**

ولكن للأسف الشديد شذ فريق من الناس وانحرفوا عن عبادة الله ، فاستحقوا عقاب الله في الدنيا والآخرة، واسمع معي إلى ما قاله المولى :

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: 18].

وروي أنه قال في الحديث القدسي: **يا عبادي إني أتممت عليكم نعمتي، وأرسلت إليكم الرسل الكرام لتعرفوا أحكام شريعتي، فلماذا تعرضون عني وأنا الغني الكريم، فوعزتي وجلالي لو أطعتموني لنصرتكم على أعدائكم، ولو استعنتم بي في الشدائد لأعنتكم، ولكنكم عصيتموني، فأعرضت عنكم، فوقعتم في الذل والعذاب المهين.**

الحقيقة الثالثة: إن العباد كلهم لو عبدوا الله عبادة صحيحة، ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً، ولو أن العباد كلهم عصوا الله، ونسوه، وكفروا به، ما خدش ذلك شيئاً من جلاله، ولا نقص ذرة من سلطانه، ولا كف شعاعاً من ضيائه، ولا غضَّ بريقاً من كبريائه، فهو أغنى بحوله وطوله وقوته.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم أن الله يقول في الحديث القدسي:... **يا عبادي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عبادي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.**

وصدق الله إذ يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

الحقيقة الرابعة: إن الشرع الحنيف قد ربط قضية الإيمان بمحبة الله، فالفرد منا لا يؤمن ولا يصح إيمانه، إلا إذا حقق الحب الحقيقي لله.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد أن الرسول قال:**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا.**

أخي المسلم:

اسأل نفسك الآن: هل أنت تحب الله حباً حقيقياً، أم لا؟ فإذا كنت تحب الله ، فما الدليل على هذا الحب؟ هل التزمت بقول الله :**{تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}** [النساء: 13، 14].

وإذا كنت لا تحب الله كما ينبغي، فعليك أن تجتهد وتدعوا الله أن يرزقك محبته.

والفرد منا لا يستطيع أن يتذوق حلاوة الإيمان إلا إذا حقق الحب الحقيقي لله ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ.**

فحب الله فرض عين على كل مسلم؛ لأن العبودية معقودةٌ بها، فقال :**{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ والله لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}** [التوبة: 24].

ولقد مدح القرآن الكريم المؤمنين الذين حققوا الحب الحقيقي لله ، فقال :**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباًّ لله}** [البقرة: 165].

ولقد حقق الصحابة ﷺ الحب الحقيقي لله ، ففضلوا حب الله على الآباء، والأبناء، والإخوة، والعشيرة، فقال :**{لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله**

أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

الحقيقة الخامسة: ما معنى محبة الله ؟

محبة الله هي: أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء، والمراد: أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتجعلها حبساً في مرضاته.

ويمكن أن يقال في تعريف محبة الله: إسلام الوجه لله، والتفاني في طاعته، والبعد عن معصيته، وأن يعتقد الكمال الذاتي لله ، وأن ينسب النعم كلها لله .

وفي هذا يقول المولى :{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 162 - 164].

وهذا سيدنا سليمان ﷺ أحب الله حباً فاق كل شيء، فنراه يترك كل شيء من أجل حب الله ، بل يقوم بذبح الخيل التي شغلته عن صلاة العصر، كما قال بعض المفسرين، فقال :{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ} [ص: 30 - 33].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يحقق الإنسان الحب الحقيقي لله.

إذا أراد المسلم فينا أن يحقق الحب الحقيقي لله، فعليه أن يتبع عدة أمور، إذا التزم بها المسلم حقق في النهاية الحب الحقيقي لله، وهذه الأمور ما يأتي:

أولاً: تحقيق العبودية لله :

إذا أراد المسلم فينا أن يحقق الحب الحقيقي لله فعليه أن يحقق العبودية لله ؛ لأن عبودية الله ليست أمراً على هامش الحياة، بل هي

الأصل الأول الذي من أجله خلق الله الحياة، بل هي الأصل الذي من أجله خلق الله السموات والأرض والجنة والنار، ومن أجل العبادة أنزل الله الكتب، وأرسل جميع الأنبياء والرسل، فقال :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ} [الذاريات: 56، 57].

فالواجب على كل مسلم أن يحقق العبادة الكاملة لله ، وأن يسلم حياته كلها لله ، مصداقاً لقوله :{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 162 - 164].

أما إذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد أن الناس قد اختلفوا تجاه هذا الأمر على النحو التالي:

أولاً: صنف من الناس صرف العبادة لغير الله ، وذلك بتحكيم غير شرع الله ، وحكم القوانين الوضعية، وأعرض عن شرع الله ، وانقاد لأحكام البشر، ممن تتحكم فيهم الأهواء والنزوات والشهوات والرغبات، فقال :{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50].

وقال:{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

هذا الصنف الذي لم يحكم شرع الله لم يحقق العبودية لله ، وحكم الله عليه بالكفر، والفسق، والظلم، فقال :{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44].

وقال:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: 45].

وقال:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: 47].

ثانياً: صنف من الناس صرف العبادة لغير الله في كثير من صورها، فذبح لغير الله ، ونذر لغير الله ، وحلف بغير الله ، واستعان بغير الله ، واستغاث بغير الله ، ولجأ إلى غير الله ، فنجد الكثير من المسلمين يذهبون إلى الأضرحة والقبور؛ ليطلبوا منهم النجاة، أو تفريج الكروبات،

ونسوا هؤلاء قول الله :{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: 62].

فالواجب على كل مسلم أن لا يسأل نبياً ولا ولياً، وأن يسأل الحي الذي لا يموت، فهو بيده الأمر كله، وهو صاحب الضر والنفع، فقال : {وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنعام: 17].

ثالثاً: صنف من الناس صرف العبادة لغير الله، وقال: إن للكون أقطاباً، تدبر نظام الكون، وتسير شؤونه، وهذا يعتبر شركاً بالله؛ لأن الله جعل أمر الكون كله في يده، فقال :{قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله} [آل عمران: 154].

وقال :{وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67].

بل أعلن المولى أن الرسول مع مكانته وقربه من المولى لا يملك شيئاً، فقال مخاطباً نبيه :{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران: 128].

وقال :{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ الله وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188].

واسمع إلى هذا التحذير من المولى للرسول، فيقول:{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * بَلِ الله فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: 65، 66].

رابعاً: صنف من الناس يعبد الله وحده لا شريك له، ولكنه عبد الله بغير هدي الرسول ، عبد الله بالبدع، عبد الله بالضلالات، عبد الله بالعادات التي توارثها الأجيال عن الآباء والأجداد، وهذه العبادة مردودة على صاحبها، فلا بد أن تكون العبادة على وفق ما جاء به الرسول ، فقال :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد.**

خامساً: صنف من النـاس فهم العبـادة فهمـاً ناقصـاً، فالعبـادة عنـده لا تتجاوز ولا تتعدى الشعائر، كالصـلاة، والزكـاة، والحـج، فهـو يصـلي فـي المسـجد، ويحـج بيـت الله ، ويـؤدي الزكـاة، ويصـوم رمضـان، لكـن إن تجـاوز هذا المسلم المسجد تجده إنسـاناً آخر، فامرأتـه وبناتـه متبرجـات، تجـده يتعامـل بالربـا، يأكـل أمـوال النـاس بالباطـل، تجـده لا يـؤدي حـق جيرانه، تجده لا يصل أرحامه، تجده لا يؤدي حق والديه، ترى شخصـية مختلفة تماما عن الشخصية التي تراها في المسجد، لماذا؟

لأنه فهم العبادة فهما ناقصـاً، فالعبادة تشمل الحياة كلهـا، فبـر الوالـدين عبادة، والإحسان إلى اليتيم عبادة، والإحسان إلى الجـار عبـادة، والصـدق في الكلام عبادة، والوفاء بالوعد عبادة، وأداء الأمانات عبادة، والإخلاص في القول والعمل عبادة، والابتسامة في وجه المسلم عبادة، وغض البصـر عن المرأة الأجنبية عبادة، فالعبادة تشمل الحياة كلها.

وإلى هذا النوع من الناس يقول :**{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [البقرة: 85].

والنتيجة الحتمية للتحقيق العبودية لله هي التمكين فـي الأرض، قـال : **{وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِـنكُمْ وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَـمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَـهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَـهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الفَاسِقُونَ}** [النور: 55].

ثانياً: مراقبة الله :

فعلى كل مسلم يريد أن يحقق الحب الحقيقـي لله أن يراقبـه فـي كل لحظة من لحظات الحياة، حتـى يتم لـه اليقين بـأن الله مطلـع عليـه، عـالم بأسـراره، رقيـب علـى أعمالـه، قـائم عليـه، وعلـى كل نفس بمـا كسبت، فيتحقق فيه ما قاله الرسول في الحديث الذي رواه مسلم:**اعبـد الله كأنـك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.**

ولقد حثنا القرآن على مراقبـة الله ، فقـال :**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّـذِي**

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: 1].

وقال : {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 16].

ولقد حقق سيدنا يوسف ﷺ مراقبة الله على أكمل وجه، اقرأ معي قول الله : {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 22 - 24].

واسمع معي أخي المسلم إلى هذه النماذج من حياة سلفنا الصالح لنتعلم كيف تكون مراقبة الله.

النموذج الأول: في يوم صائف يكاد حره يذيب الجبال، أطل عثمان بن عفان من بناية له بالعالية، فرأى رجلاً يسوق أمامه بعيرين صغيرين، والهواء الساخن يغشاه كلفح السموم، فقال محدثاً نفسه: ما على هذا الرجل لو أقام بالمدينة حتى يُبرد؟

وأمر خادمه أن ينظر من فرجة الباب، فقال: أرى رجلاً معمماً بردائه، يسوق بكرين أمامه، وانتظر حتى اقترب الرجل، فعرفه الخادم، وصاح: إنه عمر بن الخطاب، إنه أمير المؤمنين!

فأخرج عثمان بن عفان رأسه من كوة صغيرة متوقياً سخونة الريح، ونادى: ما أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟

أجاب سيدنا عمر بن الخطاب: بكران من إبل الصدقة، تخلفا عن الحمى، وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان بن عفان: هلم إلى الظل والماء، ونحن نكفيك هذا الأمر.

قال عمر بن الخاطب : عد إلى ظلك يا عثمان.

قال عثمان بن عفان: عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين.

قال عمر بن الخطاب: مرة أخرى: عد إلى ظلك يا عثمان، ومضى عمر لسبيله، والحر يصهر الصخر.

فقال عثمان بن عفان: من أراد أن ينظر إلى القوي الأمين، فلينظر إلى عمر.

وكان عمر بن الخطاب يقسم ويقول: لو أن بعيراً من إبل الصدقة ضاعت على ضفاف دجلة أو الفرات، وعمر بالمدينة، لخاف أن يسأله الله عنه.

النموذج الثاني: يقول عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق - نزلنا للراحة - فانحدر علينا راع من الجبل، فقال عمر بن الخطاب : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذا الغنم، فقال: إني مملوك، فقال له عمر بن الخطاب : قل لسيدك أكلها الذئب، فقال العبد: فأين الله؟

فبكى عمر بن الخطاب، وأخذ يقول: فأين الله ؟ ثم غدا إلى سيد الراعي، فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

النموذج الثالث: أراد أحد سلفنا الصالح أن يعلم تلاميذه كيفية مراقبة الله ، فأمر كل تلميذ من تلاميذه أن يُحضِر كل تلميذ دجاجة، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كل واحد منهم دجاجته، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لما لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما ارتحلت، وحيثما اتجهت وجدت أن الله مطلع عليَّ ويراني.

ثم قرأ قول الله :**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [المجادلة: 7].

إخوة الإسلام:

يوجد في مجتمعنا أقوال وأمثال تنافي الحب لله، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأمثال:

المثل الأول: يدي الحلق للي بلا ودان:

وهذا القول يتنافى تماماً مع حب الله ؛ لأن فيه اتهام صريح لله بأنه يسيء التصرف في كونه وخلقه، فيعطي لمن لا يستحق، ويمنع عمن يستحق، ويدل على أن البشر هم أعلم بمواقع الفضل من ربهم ، مع أن الله يقول:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 26].

وقال :{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: 39].

وقال :{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: 32].

المثل الثاني: رزق الهبل على المجانين:

وهذا القول يتنافى تماماً مع حب الله ، لأن فيه إساءة أدب معه ، لأنه في هذا المثل يتهم الله بالجنون والعياذ بالله؛ لأن الرزق كله بيد الله ، وقد كتبه الله وقدره قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، فقال :{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [هود: 6].

المثل الثالث: اللي بيعتقد في حجر ينفعه:

وهذا القول قبيح، بل عبرة شركية آثمة، فإن الحجر لا ينفع ولا يضر، والله هو وحده النافع الضار، فقال:{وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النعام: 17].

وقد وقف سينا عمر بن الخطاب أمام أشرف حجر في هذا الوجود، وهو الحجر الأسود في الكعبة المشرفة، وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت الرسول يقبلك، ما قبلتك.

المثل الرابع: ربنا افتكره:

وهذا المثل يقال بالتحديد عندما يموت إنساناً، فنقول ربنا افتكره، ومتى نسيه الله كي يتذكره؟ إنها كلمة تدل على سوء الأدب مع الله ؛ لأنها وصف له بالنسيان، وهو نقص، والنقص محال في حق الله ، كما أنها من صفات الإنسان، ولقد نفي الله النسيان عن نفسه، فقال :{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى} [طه: 51، 52].

وقال :{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياًّ} [مريم: 64].

المثل الخامس: أنا اصطبحت بوش مين:

أو عند رؤية شخص ما، يقولون: وشه يقطع الخميرة من البيت، على سبيل التشاؤم، والتشاؤم والطيرة أمور شركية، فيها سوء أدب مع الله ، روى أبو داود وأحمد أن الرسول قال:**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** قالها: ثلاثاً.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْـحَسَنَةُ.**

وأما الطيرة: فهي ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة، وكذا التشاؤم في بعض الطيور كالبومة، وما شاكلها إذا صاحت، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور، أو الأعرج، أو المهزول.

المثل السادس: طور الله في برسيمه:

وهذا القول يدل على سوء الأدب مع الله ، فهو يدل على أن هناك ثيران لله ، وأن هناك ثيران أخرى للناس، حيث إن ثور الله يرمز إلى الغباء والبلاهة دون غيره من الثيران، والمؤمن لا يكون ذلك، وإنما يكون مراعياً لألفاظه وأقواله، فينتقي الألفاظ المهذبة، الألفاظ التي ترضي الله .

سابعاً: الرزق يحب الفهلوة:

وهذا أيضا فيه إساءة أدب مع الله، ولكن الصحيح أن الرزق يحب التوكل الصحيح على الله، ويحب أن يتقي الله صاحبُه، فقال: **{وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ}** [الطلاق: 2، 3].

والاستغفار وفعل الطاعات هي التي تجلب الرزق، فقال :**{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}** [نوح: 10 - 12].

لكن المعاصي والسيئات ونكران النعم تؤدي إلى سلب النعم، وضنك العيش، فقال :**{وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}** [النحل: 112].

وإن كان المقصود بالخفية الاجتهاد في الأسباب، فإن كانت الأسباب مباحة شرعاً، فالأخذ بها مشروع، وإن كانت محرمة، فلا يجوز الأخذ بها.

* * *

حب الرسول

حب الرسول ﷺ

أسباب نعيم القبر

حب الرسول

الحمد لله رب العالمين: الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعلنا ولله الحمد خير أمة أخرجت للناس، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} [آل عمران: 110].

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: 138].

وقال :{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا في قرآنه أن من أكبر النعم التي أنعم بها علينا، أن أرسل إلينا النبي ، فقال :{لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: 164].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : القائل في الحديث الذي رواه أحمد والبزار والحاكم والطبراني والبيهقي:**إني عند الله لخاتم النبيين** - في علمه الأزلي - **وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت** - فرأت فيما يرى النائم حين حملت به أنه خرج منها نورٌ أضاء لها الأرض - **وكذلك أمهات النبيين يرين**.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع حب أعظم مخلوق على وجه الأرض، مع حب من خلقه الله ﷻ لإسعاد البشرية كلها، مع حب من بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين، مع حب صاحب الشفاعة العظمى، والحوض المورود، إنه الرسول .

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يرزقني وإياكم

حب رسول الله، وحب من يحب رسول الله، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: من هو الرسول ؟ (في الوقت ذاته لو سألت أي شخص: ماذا تعرف عن لاعب كرة؟، أو ممثل فلان؟... لبادرك القول وأخذ يسرد لك كل كبيرة وصغيرة عنه، في الوقت ذاته لو سألته ماذا تعرف عن الرسول ؟ لوقف صامتاً وعجز الكلام).

إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب، ينتهي نسبه إلى عدنان، ومنه إلى سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم .

إنه الرسول : صاحب الحوض العظيم، والشفاعة العظمى.

إنه الرسول : الرحمة المهداة، والنعمة المسداة.

إنه الرسول : الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

إنه الرسول : طيب العشرة، كان يحب المساكين والفقراء، ويجالسهم.

إنه الرسول : الذي أخذ الله العهد على كل نبي أن يؤمن به إن لحق بعثته وينصره، فقال :{وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81].

إنه الرسول : الذي وصفه ربه في القرآن فقال :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً} [الأحزاب: 45، 46].

إنه الرسول : الذي وصفه الله ﷻ بنفس الصفات التي في القرآن في التوراة، فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن الكريم:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فيهدي به بعد الضلالة، ويعلم به الجهالة.

إنه الرسول : الذي زكاه ربه في كل شيء، زكاه في عقله، فقال: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: 1، 2].

وزكاه في لسانه، فقال :{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: 3].

وزكاه في شرعه، فقال:{إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 4].

وزكاه في صدره، فقال:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: 1].

وزكاه في بصره، فقال :{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: 17].

وزكاه في ذكره، فقال :{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: 4].

وزكاه في فؤاده، فقال :{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: 11].

وزكاه في حلمه، فقال:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128].

وزكاه كله، فقال:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

وفي القرآن الكريم سراجان: سراج وهاج، وسراج منير، فالسراج الوهاج: هو الشمس في ضحاها، والسراج المنير: هو الرسول في جماله وبهائه وكماله.

السراج الوهاج فيه نور وحرارة، والسراج المنير فيه نور وليس فيه حرارة، والشمس تؤذيك بحرها صيفاً، والحبيب يهديك صيفاً وشتاءً، والشمس إذا ازددت منها قرباً تصيبك بالأمراض، والحبيب إذا ازددت منه قرباً ازددت من الرحمن حباً، الشمس تغيب ليلاً، ونور المصطفى لا يغيب ليلاً ولا نهاراً.

سيدي يا رسول الله:

أنت الذي من نورك البدر اكتسى ::: والشمس مشرقة بنور بهاك

أنت الذي لما رفعت إلى السما :::	بك قد سمت وتزينت لسراك
أنت الذي ناداك ربك مرحباً :::	ولقد دعاك لقربه وحباك
وخفضت دين الشرك ياعلم الهدى :::	ورفعت دينك فاستقام هناك
ما ذا يقول المادحون وما عسى :::	أنت تجمعَ الكتابُ من معناك

الحقيقة الثانية: إن الله فرض علينا جميعاً حب الرسول وأمرنا أن نحبه أكثر من حبنا لأنفسنا، وأكثر من حبنا لأولادنا، وأكثر من حبنا لأي شيء، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}** [الأحزاب: 6].

ولقد أكد الرسول ذلك، فروى أبو داود أن الرسول قال:**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيما رجل مات وترك ديناً فإليّ، ومن ترك مالاً فهو لورثته.**

والمسلم فينا لا يستطيع أن يذوق طعم الإيمان إلا إذا حقق الحب الحقيقي للرسول ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ.**

ولقد نفى الرسول الإيمانَ على الشخص الذي لم يحقق الحب الحقيقي له، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين.**

فهل أنت تحب الرسول أكثر من نفسك، وأكثر من والدك وولدك، وأكثر من الناس أجمعين؟

فإذا كانت إجابتك بلا، فأنت لست بمؤمن حقاً، وإذا كانت إجابتك بنعم، فماذا قدمت للرسول ؟ هل حفظت على سنته؟ هل تفعل ما أمرك به؟ هل انتهيت عما نهى عنه؟

فإيمان الفرد منا لا يكمل إلا إذا أحب الرسول حباً يفوق حب النفس والمال والولد والناس أجمعين.

فروى البخاري عن عبد الله بن هشام قال: " كنا مع الرسول وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله: لأنت أحبُّ إلى

من كل شيء إلا من نفسي ".

فقال الرسول :**لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليه من كل شيء**، فقال له عمر : "والله لأنتَ أحبُّ إلي من نفسي"، فقال الرسول :**الآن يا عمر**، أي: الآن كمل إيمانك.

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النموذج من حب الصحابة للرسول ، ليتبين لنا جميعاً الفرق الشاسع بين حب الصحابة للرسول وبين حبنا لنبينا ، روى الطبراني وأبو نعيم بسند حسن عن عائشة ﵂ أن رجلاً جاء يوماً للرسول فقال: يا رسول الله، والله لأنت أحبُّ إليَّ من ولدي، وأحبُّ إلي من كل شيء، وإني أكون في بيتي فأذكرك، فما أصبر حتى آتي لأنظر إليك، وإني ذكرتُ اليوم موتي وموتك، وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فسكت الرسول ، ولم يلبث النبي إلا قليلاً، حتى نزل جبريل ولا يزال الرجل جالساً في حضر الرسول ، بقول الله :**{وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً* ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً}** [النساء: 69، 70].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف لماذا فرض الله علينا حب الرسول ؟

أقول: فرض الله حب الرسول لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن الرسول حريص علينا جميعاً، ويريد أن يدخلنا معه الجنة، فقال:**{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}** [التوبة: 128].

فالرسول حريص علينا في حياته، وحريص علينا بعد مماته، فروي أن الرسول قال:**حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم**، فقال الصحابة: " علمنا أن حياتك خير لنا، فكيف يكون مماتك خيراً لنا؟ ".

فقال الرسول:**تعرض علي أعمالكم، فإن وجدتُ خيراً حمدت الله، وإن وجدتُ غير ذلك، استغفرت الله لكم**، فقال الصحابة: "وكيف تعرض عليك أعمالنا وأنت قد أرَمت؟"، قال:**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد**

الأنبياء.

السبب الثاني: لأن الرسول يخاف على أمته، ويدعو لها دائماً، فروى مسلم أن جبريل ينزل ذات ليلة، فيجد الرسول يبكي، فيقول له: يا رسول الله ما يبكيك؟، فقال الرسول :**لقد قرأت قول الله على لسان إبراهيم :{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [إبراهيم: 36]، **وقرأت قول الله على لسان عيسى :{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}** [الأنعام: 118]، ثم رفع يديه إلى السماء وقال:**اللهم أمتي**، وبكى.

فقال الله لجبريل:**اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك؟.**

فأتاه جبريل فسأله، فأخبره الرسول بما قال، والله أعلم، فقال الله لجبريل:**يا جبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.**

وهنا يقول المولى:**{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}** [الضحى: 5].

السبب الثالث: لأن حب الرسول من أساسيات إسلامنا، بل إن إيمان الفرد منا لا يكمل إلا إذا حققنا الحب الحقيقي للرسول ، وقد اقترن حب الرسول بحب الله في كثير من الآيات القرآنية، منها على سبيل المثال لا الحصر قول الله :**{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}** [التوبة: 24].

السبب الرابع: لأن المرء يحشر مع من أحب يوم القيامة، كما أخبر الصادق المصدوق ، فإذا أحببناه حقاً صرنا جيرانه في الفردوس الأعلى، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك : أن أعرابياً جاء إلى الرسول ، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟، فقال له الرسول :**وما أعددت لها؟**، قال الأعرابي: يا رسول الله ما أعددت لها كبيرَ صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال الرسول :**فأنت مع من أحببت.**

السبب الخامس: أمرنا الله بحب الرسول لأنه لولاه لنزل العذاب بأمته، فقال :**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107]، رحمة لأتباعه،

ورحمة لأعدائه.

وقال :{وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33].

وروى مسلم أن الرسول قال:**سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة – القحط - فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها** وفي رواية للترمذي والنسائي:**فسألته ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، فأعطانيها.**

إخوة الإسلام:

إن حب الرسول لن يتحقق بالكلام، بل لا بد من عدة أمور لا بد أن يلتزم بها الفرد، حتى يحقق الحب الحقيقي للرسول، فتعالوا معي لنتعرف كيف نحقق الحب الحقيقي للرسول.

الأمر الأول: التأسي بالرسول في الأقوال والأفعال:

قال:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً} [الأحزاب: 21].

فالواجب على كل مسلم أن يتأسى بالرسول في كل الأحوال وفي كل الأعمال، تتأسى به في وضوؤك، تتأسى به في صلاتك، تتأسى به في صومك، تتأسى به في أكلك وفي شربك، تتأسى به في نومك، تتأسى به في معاملاتك لجيرانك، تتأسى به في كلامك، تتأسى به في مشيك، تتأسى به في معاملتك لأهل بيتك، تتأسى به في بيعك وشرائك، لأن حياتنا لن تستقيم ولا يكون لها طعم إلا إذا تأسينا بالرسول ، والله ﷻ لن يقبل منا أي عمل إلا إذا كان على هدي الرسول ، ولذلك يقول الرسول :**إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد.**

وروى الطبراني أن الرسول قال:**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.**

واسمع إلى هذا النموذج لنتعلم كيف يكون التأسي بالرسول ، فهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يتبع آثار الرسول في كل شيء، حتى

في الأعمال الحياتية التي لا دخل لها في التشريع، ولم نؤمر باتباعها.

فعن نافع أن ابن عمر كان يتبع آثار الرسول فيصلي في كل مكان صلى فيه الرسول، حتى إن الرسول نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس.

وقال مجاهد: كنا مع ابن عمر في سفر، فمر بمكان فحاد عنه، فسئل لم فعلت ذلك؟ فقال : رأيت الرسول فعل ذلك ففعلته.

أما نحن الآن فحدث ولا حرج، أصبح البعض منا يتأسى بفنان ساقط، أو لاعب كرة تافه رخيص...

الأمر الثاني: الاتباع فيما جاء به الرسول :

فالله أمرنا أن نتبع الرسول في كل ما جاء به، فقال :**{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [الأعراف: 158].

وقال :**{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [المائدة: 15، 16].

وروى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا الرسول خطا بيده، ثم قال:**هذا سبيل الله مستقيماً** ثم خط خطاً عن يمينه وخطاً عن شماله، ثم قال:**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ الرسول قول الله :**{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [الأنعام: 153].

فالواجب على كل مسلم يريد أن يحقق الحب الحقيقي للرسول أن يتبع هديه، قال :**{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ}** [الحشر: 7].

بل إن الله جعل علامة محبته في اتباع الرسول فقال :**{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [آل عمران: 31].

فمن لم يتبع الرسول وادعى محبته فهو كاذب في دعواه.

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النموذج لنتعلم كيف يكون الاتباع، سيدنا عمر بن الخطاب استلم الحجر الأسود وقال: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت الرسول يقبلك ما قبلتك ".

وكذلك موقف سيدنا أبي بكر في صلح الحديبية، فروى البخاري وغيره أن عُمَر بْن الْخَطَّابِ قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟، قَالَ :بَلَى، قَالَ : أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟، قَالَ :بَلَى، قَالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي أَنْفُسِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ :**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله.**

قَالَ: فَانْطَلَقَ ابْنُ الْخَطَّابِ وَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا.

قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ.

وكذلك في جيش أسامة....

فلقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في كيفية اتباع الرسول ، أما نحن الآن فحدث ولا حرج، أصبح الكثير منا لا يتبع منهج الرسول ويتبع هواه، ومن الأمور التي تدل على ذلك: عدم الذكر بعد الصلاة..

والله قد حذرنا من عدم اتباع الرسول واتباع الهوى، ورتب العقاب الشديد على ذلك، فقال :**{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}** [النساء: 115].

وقال:**{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: 36].

وقال :**{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا الله يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ**

الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بالله وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ الله لَهُ رِزْقاً} [الطلاق: 8 - 11].

فالواجب على كل مسلم أن يتبع هدي الرسول حتى يحقق الحب الحقيقي له.

الأمر الثالث: تحكيم الرسول في كل أمور الحياة:

فالواجب على مسلم يريد أن يحقق الحب الحقيقي للرسول أن يحكم الرسول في كل أمور الحياة، فقال :{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

وقال :{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

وروى البخاري في سبب نزول هذه الآية: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير بن العوام في شراج الحرة، فقال الرسول:اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك)، فقال الأنصاري : يا رسول الله: أن كان ابن عمتك؟، فتلون وجه الرسول ، ثم قال:اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك، قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك.

واسمع إلى ما قاله المولى:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: 51، 52].

أما المنافقون الدجالون الكذابون الذين لا يجيدون إلا الرقص والطبل والزمر والغناء، فإنهم لم يحكموا الرسول في كل أمور الحياة، وقد فضحهم الله في قرآنه، وذكر علامة عملية على نفاق قلوبهم، ألا وهي عدم تحكيم رسول ، فقال :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً} [النساء: 60، 61].

وقال :{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ*وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [النور: 47 - 50].

الأمر الرابع: توقيره والتأدب معه:

ويكون هذا في حياة الرسول وبعد مماته، فالله لم يخاطب الرسول باسمه مجرداً أبداً، فما من نبي إلا ونادى عليه باسمه مجرداً، فقال : {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 35].

وقال :{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود: 48].

وقال :{وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات: 104، 105].

وقال :{إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: 55].

وقال :{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: 26].

وقال :{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً} [مريم: 7].

وقال :{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً} [مريم: 12].

أما النبي فالأمر يختلف، فحينما ينادي الله عليه، قال:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} [الأحزاب: 45]

وقال:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: 67].

وقال :{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا

آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ} [المائدة: 41].

وقال :{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً} [المزمل: 1، 2].

وقال:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ} [المدثر: 1، 2].

ولما ذكر الله اسم النبي، ذكر اسمه مقترناً بوصف النبوة والرسالة، فقال:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} [الأحزاب: 40].

وقال :{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144].

فهذه مكانة الرسول عند الله ، ولما علم الله مكانة نبيه ، أنزل من فوق سبع سموات قرآناً، ليعلم الله الصحابة والمؤمنين من بعدهم كيف يوقرون الرسول ويتأدبون معه، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: 1].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].

الأمر الخامس: عدم الغلو في مدحه:

والغلو هنا: مجاوزة الحد، ولقد نهى الرسول عن المغالاة في مدحه، فروى البخاري وأحمد والترمذي أن الرسول قال:**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله.**

وروى ابن حبان أن الرسول قال:**أيها الناس: ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي، إنما أنا عبد الله ورسوله.**

والحق الذي يجب أن يقال: أن الغلو في مدح الرسول قد بلغ عند بعض مدعي المحبة حداً خطيراً، حتى خلعوا عليه صفات الألوهية، ومنحوه بعض صفات الربوبية، فالرسول بشر، والمولى قد أعلن ذلك في القرآن الكريم، فقال :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف: 110].

وقال :{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ} [يونس: 2].

وقال:{وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص: 4].

وقال:{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [البقرة: 129].

وقال :{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128].

وقال :{لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: 164].

فالرسول بشر، وهذا لا ينقص من قدره .

* * *

حب الصحابة رضي الله عنهم

أسباب نعيم القبر

حب الصحابة

الحمد لله رب العالمين: الذي نشر بقدرته البشر، وصرَّف بحكمته وقدر، وابتعث محمداً إلى كافة أهل البدو والحضر، فأحلَّ وحرَّم، وأباح وحَذَّر، وابتلاه في بداية النبوة بمداراة من كفر، فدخل دار الأرقم فاختفى واستتر، إلا أن أعز الله الإسلام بأشخاص أفذاذ كأبي بكر وعمر.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: وصف لنا أصحاب رسول الله وصفاً دقيقاً في قرآنه، فقال: **{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}** [الفتح: 29].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً: جعل حب الصحابة حباً له، وبغضهم بغضاً له، وأذيتهم أذية له، فروى الترمذي أن الرسول قال: **الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي بغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن أذى الله أو شك أن يأخذه.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **حب الصحابة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الله اصطفى محمداً على الأولين والآخرين، واصطفى له خيرَ الناس بعد النبيين، فجعلهم أصحابَه، فأصحاب رسول الله هم خير الأمة، وأعظمهم فضلاً، وأعمقهم علماً، وأصدقهم إيماناً، وأبرهم قلوباً، لا يشك في ذلك إلا جاهل أو حاقد، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، شهدوا الوحي والتنزيل، وعلموا التفسير والتأويل، السابقون إلى الفضائل والكرامات، والمتبوئون في الآخرة أعالي الجنات.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** [آل عمران: 110].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**، قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، **ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ.**

فأصحاب رسول الله هم قدر الله ، اصطفاهم الله وانتقاهم واختارهم لنصرة دينه ونبيه ، فقال :**{ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [البقرة: 105].

وروى أحمد والبزار والطبراني أن عبد الله بن مسعود قال: **إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ.**

فلا خير إلا في سبيلهم، ولا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق.

الحقيقة الثانية: إن ديننا الحنيف قد تميز عمن سبقه من الأديان بمعجزة تتجدد في كل وقت وآن، ألا وهي معجزة الرجال، الذين عاشوا حياتهم

للإسلام.

هؤلاء الصحابة لم يعرفوا للراحة طعماً، ولم يعهدوا الخمول إلى نفوسهم طريقاً، فكانوا حركة نشيطة لا تهدأ، لا تمل، لا يهمهم من الحياة مالاً أو متاعاً، وحدوا همتهم في إرضاء الله ، محققوا من قلوبهم كل نية تشوبها الشوائب، فكانوا خالصين لله ، فأكرمهم الله بأن جعلهم من معجزات الرسول .

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الحاكم والطبراني أن الرسول قال:**إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا، فَجَعَلَ لِي بَيْنَهُمْ وُزَرَاءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ.**

ولقد أمرنا الرسول أن نقتدي بهم، فروى البيهقي والحاكم وابن ماجه عن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ :**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.**

ولكن للأسف الشديد نسيت الأمة الآن هذه الوصية الغالية من رسول الله ، فتفرقت إلى فرق وأحزاب وشيع، ففعلت هذه التفرقة بالأمة الأفاعيل.

الحقيقة الثالثة: إن أخبار الصحابة دواء للقلوب، وجلاء للألباب من الدنس والعيوب، وقدوة في زمن كادت القدوة أن تغيب فيه، فهم مثالٌ يحتذي، ونبراسٌ يُقتدَى؛ ليعرف المتأخر للمتقدم فضلاً، فيسعى على دربه ونهجه.

فبالوقوف على أخبار هؤلاء الصحابة تحيا القلوب، وباقتفاء آثارهم تحصل السعادة، وبمعرفة سيرهم ومناقبهم تحيا النفوس.

وإن معرفة أحوال الصحابة وأخلاقهم وسيرهم، لتنير الطريق أمام

المؤمن الذي يريد أن يعيش أسوة الرسول، ومن هنا كان لزاماً علينا معرفة أخبارهم وسيرهم، ونشرها بين المسلمين عظة وذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإن أصحاب رسول الله كانوا كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، ولا ينكر فضلهم إلا أعمى البصر، ميت القلب، مشلول الضمير.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وأحمد وابن حبان أن الرسول قال:**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ.**

أي: النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت.

وقول الرسول :**وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ** أي: من الفتن والحروب، وارتداد من الأعراب، واختلاف القلوب.

وقوله :**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** أي: ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه.

ولا أبالغ إذا قلت لكم: إن المسلمين بل الإنسانية كلها في أشد الحاجة اليوم إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ، وكرم معدنهم، وأثر تربيته فيهم، وما كانوا عليه من علو المنزلة، التي صاروا فيها الجيل المثالي الفذ في تاريخ البشر كله.

وإن شباب الإسلام اليوم معذورون إذا لم يحسنوا التأسي بالجيل المثالي في الإسلام؛ لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن الأمة قد عُزلت طويلاً عن دراسة تاريخ أسلافها، وأسهبت الأمة في دراسة التاريخ الفرعوني، وقد أفلح العدو الصهيوني في إحداث فجوةٍ سحيقةٍ بين ماضيها وحاضرها؛ لتظل غارقةً في نومها.

السبب الثاني: أن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل، في قلوب شُحِنَتْ بالغل على المؤمنين الأولين، فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان.

وقد أصبح من الفرض الديني على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام، أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له، ويجتهد فيه ما استطاع، من أجل أن يكون أمام شباب المسلمين مثالٌ صالح من سلفهم يقتدون به، ويجددون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.

السبب الثالث: لأننا الآن في زمن تطاول فيه الأباعر على الأكابر! فأساؤوا معهم الأدب، وحطوا من شأنهم، وحاولوا تهميش دورهم، وأنى لهم ذلك؟ وصدق الله :**{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ}** [النحل: 25].

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الشرع الحنيف اهتماماً بالغاً بالصحابة وحبهم، فتعالوا معي لنتعرف على مكانة الصحابة في القرآن الكريم:

أولاً: بين الله أنهم السابقون في الإسلام: فقال :**{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}** [التوبة: 100].

أي: لهم فضل الأسبقية، وكفى بها منقبة.

ثانياً: وصفهم الله بالصادقين: فقال:**{لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** [الحشر: 8].

والصادقين في أعلى درجات الجنة.

ثالثاً: وصفهم الله بالفلاح: فقال :**{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ}** [الحشر: 9].

رابعاً: أعلن الله توبته عليهم: فقال :**{لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ**

عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 117، 118].

خامساً: وصفهم بالشدة على الأعداء والرحمة فيما بينهم: فقال :{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29].

سادساً: وصفهم الله بالركع والسجد: فقال :{تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهَّ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الفتح: 29].

سابعاً: أعلن الله رضاه عن الصحابة : فقال :{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} [الفتح: 18].

ثامناً: وعد الله ﷻ الصحابة الحسنى: فقال :{وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهَّ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: 10].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف لماذا أوجب الشرع علينا حب الصحابة.

أقول: أوجب الشرع علينا حب الصحابة لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن حب الصحابة من الإيمان، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.**

السبب الثاني: لأن حب الصحابة حب للرسول ، فروى الترمذي أن الرسول قال:**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي بغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن أذى الله أو شك أن يأخذه.**

ففي هذا الحديث يبين الرسول حالة من جعلهم غرضاً بعده ، وسبهم وافترى عليهم، وعابهم، وكفرهم، واجترأ عليهم.

وقوله :**الله الله** كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: النار النار، أي: احذروا النار.

وقوله :**لا تتخذوهم بعدي غرضاً** أي: لا تتخذوهم عرضاً للسب والطعن.

وقوله :**فمن أحبهم فبحبي أحبهم** فهذا من أجل الفضائل والمناقب؛ لأن محبة الصحابة من محبة الرسول .

السبب الثالث: لأن الصحابة هم أفضل قرن على وجه الأرض، ما طلعت شمس ولا غربت على أشخاص أفضل من أصحاب رسول الله بعد النبيين.

فقال :**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** [آل عمران: 100].

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدّي في قوله :**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** قال: قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال: أنتم، فكنا كلنا، ولكن قال:**{كُنتُمْ}** خاصة في أصحاب محمد ، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،** قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا،**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ.**

السبب الرابع: لأنهم لاقوا في سبيل الدعوة إلى الله ما لاقوا، وهناك بعض النماذج التي تدل على هذا.

النموذج الأول: سيدنا عثمان بن عفان لما أسلم، أخذه عمه الحكم ابن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطاً، وقال له: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه، فقال سيدنا عثمان بن عفان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابة عثمان بن

عفان في دينه تركه.

النموذج الثاني: جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد عن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار.

قال: فأما رسول الله فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيه وحملوا بجوانبه إلا بلالاً.

فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها، فهي أول شهيد استشهد في الإسلام، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا في عنقه حبلاً ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة، فجعل بلال يقول: أحد أحد.

النموذج الثالث: جاء في حلية الأولياء عن سعد قال: كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، ومرنا عليه، وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله بمكة، خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها، فغسلتها، ثم أحرقتها، فوضعتها بين حجرين، ثم استفها، وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثاً.

السبب الخامس: قوة عزيمتهم وصلابة إرادتهم، فهذه مدينة النبي تموج وتضطرب حيث ذهلت النفوس، وحارت العقول، وتشنجت الأعصاب، وذهب الحزم والصواب، وقد أُشعل ذلك الإعلان المهيب وأُشعل الفتنة، فارتدت القبائل عن الإسلام، وعطلت الجمعة، فلم تعد تقام إلا في مكة والمدينة، في مثل هذه الفتنة العمياء، ومواجهة المرتدين بحزمٍ وبأس نادرين، فيأتيه أعقل الناس وأشدهم بأساً في دين الله ، يأتيه عمر فيقول: يا خليفة رسول الله: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابهم على الله.**

كيف تقاتلهم يا خليفة رسول الله؟ فيجيبه الصدّيق بلغة الواثق ومنطق المطمئن: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه.

ما هذا؟ إنها العزيمة الحديدية، والإرادة الفولاذية، التي لا تصلح السياسة إلا بها، لقد كان الصدّيق بدهائه الخارق يدرك أن أي إبطاءٍ في تأديب المرتدين الساخرين من شرائع الإسلام، الراغبين في خلخلة وحدةِ الأمة من خلال تصرفاتهم اللامسؤولة، كان يدرك أن أي إبطاءٍ في تأديب هؤلاء كفيل بإحداث انهيار مدمر وشرخ خارق في صرح الإسلام.

ذلك الصرح الذي بني بدماء القتلى والشهداء، وسُقي بأنهار من الدموع والبكاء، إنك لتعجب من موقف أبي بكر وإصراره على قتال المرتدين.

ولكنك تتعجب أكثر من عزمه في الوقت نفسه على إنفاذ جيش أسامة الواقف على أطراف المدينة، ويقسم صادقاً: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله حتى لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين، وحتى لو لم يبق في المدينة غيري.

هذه العزيمة الخارقة والإرادة الصلبة سر من أسرار نجاحهم، وعامل من عوامل إبداعهم، وسبب من أسباب حبنا لهم.

السبب السادس: إيثارهم ما عند الله ، وتقديم الآخرة على الفانية، انطلاقاً من قول الله : **{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [النحل: 96].

واسمع معي إلى هذه النماذج ليتبين لنا هذا.

النموذج الأول: هذا أبو خيثمة يرجع إلى أهله في يوم شديد الحر لافح السموم، فيجد امرأتاه في عريش لهما، داخل بستان وقد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت فيه ماءً، وهيأت طعاماً، فلما دخل وقف على باب العريش فنظر إلى زوجتيه ما صنعتا له، فقال: رسول الله في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، ما هذا بالعدل، والله لا أدخل عريشاً واحدةٍ منكما حتى ألتحق برسول

الله ، فهيئا له زاداً فارتحل لاحقاً برسول الله إلى تبوك.

انظر يا من رعاك الله كيف يكون الزهد في العرض الزائل والمتاع الرخيص إيثاراً لما عند الله، ماءٌ بارد، وطعامٌ مهيأ، وزوجة حسناء، وروضة غناء، فلا يكترث لشيء منها ولا يلتفت يعبأ بها، ولكن هيئوا لي دابتي، واحزموا لي متاعي، فليس من الإنصاف أن أهنأ بالنعيم ورسول الله في الضح والحر.

النموذج الثاني: يركب أبو ذر الغفاري بعيره لاحقاً برسول الله إلى تبوك أيضاً، فيستعصي عليه بعيره ويصعب عليه قياده، فينطلق ماشياً على قدميه يشق المغاور وحده، تحرقه الشمس ويلفحه السموم وتسمه الريح، فلما هذا يا صاحب رسول الله؟ أما كان يسعك أن تتعجل عائداً إلى المدينة بعد أن فقدت الظهر، واستعصت عليك دابتك؟ لما كل هذا العناء؟ لما كل هذا يا صاحب رسول الله؟. إنه الإيثار لما عند الله ، والحماسة لهذا الدين، والإخلاص لنصرته، لذا لم يكن استعصاء بعير أبي ذر يحتاج منه إلى مراجعة حساباته لينظر أينطلق إلى تبوك أم يعود إلى المدينة؟.

السبب السابع: لأنهم أنفقوا أموالهم كلها في سبيل الله ﷻ، واسمع معي إلى هذا النموذج، فروى أبو داود والترمذي عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله :**ما أبقيت لأهلك؟** قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال الرسول :**يا أبكر: ما أبقيت لأهلك؟** قال : أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً.

السبب الثامن: لأن الصحابة أمنة لأمة الرسول : فروى مسلم وأحمد وابن حبان أن الرسول قال:**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يحقق المسلم فينا الحب الحقيقي لأصحاب

رسول الله ، فالمسلم فينا لا يستطيع أن يحقق الحب لهم إلا باتباع الأمور التالية:

الأمر الأول: احترامهم وتوقيرهم:

وهذا الاحترام وذلك التوقير معناه: أن يعترف كل مسلم وموحد بسبقهم وفضلهم.

يقول الإمام الطحاوي: ونحب أصحاب رسول الله ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

وقال بعض العلماء: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به النبي حق، والذي بلغنا ذلك كله عن رسول الله هم أصحابه ، فهؤلاء يريدون أن يهدموا الصحبة؛ ليبطلوا القرآن والسنة، وأنى لهم ذلك، فقد قال : **{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ}** [الصف: 8].

الأمر الثاني: عدم سبهم والنيل منهم:

إن الرسول حذرنا من سب الصحابة أو النيل منهم، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.**

قال النووي: وَسَبَب تَفْضِيل نَفَقَتهمْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْت الضَّرُورَة وَضِيق الْحَال، بِخِلَافِ غَيْرهمْ، وَلِأَنَّ إِنْفَاقهمْ كَانَ فِي نُصْرَته وَحِمَايَته، وَذَلِكَ مَعْدُوم بَعْده، وَكَذَا جِهَادهمْ وَسَائِر طَاعَتهمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّه : **{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْل الْفَتْح وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَم دَرَجَة}** [الحديد: 10].

هَذَا كُلّه مَعَ مَا كَانَ فِي أَنْفُسهمْ مِنْ الشَّفَقَة وَالتَّوَدُّد وَالْخُشُوع وَالتَّوَاضُع وَالْإِيثَار وَالْجِهَاد فِي اللَّه حَقّ جِهَاده، وَفَضِيلَة الصُّحْبَة، وَلَوْ لَحْظَة لَا يُوَازِيهَا عَمَل، وَلَا تُنَال دَرَجَتهَا بِشَيْءٍ، وَالْفَضَائِل لَا تُؤْخَذ بِقِيَاسٍ، ذَلِكَ فَضْل اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء.

ومن سب الصحابة مستحلاً ذلك، فقد كفر، وإن لم يكن مستحلاً، فسق ولم يكفر، وقد ذهب بعض العلماء: إلى قتل من سب الصحابة.

قال الإمام أحمد بن حنبل: وخير هذه الأمة بعد النبي أبو بكر، وعمر بن الخطاب بعد أبي بكر ، وعثمان بن عفان بعد عمر ابن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب بعد عثمان بن عفان ، ووقف قوم، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب، ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه، ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس، حتى يموت أو يراجع.

فهذه عقوبة من يسب الصحابة في الدنيا، فما بالك بالعقوبة الأخروية، لا شك أنه أعظم وأخطر وأسوأ عقوبة، وليس أدل على ذلك من قول الرسول :**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي بغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن أذى الله أو شك أن يأخذه.**

الأمر الثالث: عدم الخوض فيما شجر بينهم:

يقول ابن تيمية: وأهل السنة والجماعة يمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص.

وسئل ابن تيمية عمن يلعن معاوية، فماذا يجيب عنه؟

فقال: ومن لعن أحداً من أصحاب رسول الله ، فإنه مستحق للعقوبة البليغة، باتفاق أئمة الدين.

ولما سئل أحمد بن حنبل عمن تنقص معاوية وعمرو: أيقال له رافضي؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، وما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء.

وقد جعل الرسول عدم الخوض في أمر يسيء إلى أصحابه علامة من علامات الإيمان، فقال:**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم**

فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا.

وقد يقول قائل: إن رسول الله قال:**إِذَا الْتَقَى الْـمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**، فكيف نوجه هذا الحديث؟

قال الإمام الخطابي: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية، أو طلب دنيا، أو رئاسة، أو علو.

الأمر الرابع: الترضي عنهم والدفاع عن أعراضهم:

فالواجب على كل مسلم كلما ذكر أحد من الصحابة أن يقول: رضي الله عنه، وينبغي على المسلم أن يدافع عنهم ويذب عن أعراضهم، إذا ما حاول طاعن من الطاعنين، أو مارق من المارقين أن يخوض بكلمة سوء في حقهم، وذلك من كمال الإيمان وتمام الإسلام.

وقد جاءت السنة والأحاديث النبوية تحض المسلم أن يدافع عن أخيه المسلم، ويذب عن حرمته، فما بالك بأصحاب رسول الله ؟ فما بالك بخير قرون الإسلام؟ فما بالك بالذين رفعوا راية الإسلام عالية خفاقة؟ ما بالك بالذين نشروا الإسلام في البلاد، فروى ابن أبي شيبة وغيره أن الرسول قال:**من ذب عن عرض أخيه بظهر الغيب، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار.**

روي أن زين العابدين علي بن الحسين أتاه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا قال: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون:**{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** [الحشر: 8].

قالوا: لا.

قال: فأنتم**{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [الحشر: 9].

قالوا: لا.

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال:

أشهد أنكم لستم من الذين قال الله :{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].

الأمر الخامس: الدعاء والاستغفار لهم:

وهذا أمر يغيب على كثير من الناس، بل كثير من خواص المسلمين من يغفل هذه القضية، بل البعض من طلبه العلم لا يعلم أن من حق الصحابة عليه أن يدعو لهم وأن يستغفر لهم.

من حق الصحابه الكرام على كل من جاء بعدهم من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم عليهم، وذلك لما لهم من الفضل على من أتى بعدهم. قال الله :{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].

وقد فهم أهل السنة والجماعة أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف الذين هم أصحاب رسول الله .

* * *

حب آل بيت رسول الله ﷺ

أسباب نعيم القبر

حب آل بيت رسول الله

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه، ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ لعلكم تشكرون.

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :**{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}** [الحج: 26].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن عن طهارة آل بيت رسول الله ، فقال :**{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}** [الأحزاب: 33].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل حب آل بيته حباً له ، فروى الترمذي والطبراني والحاكم أن الرسول قال:**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **حب آل بيت رسول الله** ، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الانتساب إلى آل بيت الرسول ليس تشريفاً، ولا هروباً من الأحكام الشرعية، وليس تواكلاً على القرابة، وإنما هو زيادة في التكاليف الشرعية، وعبء في المسؤولية، فليس القرب من النبي يجوِّز التكاسل في أحكام الله وشرعه، أو يجعل الشخص ينال النجاة في

الآخرة دون تقوى وعمل صالح، فكل عباد الله في ميزان الله سواء.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: 101 - 103].

وقال في شأن أزواج الرسول :{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً} [الأحزاب: 30، 31].

ولقد أشار الرسول إلى أن القرابة لا تنفع صاحبها لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك إذا امتنع عن منهج الله .

أما في الدنيا: فروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ الله ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله ، فَكَلَّمَ رَسُولَ الله ، فَقَالَ الرسول :أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، فقَالَ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا.

وأما في الآخرة فروى مسلم أن الرسول قال:وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

وروى مسلم أنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} قَامَ رَسُولُ الله عَلَى الصَّفَا فَقَالَ:يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ.

وروى البيهقي قام رسول الله حين أنزل عليه:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} فقال:يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً.

فمدار النجاة على الأعمال الصالحة، لا على الأحساب والأنساب، فقال :{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

وهل أفادت قرابة أبي لهب من الرسول ؟ ولقد بشره الله بالنار وهو على قيد الحياة، فقال :{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: 1 - 5].

وكذلك الحال مع أبي طالب عم الرسول ، الذي كان يدافع عنه ضد أعداء الدعوة الإسلامية من قريش، فروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ :لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ.

الحقيقة الثانية: إن النبي أوصى أمته بآل بيته، وذلك لقربهم منه ، واتصالهم بنسبه، ولنصرتهم رسول الله في أحلك الظروف، وأشد الأزمات، منذ بدء الدعوة، فروى مسلم عن زيد بن أرقم أن الرسول وقف خطيباً فقال:أَمَّا بَعْدُ: أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي.

ومن هنا احتل آل بيت رسول الله في نفوس المؤمنين مكانة رفيعة، وعرف المسلمون لهم هذا الفضل، واسمع معي إلى هذه النماذج من حب الصحابة لآل بيت رسول الله .

النموذج الأول: كان أبو بكر يحب صلة آل بيت رسول الله عن أهل بيته، فروى البخاري ومسلم أن أبا بكر قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَقَرَابَةُ رَسُولِ الله أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ".

وروى البخاري أن أبا بكر قال: "ارقبوا محمداً في أهل بيته" أي: احفظوه فيهم؛ فلا تؤذوهم، ولا تسيؤوا إليهم.

وكان أبو بكر قد توسط لسيدنا علي بن أبي طالب في زواجه بفاطمة بنت الرسول ، وساعده فيه، كما كان أحد الشهود على نكاحه

بطلب من رسول الله ، وهذا ما يرويه أحد علماء الشيعة ويسمى بشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي عن الضحاك بن مزاحم، أنه قال: سمعت عليَّ ابن أبي طالب يقول: أتاني أبو بكر وعمر، فقال لي: لو أتيت رسول الله فذكرت له فاطمة، قال: فأتيته، فلما رآني رسول الله ضحك، ثم قال:**ما جاء بك يا علي، وما حاجتك؟** قال: فذكرت له قرابتي، وقدمي في الإسلام، ونصرتي له، وجهادي، فقال :**يا علي: صدقت، فأنت أفضل مما تذكر**، فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها.

بل إن أبا بكر هو الذي اشترى لفاطمة ما يناسبها في الزواج، فروى الطوسي أن عليَّ بن أبي طالب باع درعه، وأتى بثمنه إلى الرسول ، ثم قبض الرسول من الدراهم بكلتا يديه، فأعطاها أبا بكر ، وقال:**ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت.**

وأردفه بعمار بن ياسر وبعده من أصحابه، فحضروا السوق، فكانوا يعرضون الشيء مما يصلح، فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر، فإن استصلحه اشتروه، حتى إذا استكمل الشراءُ، حمل أبو بكر بعض المتاع، وحمل أصحاب رسول الله الذين كانوا معه.

النموذج الثاني: كان عمر بن الخطاب يجل أهل بيت النبي أكثر مما يجل أهل بيته هو، وكان يحترمهم ويقدمهم في الحقوق والعطاء على نفسه وأهل بيته، فروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح أن عمر بن الخطاب قال للعباس : **"فَوَ اللهِ لإِسلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ"**.

ولقد تزوج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ، فقال علي بن أبي طالب : إنها صغيرة! فقال عمر : إني لم أرد حيث ذهبت، لكني سمعت رسول الله يقول:**كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة، إلا سببي وصهري**، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله ، فتزوجها، وأمهرها عشرة آلاف دينار.

وفي نفس الوقت كان آل بيت رسول الله يحبون أبا بكر وعمراً،

فروى البخاري عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي: " أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا إِلا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ".

وروى البخاري عن ابن عباس قال: "وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ يَقُولُ:ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

قال ابن حجر: وفي هذا الكلام أن علياً كان لا يعتقد أن لأحد عملاً في ذلك الوقت، أفضل من عمل عمر بن الخطاب .

الحقيقة الثالثة: من هم آل بيت الرسول ؟ لقد اختلف العلماء في تحديد آل البيت إلى مذاهب متعددة، وذلك على النحو التالي:

الرأي الأول: أن آل بيت الرسول من حرمت عليه الصدقة، وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، واستدل أصحاب هذا الرأي بما يأتي:

1 - ما رواه مسلم عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قال: قَامَ رَسُولُ الله يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ، وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ: أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ الله، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ.
فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ:وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي.
فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

2 - روى البخاري والنسائي عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ

بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله :**إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ.**

3 - روى البخاري عن أبي هريرة قال: أُتِيَ رَسُولُ الله بِتَمْرٍ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ فِيهِ بِأَمْرِهِ، فَحَمَلَ الْحَسَنَ أَوْ الْحُسَيْنَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَجَعَلَ لُعَابُهُ يَسِيلُ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَلُوكُ تَمْرَةً، فَحَرَّكَ خَدَّهُ، وَقَالَ:**أَلْقِهَا يَا بُنَيَّ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ.**

الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن المراد من آل بيت الرسول هم أزواجه فقط، واستدلوا بما يأتي:

1 - قال :**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً* وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً}** [الأحزاب: 28 - 33].

فالخطاب في هذه الآيات كلها موجه إلى أزواج النبي فقط، ولعل هذا يدعونا إلى التساؤل: إذا كان الأمر كذلك، فلم لم يعبر عنهن بنون النسوة، بدلا من ميم الجماعة؟

الجواب على هذا التساؤل: أن الرسول هو رأس أهل بيته، وهو داخل بلا شك في الآية مع نسائه، كما قال في سيدنا إبراهيم :**{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ الله رَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}** [هود: 73].

مع أن الخطاب لامرأة سيدنا إبراهيم ، ولكنه لما دخل إبراهيم وزوجته في مسمى أهل البيت، عبر عنهم جميعاً بميم الجماعة في قوله : {رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ} تغليباً.

بل إن إطلاق تسمية أهل على الزوجة وارد في قوله عن سيدنا موسى :{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [القصص: 29].

مع أنه لم يكن مع موسى سوى زوجته، فما العجب في أن تعني الآية نساء النبي ، وتستخدم في حقهن ميم الجماعة.

ومما يؤكد أنّ الآية لم تنزل في أصحاب الكساء بل في نساء النبي خاصة، حديث الكساء نفسه، ذلك أنّ رسول الله في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء، بأن يذهب الله عنهم الرجس بقوله:**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس.**

فإذا كانت الآية نزلت فيهم، وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس، فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ؟!! وإنما أراد رسول الله من دعائه هذا أن يضم الله أصحاب الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نساءه اللاتي نزلت فيهن الآية، في المعنى الذي تضمنته الآية، وهو إرادة التطهير، ورفع الرجس.

2 - روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: " **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ** " .

3 - روى مسلم أن الرسول قال:**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**، ومعلوم أن هذه الدعوة خاصة بأزواجه ، فكان رزقهن قوتاً، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال، كن يتصدقن به، ويجعلن رزقهن قوتاً.

4 - روى البخاري أن النبي دخل في حجرة عائشة فقال:**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله**، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

الرأي الثالث: ذهب أصحاب هذا الرأي أن أهل بيت الرسول هم: أزواج الرسول ، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين،

واستدلوا بما يأتي:

1 - قال الله :{وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: 32].

2 - روى الطبراني عن أم سلمة قالت: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي بَيْتِهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَجَاءَتِ الْخَادِمُ، فَقَالَتْ: إِنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ بِالسُّدَّةِ، فَقَالَ :تَنَحِّي لِي عَنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَتَنَحَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، وَجَاءَ عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَحَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَهُمَا صَبِيَّانِ صَغِيرَانِ، فَأَخَذَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، ووَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ، وَأَخَذَ عَلِيًّا بِإِحْدَى يَدَيْهِ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَغَدَقَ عَلَيْهِمْ قَطِيفَةً سَوْدَاءَ، ثُمَّ قَالَ:**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ لا إِلَى النَّارِ، أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي**، قَالَتْ: فَنَادَيْتُهُ، فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:**وَأَنْتِ**.

الرأي الرابع: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن آل البيت هم: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، دون غيرهم، واستدلوا بما يأتي:

1 - روى الترمذي عن عمر بن أبي سلمة قال: لما نزلت هذه الآية على النبي {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: 32] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة، وحسناً، وحسيناً، فجللهم بكساء، وعلي بن أبي طالب خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال:**اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً**، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال:**أنت على مكانك، وأنت على خير**.

2 - روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول:**الصلاة يا أهل البيت**، ثم يقرأ قول الله :{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: 32].

وهذا الرأي خاص بالشيعة، فقد حصروا أهل بيت النبي في هؤلاء الأربعة: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين ، وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثم اخترعوا طريقة أخرى فأخرجوا أولاد علي غير الحسينين من أهل البيت، ولا يعدون بقية أولاده من أهل البيت من محمد ابن الحنفية، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعبيد الله، ويحيى، ولا أولادهم من الذكور الاثنى عشر، ولا من البنات الثماني عشر

ابنة.

كما أخرجوا بنات السيدة فاطمة ابنة رسول الله ، حيث لا يعدون بناتها زينب وأم كلثوم ولا أولادهما من أهل البيت، وهذه نكتة وطريفة، ومثل هذا الحسن بن علي، حيث لا يجعلون أولاده داخلين في أهل البيت، وكذلك أخرجوا من أولاد الحسين من لا يهوي هواهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا ينهج منهجهم.

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الشرع الحنيف اهتماماً بالغاً بآل بيت رسول الله ، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع من آل بيت الرسول .

لقد جعل الدين الإسلامي محبة أهل البيت والولاء لهم عنصراً أساسياً من عناصر العقيدة، ومقومات الإيمان، ولقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد هذا المبدأ.

فقال :{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23].

روى الطبراني في معجمه الكبير في تفسير هذه الآية: عن ابن عباس قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آية:{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: 23]، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ قَالَ :عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَابْنَاهُمَا.

وقال ابن كثير في تفسير قول الله :{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}: ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً، وحسباً، ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل ذريته.

وهذه الآية تدل على وجوب المودة والمحبة لأهل البيت، الذين نص عليهم الحديث، يقول الإمام الرازي: لا شك أن الرسول يحب فاطمة، لما رواه البخاري أن الرسول قال:فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي، وفي رواية مسلم: أن الرسول قال:إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا.

وثبت بالنقل المتواتر أن النبي كان يحب علياً، والحسن، والحسين، وإذا ثبت هذا فالواجب على الأمة أن تحب ما كان يحبه الرسول ؛ لقول الله :{**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [الأعراف: 185].

ولقوله :{**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: 63].

ولقوله :{**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**} [الأحزاب: 21].

ويقول الرازي أيضاً: أن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

وقال الشافعي (رحمه الله):

يا أهل بيت رسول الله حبكم ::: فرض من الله في القرآن أنزله

ومن الآيات التي تدل على وجوب حب آل البيت، قول الله :{**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداًّ**} [مريم: 96].

فقد روي أن الرسول قال لعلي بن أبي طالب :**يا علي: قل: رب اقذف لي المودة في قلوب المؤمنين، رب اجعل لي عنك عهداً، رب اجعل لي عندك وداً**، فأنزل الله قوله:{**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداًّ**} [مريم: 96].

فلا تلقى مؤمناً ولا مؤمنة إلا وفي قلبه ود لأهل البيت.

وقال علي بن أبي طالب في تفسير قول الله :{**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [القصص: 84]: الحسنة: حبنا أهل البيت، والسيئة: بغضنا، ثم قرأ الآية.

وقال :{**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} [الرعد: 28]، قال علي بن أبي طالب : أن الرسول لما نزلت هذه الآية قال:**ذاك من أحب الله ورسوله ، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون.**

وعلى نفس نهج القرآن تحثنا السنة النبوية على حب آل بيت الرسول ، فروى مسلم أن الرسول قال:**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي.**

وروي أن الرسول قال:**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن.**

ولقد بين لنا الرسول أن حبنا لأهل البيت هو حب للرسول ، فروى الترمذي والطبراني والحاكم أن الرسول قال:**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي.**

وعن زيد بن أرقم قال: كنت عند رسول الله، فمرت فاطمة وهي خارجة من بيتها إلى حجرة الرسول، فقال:**من أحب هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني.**

بل جعل الرسول حب أهل البيت عبادة، فروى الطبراني في الأوسط والكبير أن الرسول قال:**لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ.**

وبين الرسول أن الله سيسأل العبد يوم القيامة عن محبته لأهل البيت، فروى الطبراني في الكبير والأوسط أن الرسول قال:**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ فِيمَا أَنْفَقَهُ وَمِنْ أَيْنَ كَسَبَهُ، وَعَنْ حُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يحقق المسلم فينا الحب الحقيقي لآل بيت الرسول.

أولاً: احترامهم وتوقيرهم:

فالواجب على كل مسلم أن يحترم أهل بيت الرسول ، فاحترام أهل البيت ما هو إلا إجلالاً ومحبة للرسول ، فإذا كان من البر بعد الموت أن يصل الرجل ود أبيه، فإن من أعلى أنواع البر: أن نصل أهل بيت الرسول ، باحترامهم، وتوقيرهم، ومحبتهم.

وإذا كان ابن مسعود يقول بعد موت عمر بن الخطاب: " **لو أن عمر أحب كلباً، كان أحب الكلاب إلي** " فهل يعقل أن يكره مسلم أحداً من آل بيت رسول الله ، وهم أتقى الناس، وأبرهم قلوباً، وأعمقهم علماً، وأخشاهم لله .

ولذالك كان الصحابة يوقرون آل بيت الرسول ، فروى البخاري ومسلم أن أبا بكر قال: " **والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي** ".

وروى البخاري أن أبا بكر قال: " **ارقبوا محمدا في أهل بيته** " أي: احفظوه فيهم؛ فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم.

وقد كان أبو بكر يحب ويجل الحسن والحسين ويمازحهما، فقد روى البخاري عن عقبة بن الحارث قال: " **صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَا شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ** ".

وروي أن قيل لعمر بن الخطاب : إنك تصنع بعلي – يعني من الإكرام - شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله ، فقال عمر بن الخطاب : إنه مولاي.

ثانياً: متابعة آل البيت:

فمتابعة آل البيت في هديهم دليل على محبة التابع لهم، وقد انقسم الناس تجاه حب آل البيت إلى فريقين:

الفريق الأول: غلاة الشيعة، وجهَّال الصوفية: وهؤلاء ارتكبوا باسم حب آل البيت من الشركيات والبدع ما يهتز له عرش الرحمن، فالشيعة يقولون: إن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتهم.

ويقولون: إن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، ويقولون: إن الأئمة يعلمون علم ما كان، وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، وهذا كله بهتان عظيم.

وأما جهال الصوفية: فحدث ولا حرج، تمسُّح بالأضرحة، استعانة

بغير الله ، طواف سبعة أشواط حـول القبـور، طلـب المـدد مـن غيـر الله ، الاخـتلاط بالنسـاء، والخلـوة بهـن فـي الموالـد، تقبيـل أعتـاب الأضـرحة والتمسح بها، ونداءها لنيل الشفاء وتفريج الكرب.

الفريق الثاني: أهل السنة والجماعة: فعقيدة أهل السـنة والجماعـة فـي آل البيت، أنـهم يحبـون المـؤمنين مـنهم، ويـرون أن المـؤمن مـن آل البيـت لـه حقان: حق الإيمان، وحق القرابة.

ويـرون أنـهم مـا شـرفوا إلا لقـربهم مـن الرسـول ، ولـيس هـو الـذي شرف بهـم، ويتبـرؤون مـن طريقـة مـن يغـالون فـي حـبهم، كالـذين رفعـوا بعضهم إلى مقام العصمة.

ويـرون أن آل البيـت علـى مراتـب ومنـازل، وإنهـم وإن تميـزوا، فـلا يعني أن لهم الفضل المطلق على غيرهم في العلم والإيمان، فالثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، أفضل من علي، وإن امتاز عليهم بخصوصيات.

روى البخاري عَنْ مُحَمَّدِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ:قُلْـتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّـاسِ خَـيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ الْـمُسْلِمِينَ.

ثالثاً: الصلاة عليهم:

وقـد بـين الرسـول كيفيـة الصـلاة عليـه، وأن الصـلاة علـى آلـه تبـع للصلاة عليهم، فروى البخاري ومسلم أن أبا حُمَيْدٍ السَّاعِدِي أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله :**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.**

* * *

الاتبـاع

أسبـاب نـعيم القبـر

الاتبـاع

الحمـد لله رب العـالمين: أنـزل الكتـاب المكنـون، وأرسـل السـحاب المتون، تكونت بقدرته الأشياء، وتوالت برحمتـه الآلاء، وانشقت بحكمتـه الأرض والسـماء، وكتـب بمشـيئته السـعادة والهنـاء، فيـرحم مـن يشـاء، ويعذب من يشاء، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليـه، ومـا ربك بغافل عما تعملون.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :**{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}** [البقرة: 138].

وقال :**{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** [المائدة: 50].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنـا أن السـعادة والهدايـة في اتباع منهجه ﷻ، فقـال :**{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}** [طه: 123 - 127].

وأشـهد أن سـيدنا ونبينـا محمـداً : أوجب علينـا جميعاً الاتبـاع، فـروى البخاري أن الرسول قال:**دعوني ما تركتكم عليه، فإنما أهلكَ من كان قبلكم: سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فـاجتنبوه، وإذا أمـرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بـعد : إخوة الإسلام:

الاتبـاع ولـيس الابتـداع: هذا هو عنوان لقائنـا مع حضـراتكم اليوم، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم من

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم :

الحقيقة الأولى: إن من أكبر النعم التي أنعم الله علينا جميعاً، أن أكمل لنا الدين، فلا نحتاج إلى دين غيره، ولا نحتاج إلى رسول غير الرسول.

ولهذا جعل الله الرسول خاتم النبيين، وبعثه إلى الإنس والجن، فقال :**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** [سبأ: 28].

فلا حلال إلا ما أحل الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}** [المائدة: 3].

وقال:**{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}** [الأنعام: 115].

وبالتالي لا يجوز لأي فرد منا مهما بلغ أن يزيد في دين الله شيئاً، أو ينقص من دين الله شيئاً؛ لأن هذا العمل (الزيادة أو النقصان) اتهام الرسول بالخيانة، واتهام الله بالتقصير.

يقول الإمام مالك: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول:**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}** [المائدة: 3].

الحقيقة الثانية: إن الله فرض علينا اتباع سبيله، وما شرع من الدين القويم، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذه الحقيقة، فيقول:**{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمدٍ :**{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا**

وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

فالله بين لنا أن له سبيلاً واحداً، سماه صراطاً؛ لأنه أقرب طريق إلى الحق والخير والسلام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال:هـذا سـبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الرسول قول الله :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

فالواجب علينا جميعاً أن نتبعَ كلَ ما جاء به الرسولُ في جميع أقواله وأفعاله، والتأسي به في سائر أحواله، قال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: 7].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:دعوني ما تركتكم عليه، فإنما أهلكَ من كان قبلكم: سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم.

فمن لم يتبع الرسول وادعى محبته، فهو كاذب في دعواه، فعدم اتباع الرسول عصيان لله ، قال :{مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} [النساء: 80].

ولله در من قال:

تَعصي الإله وأنت تُظهِرُ حُبَّه ::: هذا لعمري في القياسِ شنيعٌ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعتَه ::: إن المحبَّ لمن يُحبُّ مطيعٌ

الحقيقة الثالثة: إن الاتباع لما جاء به الرسول يجب أن يكون في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فالاتباع في كل مجالات الحياة أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذه الحقيقة، فيقول:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

فالمسلم ليس له خيار إذا قضى الله ورسوله أمراً، سواء أكان ذلك الأمر يتعلق بالعقيدة، أم بالعبادة، أم بغيرهما، فليس أمامنا إلا خيار واحد، ألا وهو الاتباع.

وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام عند الرسول في شراج الحرة (مسايل الماء، والحرة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء) التي كانوا يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يَمُرُّ، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله .

فقال رسول الله للزبير: **اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك** فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك!، فتلون وجه الرسول ثم قال: **يا زبير، اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجِـدْرِ** (وجمعه جُدر، والمراد به بالجدر أصل الحائط).

فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}** [النساء65].

الحقيقة الرابعة: إن الله ﷻ حذرنا من عدم اتباع الرسول واتباع الهوى، ورتب العقاب الشديد على ذلك، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: **{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}** [النساء: 115].

وقال : **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: 63].

واقرأ معي قول الله : **{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً}**

[الطلاق: 8 - 11].

وبالفعل لقد خالفت الأمةُ الآن أمرَ ربها، فتفرقت إلى فرق ومذاهب شتى، ففعلت هذه التفرقة الأفاعيل في الأمة، مما جعلت الأمة لقمةً سائغةً لأعداء الله ﷻ، وجعلت الأمة تخضع لأذل أمم الأرض، أليس بنو إسرائيل قد كتب الله ﷻ عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله ؟

إن أغلب المسلمين الآن من هذه الأمة أذل من إخوان القردة والخنازير، لماذا؟ لأن أولئك ضيعوا التوراة فأذلهم الله ، وهؤلاء ضيعوا أعظم من التوراة، فأذلهم الله .

فالواجب على كل المسلمين إذا أرادوا أن يخرجوا من هذه الدوامة التي تمر بها الأمة الإسلامية الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ، وإلا فإن الأمر سيزداد شدة على شدة، ومرارة على مرارة، ونحن قد لمسنا هذا بأيدنا، فماذا نريد بعد هذا؟ وإلى متى هذا التيه في الظلمات، والقرآن بين أيدينا، وسنة الرسول بين أيدينا، وفيهما النجاة، والضمان من الهلاك والخسران، قال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 123 - 127].

وروى الترمذي أن الرسول قال:إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

الحقيقة الخامسة: ما هو الاتباع؟ الاتباع هو: أن يجعل كل مسلم فينا الرسول قدوته، مصداقاً لقول الله :{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً} [الأحزاب: 21].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الاتباع.

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بالاتباع؛ لأن الاتباع أصل الدين، فالله قبل أن يأمرنا بالاتباع أمر نبيه محمداً ، فقال :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [الأحزاب: 1، 2].

وقال :{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ} [يونس: 109].

وقال :{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ} [الجاثية: 18، 19].

وقال :{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 123].

وقال :{لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: 16 - 18].

وفي نفس الوقت نجد أن الله حذر نبيه محمداً من عدم الاتباع، فقال :{وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

وقال :{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 145].

بل نجد أن الله وجه إنذاراً شديد اللهجة للرسول لو تقول على الله ، فقال :{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ *فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: 44 - 47].

بل كانت مهمة الأنبياء السابقين تعليم أممهم الاتباع، فقال على لسان سيدنا إبراهيم :{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً} [مريم: 43].

وهذا سيدنا هارون ، قال :{وَلَقَدْ قَالَ لَـهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} [طه: 90].

ولقد أمرنا الله بالاتباع، فقال:{الـمص* كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 1 - 3].

وقال :{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: 15].

ولقد علق الله محبته باتباع نبيه محمد ، فقال :{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: 31].

ورتب الله الفلاح على الاتباع، اقرأ معي قول الله :{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

وعلق الله الهداية على الاتباع، فقال:{فَآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158].

ورتب الله السلام على الاتباع، فقال :{وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طـه: 47]. وفي آية أخرى رتب الله الأمان على الاتباع، فقال :{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38].

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجوب الاتباع، والتي تزيد على الخمسين آية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية الاتباع في حياة المسلم.

وإذا نظرنا إلى السنة النبوية نجد أنها اهتمت اهتماماً بالغاً بالاتباع، فروى البخاري عن جابر أنه قال: جَاءَتِ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ.

فَقَالُوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إِنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، مَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ.

فَقَالُوا: أَوِّلُوها له أَنْ يَفْقَهَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، قَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ، فَقَدْ أَطَاعَ الله ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ، فَقَدْ عَصَى الله ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ.

وروى البيهقي أن الرسول قال:**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مائة شهيد.**

فهذا بيان لأهمية الاتباع والتمسك بسنة الرسول ، وبالأخص عند انتشار الفساد.

وروى الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال :**أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ** وفي رواية البيهقي:**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة سلفنا الصالح؛ لنتعلم كيف يكون الاتباع لمنهج الله ومنهج الرسول .

النموذج الأول: في صلح الحديبية وعندما تم الاتفاق على بنود الصلح، اعترض بعض الصحابة على هذا الصلح، لما فيه من شروط جائرة.

ووقف سيدُنا عمر بن الخطاب معترضاً، فقال: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله فَقُلْتُ:

أَلَسْـتَ نَبِـيَّ الله حَقًّـا؟ قَـالَ :بَـلَى، قُلْـتُ: أَلَسْـنَا عَلَـى الْحَـقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَـى الْبَاطِـلِ؟ قَـالَ :بَـلَى قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّـة فِـي دِينِنَـا إِذًا؟ قَالَ :**إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي**، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ، قَالَ :بَلَى، **فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ**، قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ :**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**.

قَالَ عمر : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّة فِي دِينِنَا إِذًا؟

قَالَ أبو بكر : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ الله وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَ الله إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ، قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ، قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

النموذج الثاني: سيدنا عمر بين الخطاب عندما استلم الحجر الأسود قال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت الرسول يقبلك ما قبلتك.

النموذج الثالث: روى البيهقي أن عليَّ بن أبي طالب قال: لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكني رأيت الرسول يمسح على ظاهرهما.

وهكذا يكون الاتباع للرسول الذي قال الله في حق من حاد عن هديه:{**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: 63].

وكيف لا نتبع هدي الرسول وقد قال الله في شأنه:{**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**} [التوبة: 128].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على ثمرة الاتباع:

أولاً: الاتباع دليل المحبة الكاملة، ويجلب محبة الله لعبده:

قال:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: 31].

ثانياً: الاتباع دليل الفلاح وقبول التوبة:

قال :{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى} [طه: 123].

وقال:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: 51].

ثالثاً: الاتباع مجلب لرحمة الله ومغفرته ورضوانه:

قال:{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ الله والله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: 173، 174].

وقال:{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس: 11].

رابعاً: دعاء الملائكة:

قال :{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر: 7 - 9].

خامساً: السعادة في الدارين: [رضا الله]:

قال :{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100].

سادساً: حصول الهداية:

قـال :{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15، 16].

وقـال :{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّـذِينَ هَـدَاهُمُ الله وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر: 18].

وقال :{فَآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بالله وَكَلِمَاتِـهِ وَاتَّبِعُـوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158].

سابعاً: السلام:

فقال :{وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: 47].

ثامناً: الأمان:

فقال :{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38].

* * *

التقــوى

أسبــاب نـعيم القبــر

التقـــوى

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :**{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ}** [النحل: 127].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: إذا قال العبد: لا إله إلا الله، أخذها ملك وصعد بها إلى السماء، فيلتقيه ملك نازل إلى الأرض، فيسأل الملكُ النازلُ الملكَ الصاعدَ: إلى أين؟ فيقول الملكُ الصاعدُ: أصعد بكلمة لا إله إلا الله من عبد قالها، ثم يسأل الملكُ الصاعدُ الملكَ النازلَ: وأنت إلى أين؟ فيقول الملكُ النازلُ: أنزل له ببراءة من النار من قبل الواحد القهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل التقوى سبباً في النجاة من كل كرب، فقال :**{وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}** [الطلاق: 2، 3].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل التقوى سبباً في دخول الفرد الجنة، فروى الترمذي أن الرسول قال:**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع درس من الدروس المستفادة من الصيام، بل يعتبر من أهم الدروس، هذا الدرس الذي معنا اليوم أعلن عنه القرآن الكريم، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: 183].

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: لا يوجد إنسانٌ على وجه الأرض إلا وهو يبحث عن السعادة، فهي غاية يتفق فيها البشر على اختلاف عقائدهم وعقولهم ومبادئهم وغاياتهم.

فلو سألت أي إنسان عن أي شيء تبحث عنه؟ لأجابك على الفور: أبحث عن السعادة، فكل الناس يريدون السعادة، ولكن الكثير من الناس يخطئ الطريق الموصل للسعادة!

فكثير من الناس يظن أن السعادة في جمع المال! وهذا ليس بحقيقة، فربما يكون المال سبباً من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة، إذا لم يدرك صاحب المال غايته، وكلنا نعلم قصة قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض، فقال: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: 81].

وقد يظن بعض الناس أن السعادة في الشهرة، وقد يظن البعض الآخر أن السعادة في الجاه والمنصب، وقد يظن البعض الآخر أن السعادة في الأولاد والزوجة، وكل هذا وهم خاطئ واعتقاد باطل.

ولكن أين توجد السعادة الحقيقية؟ إن السعادة الحقيقية تكمن في تقوى الله ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: 52].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

وقال: {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: 2، 3].

ولقد أشارت السنة النبوية إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى أحمد عن

أبـي سـعيد الخـدري : أن رجـلاً جـاءه، فقـال: أوصـني، فقـال أبـو سـعيد الخــدري : ســألتَ عمــا ســألتُ عنــه رســول الله مــن قبلــك، فقـال :**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهـاد، فإنـه رهبانيـة الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحـك في السـماء، وذكـرك في الأرض.**

وأوصـى رسـول الله أبـا ذر، فقـال لـه:**أوصـيك بتقـوى الله في سرائـك وعلانيتك.**

فالواجب على كل مسلم يبحث عن السعادة ويتمناها أن يتخلق بخلق التقوى، فاستمسك بها أخي المسلم، واجعلها مالك إن كنت فقيراً، اجعلها جندك إن كنـت ضـعيفاً، اجعلهـا حارسـاً أمينـاً لنعمتـك إن كنـت ذا نعمـة، اجعلها بركة دارك وأهلك إن كنت ذا مال وعيال، اجعلها ذخراً لعقبك إن كان لك عقب وذريـة، اجعلهـا أنيسك إن كنـت غريبـاً، اجعلهـا جليسك إن كنت وحيداً، اجعلها دواءك إن كنت مريضـاً عليلاً، ازرعهـا فـي أولادك وأحبائـك، وحـض عليهـا أصـحابك وأتباعـك، وأوصـي بهـا أهلك وذويك، وصدق الله إذ يقول:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}** [آل عمران: 102].

ويقـول :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَـدِيداً * يُصْـلِحْ لَكُـمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَـن يُطِـعِ الله وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزاً عَظِـيماً}** [الأحزاب: 70، 71].

الحقيقة الثانية: إن التقوى هي ميزان التفاضل بين النـاس، ولقد أشـار الرسـول إلـى هـذه الحقيقـة، فـروى الترمـذي وصـحح الحـديث الشـيخ الألبـاني: لمـا فـتح رسـول الله مكـة، ودخـل المسـجد الحـرام، وأقبـل إلـى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طـاف بالبيت وفـي يده قـوس، وحـول البيت وفوقه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بـالقوس، ويقول:**{وَقُـلْ جَـاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}** [الإسراء: 81]

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول بلال بن رباح أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام،

جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال أبو سفيان بن حرب: إني لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرتْ عني هذه الحصباءُ، فيخبره به رب السماء.

فأتى جبريل رسول الله وأنزل عليه قول الله :**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات: 13]

فلقد جعلت التقوى من العبيد سادة، ومن المستضعفين قادة، جعلت التقوى من رعاة الغنم زعماء للبشر، لقد جعلت التقوى من بلال الحبشي أخا لسلمان الفارس، جعلت التقوى حمزة القرشي أخا لصهيب الرومي، لا فرق بين هذا وذاك، بل لا فضل بين أبيض على أسود، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لفضل لقرشي على حبشي إلا بالتقوى.

روى أحمد أن الرسول قال:**أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال :**فليبلغ الشاهد الغائب.**

ولقد جعل الله التقوى ميزان التفاضل بين الناس في الآخرة، فروى البيهقي والطبراني في الأوسط والكبير، أن الله يقول في الحديث القدسي الذي يرويه لنا الرسول :**إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، يقول الله : يا أيها الناس إني جعلت لي نسباً، وجعلت لكم نسباً، فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم، قلت: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وأبيتم إلا فلان ابن فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، أين المتقون؟ فيُنْصَبُ للمتقين لواءٌ فيتبعون لواءهم، فيدخلون الجنة بغير حساب.**

الحقيقة الثالثة: ما هي التقوى؟ التقوى هي: أن يمتثل الإنسان إلى ما أمر به المولى ، ويجتنب ما نهاه عنه، وأن يعبد الله بصدق وإخلاص نية كأنه يراه، فإن لم يكن يرى ربه، فإن ربه يراه.

التقي هو من يتحقق فيه قول الله :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: 133 - 136].

التقي هو من يتحقق فيه قول الله :{الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 1 - 5].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من التقوى.

لقد اهتم الشارع الحنيف بالتقوى اهتماماً بالغاً، فإذا ما فتحت كتاب الله لتقرأ، فلا تكاد تقرأ سورة من سور القرآن إلا وتجد فيها أمراً بالتقوى، أو حثاً للعمل بها، أو بياناً لجزاء المتقين، فهي متخللة في كل آياته، شائعة بين كلماته، كما أنها واردة في كل ما شرعه الله لنا.

فعلى سبيل المثال: لما شرع الله القصاص، ذكر ثمرته، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 178، 179].

ولما شرع الله الوصية جعلها حقاً على المتقين، فقال :{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 180].

ولما شرع الله الصيام لعباده بين أن هذه العبادة تثمر التقوى، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183].

ولما شرع الله قتال الكفار، بين أنه مع المتقين، فقال :{الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 194].

ولما فرض الله الحج والعمرة وأمر بإتمامها، ووضح بعض الأحكام المتعلقة بهما، أمر بالتقوى، فقال :{وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ * الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} [البقرة: 196، 197].

وعندما بين الله ما يحل وما يحرم من الصيد في حالة الإحرام أمر بالتقوى، فقال :{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المائدة: 96].

ولما بين الله بعض أحكام الطلاق، أمر بالتقوى، فقال :{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 231].

وعندما بين الله أحكام الرضاع وما يتعلق به، أمر بالتقوى، فقال : {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ} [البقرة: 233].

ولمـا امـتن الله على عبـاده بتحليـل الطيبـات لهـم أمـرهم بـالتقوى، فقال: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ} [المائدة: 4].

ولما أنعم الله على المؤمنين بنعمة الطهارة، أمر بالتقوى، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [المائدة: 6، 7].

وعندما أمر الله بتحري الصدق والعدل في الشهادة، أمر بالتقوى، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

ولما أراد الله أن يحرم الربا، نادى عليهم بنداء المؤمنين، وأمرهم أن يبتعدوا عن أكل الربا، ثم أمرهم بعد ذلك بالتقوى، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [البقرة: 278، 281].

وعندما بين الله أنه يجوز كتابة الدين، أمر جميع الأطراف بالتقوى،

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 282].

ولما بين الله أن الرجل يأتي امرأته بأي طريقة طالما الإتيان في موضع الحرث، أمر بالتقوى، فقال :{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 223].

وإذا خاف على الإنسان على أولاده بعد موته، فعليه بتقوى الله ، فقال :{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: 9].

ولقد أمر الله نبيه محمداً بالتقوى، فقال :{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً} [الأحزاب: 37].

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم قلما نجد سورة تخلو من الأمر بالتقوى، حتى بلغ ذكرها في القرآن الكريم مائة وثمان وخمسون مرة.

بل كانت التقوى وصية جميع الأنبياء والمرسلين لأقوامهم، لأنها الهدف العام الذي بعث الله من أجله الرسل.

فهذا سيدنا نوح يأمر قومه بالتقوى، فقال : كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 105 - 107].

وهذا سيدنا هود قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ* فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 123 - 131].

وهذا سيدنا صالح قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ* وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ *وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ} [الشعراء: 141 - 151].

وهذا سيدنا لوط قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 160 - 163].

وهذا سيدنا شعيب قال الله في شأنه:{كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 176 - 179].

وهذا سيدنا إبراهيم يأمر قومه بالتقوى، فقال :{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا الله وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 16].

وهذا سيدنا عيسى يأمر قومه بالتقوى، فقال :{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا الله إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة: 112].

وهذا سيدنا إلياس يأمر قومه بالتقوى، فقال :{وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصافات:

123 - 125].

إخوة الإسلام:

لقد أصبح كثير من الناس يفهمون التقوى فهماً ضيقاً، ويحسبونها مجرد ركعات تصلى وأيام تصام، ورسوم ظاهرة تؤدى، وطقوس تنظم وتقام، وكذلك تراهم مع صلاتهم وصيامهم من الحرام يعيشون، وبالربا يتعاملون، وللسرقة والغش والخيانة يفعلون، ولحقوق الناس يغتالون، وبالكذب والنفاق والرياء وخراب الذمم يتعاملون، ومع ذلك يحسبون أنهم لمجرد صلاتهم أو صيامهم متقون ناجون، ألا فليعلم هذا الصنف من الناس أنهم عن طريق النجاة حائدون، وعن سبيل الخير والفلاح ضالون، وفي شهواتهم وأهوائهم متورطون، وصدق الله إذ يقول:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: 103 - 106].

ليست التقوى كذلك أيها المسلم، بل التقوى عبادة ومعاملة، فالتقي يعبد الله عبادة صحيحة خالية من الرياء، بعيدة عن البدع والخرافات، لا دجل فيها، ولا شعوذة ولا تضليل، ثم بعد ذلك يعامل الناس معاملة حسنة، ومعاملة مبنية على الذمة والأمانة، وسلامة النية، وطهارة القلب، فلا يداهن، ولا يغش، ولا يخادع، ولا يمكر الناس.

ولقد أمرنا الرسول بالتقوى في كل الأحوال والظروف والمناسبات، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه:**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.**

يعلمنا الرسول من خلال هذا الحديث أن التقوى تكون في الصلاة وفي الصوم وفي الزكاة والحج، وتكون كذلك في البيع والشراء، وفي الأخذ والعطاء، وتُطلبُ من الإنسان بالليل وبالنهار، في الصباح والمساء، في حالة الشدة والرخاء، وفي أي حالة وجد عليها الإنسان نفسه.

ولقد ضرب لنا الرسول أروع الأمثلة في تقوى الله، فكان يصلي حتى

تتورم قدماه، وكان على شدة قربه من ربه، يخشاه ويخافه، فكان يقول: **أنا أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية.**

وكذلك كان الصحابة خير مثل للتقوى، فكانوا إلى الخيرات يسارعون، وعلى ملء حياتهم بالطاعات يحرصون، يروى أن الرسول قال في أصحابه: **من أصبح منكم صائماً؟** قال أبو بكر: أنا، فقال الرسول: **من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟** قال أبو بكر: أنا، فقال الرسول: **من عاد منكم مريضاً؟** قال أبو بكر: أنا، فقال الرسول: **من شيع منكم اليوم جنازة؟** قال أبو بكر أنا، قال: **ما اجتمعت هذه الأربعة في امرئ إلا دخل الجنة.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الثواب الذي أعده الله للمتقين.

أولاً: الثواب الدنيوي:

1 - **معية الله**:

قال: **{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}** [التوبة: 36].

2 - **محبة الله**:

قال: **{إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** [التوبة: 4].

3 - **الخيرية**:

قال: **{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}** [الأعراف: 26].

4 - **النجاة**:

قال: **{وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}** [النمل: 53].

5 - **قبول الأعمال**:

قال: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** [المائدة: 27].

7 - تكفير السيئات ومغفرة الذنوب:

قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ} [الأنفال: 29].

8 - تسهيل الأعمال:

قال: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: 5 - 7].

9 - نزول البركات:

قال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96].

ثانياً: الثواب الأخروي:

1 - البشرى: قال: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [يونس: 62 - 64].

2 - الجنة: قال: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللهِ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ} [آل عمران: 198].

وقال: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ المِيعَادَ} [الزمر: 20].

وقال: {إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر: 54، 55].

* * *

طاعة الله سبحانه وتعالى

أسباب نعيم القبر

طاعة الله

الحمد لله رب العالمين: المتوحد بإبداع المصنوعات، المتفرد باختراع المخلوقات، المخصوص بقدم الأسماء والصفات، المنزه عن التحيز والسكون والحركات، القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: حدد الشعار الذي ينبغي على كل مؤمن أن يلتزمَ به، فقال :**{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}** [النور: 51، 52].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : أوجب السمع والطاعة على كل فرد مسلم، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحب أو كره، ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

طاعة الله هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم اليوم، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الإنسان العاقل هو الذي يعلم أن عمره في الدنيا

محدود، وأنفاسه في هذه الدار معدودة، وعمله محسوب له أو عليه، وأن الموت نهايته، وأن القبر بيته، وأنه يوجد هناك سؤال منكر ونكير، وأن القيامة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجميع يُعرض على الله للحساب، وأن هناك جنة أو نار كما يريد الواحد القهار، فما النجاة من هذه الأهوال كلها؟.

النجاة تكمن أو تتمثل في طاعة الله وطاعة رسوله ، فالسعيد من أطاع الله ورسوله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال : {تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [النساء: 13].

واقرأ معي قول الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

وقال :{وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بالله عَلِيماً} [النساء: 69، 70].

فالواجب على كل مسلم يريد النجاة من أهوال الآخرة أن يحقق الطاعة لله ولرسوله ، انطلاقاً من قوله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

الحقيقة الثانية: إن جميع المخلوقات تدين لله بالطاعة، أياً كانت هذه المخلوقات، سواءً أكانت حيوانات، أم جمادات، أم نباتات.

اسمع معي إلى قول الله وهو يشير إلى هذه الحقيقة، فقال : {أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: 83].

ويقول :{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا

أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 9 - 11].

وقال :{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} [الإسراء: 44].

ويقول :{وَللهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} [الرعد: 15].

المخلوق الوحيد الذي شذ في جزء من بني جنسه هو الإنسان، قال : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: 18].

الحقيقة الثالثة: إن طاعة الله ، وطاعة الرسول ، يجب أن تكون في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فطاعة الله ، وطاعة رسوله في كل مجالات الحياة أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

وقال :{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: 51].

فالمسلم ليس له خيار إذا قضى الله ورسوله أمراً، سواء أكان ذلك الأمر يتعلق بالعقيدة، أم بالعبادة، أم بغيرهما، فليس أمامنا إلا خيار واحد، ألا وهو طاعة الله ، وطاعة رسوله .

وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام عند الرسول في شراج الحرة (مسايل الماء، والحرة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء) التي كانوا يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يَمُرُّ،

فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله .

فقال رسول الله للزبير:اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك!، فتلون وجه الرسول ثم قال:يا زبير، اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجِدْرِ، (وجمعه جُدر، والمراد به بالجدر أصل الحائط).

فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

الحقيقة الرابعة: إن الله حذرنا من المعصية، ورتب العقاب الشديد على ذلك، فقال :{وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14].

وقال ﷻ:{وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [الجن: 23].

ولقد وجه الله إنذاراً شديدَ اللهجة لكل من تُسول له نفسُه الانحرافَ عن طاعة الله ورسوله ، فقال :{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا الله يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِالله وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ الله لَهُ رِزْقاً} [الطلاق: 8 - 11].

فمعصية الله تورث الذل؛ لأن العز كل العز في طاعة الله ، فقال :{مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر: 10].

أي: فليطلبها بطاعة الله .

ولذلك كان إبراهيم بن أدهم يدعو ربه بهذا الدعاء ويقول: " اللهم

أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك ".

واسمع إلى ما قاله عبد الله بن عباس في أثر المعصية على العبد: " **إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن، وضيقاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلائق** ".

فإياك أخي المسلم أن تكون من الذين انحرفوا عن طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وأصبحوا من العاصين.

فإن كنت ممن انحرفوا عن منهج الله ، وعن منهج الرسول ، فينطبق عليك قول الله :{**وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**} [النساء: 14].

الحقيقة الخامسة: ما هي الطاعة؟

الطاعة هي: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

أو بمعنى آخر: أن يحقق الإنسان منهج افعل ولا تفعل، قال :{**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ**} [الحشر: 7].

وقال ﷻ:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**} [البقرة: 208].

قال ابن عباس : " **يعني الطاعة** ".

وروى البخاري ومسلم: أن أعرابياً جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة، قال الرسول :**تعبدُ اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصومُ رمضان**.

قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى، قال الرسول :**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الطاعة.

لقد اهتم الشرع الحنيف اهتماماً بالغاً بالطاعة؛ لأنها هي الأساس لكل

شيء، فلقد أرسل الله جميع الرسل ليعلموا الناس تحقيق الطاعة لله .

فهذا سيدنا نوح قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 105 - 107].

وقال :{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [نوح: 1 - 4].

وهذا سيدنا هود قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ* فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 123 - 131].

وهذا سيدنا صالح قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ* وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ} [الشعراء: 141 - 151].

وهذا سيدنا لوط قال الله في شأنه:{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 160 - 163].

وهذا سيدنا شعيب قال الله في شأنه:{كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 176 - 179].

وهذا سيدنا عيسى قال الله في شأنه:{وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ

وَأَطِيعُونِ} [آل عمران: 50].

وهذا سيدنا هارون قال الله في شأنه:{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} [طه: 90].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله نساء الرسول بالطاعة، فقال :{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: 32، 33].

بل وأمرنا الله بالطاعة له ولرسوله ، فقال ﷻ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 33].

وقال :{فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

وعندما أمر الله المؤمنين بالتثبت عند لقاء العدو، أمرهم بالطاعة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 45، 46].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

إلى غير ذلك من الآيات التي تأمرنا بوجوب الطاعة لله ﷻ ولرسوله .

إخوة الإسلام:

لقد جعل الشارع الحنيف الطاعة من مقتضيات الإيمان الكامل، فإيماننا لا يكمل بل لا يصح إلا إذا حققنا منهج الطاعة لله ولرسوله ، فقال :{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 64، 65].

فكل فرد فينا يقول: أنا مؤمن، ولكن من منا سأل نفسه ما علامة هذا الإيمان؟

إنها الطاعة بلا انحراف وتردد، اقرأ معي قول الله :{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: 51، 52].

فهذا هو شعار المسلم: طاعة بلا انحراف، وسمع بلا تردد.

أخي المسلم:

اعرض نفسك على أوامر الله ، وأوامر رسول الله ، واسأل نفسك: هل امتثلت لأوامر الله ، وأوامر رسوله ؟ هل وقفت عند حدود الله ، وحدود رسوله ؟

فإن كنت ممن سمع الأمر وامتثل، والنهي فاجتنب، والحد فوقف عنده، فأنت مطيع لله ﷻ ولرسوله ، وينطبق عليك قول الله :{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [النساء: 13].

وإن كنت ممن سمع الأمر ولم يمتثل، والنهي فلم ينته، والحد فلم يقف، فاعلم أنك عاص لله ﷻ ولرسوله ، وينطبق عليك قول الله ﷻ:{وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14].

فشعار المسلم السمع والطاعة، وشعار المنافق السمع والمعصية، قال الله :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ باللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} [النساء: 60 - 63].

وقال :{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بالله وَبالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْـمُؤْمِنِينَ* وَإِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لـَّهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَم ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ الله عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: 47 - 52].

والله الذي لا إله إلا هو ما رحمت هذه الأمة إلا ببركة السمع والطاعة، والله الذي لا إله إلا هو ما نالت هذه الأمة الخيرية إلا من يوم حققت منهج سمعنا وأطعنا، والله الذي لا إله إلا هو ما خفف الله عن هذه الأمة إلا بعد أن حققت منهج سمعنا وأطعنا.

واسمع إلى بركة السمع والطاعة، لما نزل على رسول الله قول الله ﷻ:{لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284].

قال أبو هريرة: " اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ، فانطلقوا حتى جثوا على الركب بين يدي رسول الله ، وقالوا: يا رسول الله كلفنا من العمل ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، ولقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها ".

فغضب الرسول وقال:أتريدون أن تقولوا ما قاله اليهود والنصارى: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْـمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ} [البقرة: 285].

فلما فعلوا ذلك، نسخها الله ، فأنزل الله ﷻ قوله:{لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286].

استجاب الله وخفف عن الأمة الإسلامية ببركة السمع والطاعة، وإن ما تحياه الأمةُ الآن من شقاءٍ، وضنكٍ وضيقٍ في الرزق، وغلاءٍ في الأسعار، وتسليط عدوٍ علينا من غيرنا، يأكل خيراتنا، وينهب ثرواتنا، ويحتل أرضنا، إنما هو نتيجة حتمية لانحراف الأمة عن منهج سمعنا وأطعنا.

فيا من تدعي الإيمان:

أمرك الله بالصلاة في وقتها، فهل أديت الصلاة في أوقاتها؟

أمرك الله أن تؤدي الزكاة، فهل أديت الزكاة كما أمرك الله ﷻ؟

أمرك الله بترك الحرام والربا، فهل تركت الحرام والربا؟

أمرك الله ببر الوالدين، هل امتثلت الأمر؟

أمرك الله بالإحسان إلى الأقارب، هل امتثلت الأمر؟

أوامر كثيرة اعرض نفسك عليها، وهناك نواهي من الشرع الحكيم، هل انتهيت عنها؟ نهاك الشرع عن الغيبة والنميمة والظلم وأكل أموال الناس بالباطل، هل انتهيت عن هذا كله؟.

أخي المسلم:

ادع الله أن يرزقك الطاعة، فأفضل شيء يحصل عليه الفرد هو طاعة الله ﷻ، فالرسول كان يدعو الله أن يرزقه الطاعة.

فروى الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال: قلما كان رسول يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا**

من لا يرحمنا.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة سلفنا الصالح لنتعلم كيف تكون الطاعة لله ولرسوله .

النموذج الأول: كان سيدنا أبو بكر ينفق على رجل فقير يسمى مسطح بن أثاثة، وكان هذا الرجل ممن يتكلم في حادثة الإفك، فلما قال ما قاله عن السيدة عائشة ونزلت الآيات تبرئ السيدة عائشة، قال سيدنا أبو بكر ساعتها: **"والله لا أعد أنفق على مسطح أبداً"**

فنزل قول الله ﷻ :**{وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [النور: 22].

فدعا الرسول أبا بكر ، فتلا عليه هذه الآية، فما أن سمعها أبو بكر حتى قال: بلى والله إني لأحب أن يغفرَ اللهُ لي، والله لأردنَّ على مسطح ما كنت قطعتُه منه.

الله أكبر: إنه لم يتوان لحظة عن طاعة الله ولا عن طاعة رسول الله ، إنه لم يقل للرسول : إنه دنس كرامتي ولطخ شرفي، وآذاني في عرضي، ولكنه كان من الذين قالوا: سمعنا وأطعنا.

وكثير من الصحابة غير سيدنا أبي بكر، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ، فطاعة الله ﷻ هي حصن رب العالمين ، الذي من دخله كان من الآمنين.

النموذج الثاني: انطلق الرسول إلى السيدة زينب بنت جحش ليخطبها لسيدنا زيد بن حارثة ، وكانت بنت عمته، فظنت أن الرسول يخطبها لنفسه، فلما تبين أن الرسول يريدها لزيد بن حارثة، كرهت وأبت وامتنعت، وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش، وأن زيداً كان بالأمس عبداً، فنزل قول الله ﷻ :**{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً}** [الأحزاب: 36].

فقال له أخوها: مرني بما شئت، فزوجها من زيد.

النموذج الثالث: روى البخاري عن أنس بن مالك قال: كان غلام يهودي يخدم الرسول فمرض، فأتاه الرسول يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له:**أسلم** فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، ففرح الرسول وهو يقول:**الحمد لله الذي أنقذه من النار.**

النموذج الرابع: قبل وفاة الرسول كان الرسول قد أعد جيشاً تحت إمْرة أسامة بن زيد، وجهته الشام، وكان الجيش يوم أن مات الرسول معسكراً على بعد ثلاثة أميال من المدينة متهيأً للسير، وأرجأت وفاةُ الرسول زحفه، واختلف الرأي بعد هذا في أمره.

فرأى فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن بعث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبة، في الوقت الذي أصبحت المدينة نفسها عاصمة الإسلام مهددة بغزو المرتدين، ورأوا ضرورة عودة الجيش إلى المدينة؛ ليكون في مواجهة الأحداث، وكان أسامة من أصحاب هذا الرأي.

والمسألة حين تقاس بالمنطق المجرد لا يبدو الصواب إلا في هذا الرأي، الذي تبناه عمر وأسامة بن زيد .

لكن أبا بكر أراد أن يعطي الدنيا بأسرها درساً عملياً في طاعة الله ﷻ ورسوله ، فكل قضية عند أبي بكر تتسع للاجتهاد، إلا قضية أبرم الله ﷻ فيها حكماً، أو أصدر الرسول فيها أمراً.

ولقد أمر الرسول قبيل وفاته أن ينفذ بعث أسامة، فليكن ما أمر الرسول به، مهما تكن مستجدات الظروف، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة.

فقال أبو بكر : أنفذوا بعث أسامة، فو الله لو خطفتني الذئاب لأنفذته، كما أمر رسول الله ، وما كنت أرد قضاء قضاه الرسول .

وعاد بعض المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب يطلبون من أبي بكر أن يجعل على رأس الجيش قائداً غير أسامة الذي كان فتى صغيراً محدود الخبرة، لا سيما وفي هذا الجيش شيوخ الصحابة .

وهذه المسألة إذا بحثت في ضوء المنطق المجرد، يبدو ذلك الرأي سديداً، لم يكد عمر بن الخطاب يعرض الرأي على أبي بكر حتى وثب أبو بكر من مكانه، وأخذ بلحية عمر بن الخطاب ، وقال: ويحك يا بن الخطاب أيوليه رسول الله ، وتأمرني أن أعزله، فماذا كانت نتيجة بعث جيش أسامة؟

كانت النتيجة أن القبائل التي مر بها جيش أسامة وهو في طريقه إلى الشام، لم تكد ترى هذا الجيش حتى عاد إليها صوابُها.

وقال بعضُهم لبعضٍ: والله لو كانت المدينة تئن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا، ما كان بوسعها أن تبعث هذا الجيش في هذه الأيام لتقاتل الروم.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على فوائد الطاعة التي تعود على من التزم بها، فهناك فوائد دنيوية وفوائد أخروية، أما الفوائد الدنيوية تتمثل فيما يأتي:

أولاً: الهداية:

قال :{قُلْ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} [النور: 54].

ثانياً: الفلاح والفوز:

قال :{وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52].

ثالثاً: كمال الأجر:

قال :{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 14].

رابعاً: الرحمة:

قال :{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71].

خامساً: التمكين في الأرض:

قال :{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

وأما الفوائد الأخروية فهي ما يلي:

أولاً: الفوز العظيم:

قال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

ثانياً: الفوز بالجنة:

قال :{لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً} [الفتح: 17].

ثالثاً: المعية مع الأنبياء:

قال :{وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً} [النساء: 69].

* * *

ذكـــر الله عَزَّ وَجَلَّ

أسبـاب نـعيم القبـر

ذكــر الله

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ} [النحل: 127].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون، إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: يذكر من يذكره، فقال :{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152].

وروى البخاري ومسلم أن الله يقول في الحديث القدسي:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل طمأنينة القلب متوقفة على ذكره ﷻ، فقال :{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الذاكرين لله في ظلال عرش الرحمن ﷻ يوم القيامة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: ذكـــــر الله ، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر

عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الإنسان العاقل هو الذي يعلم أن عمره في الدنيا محدود، وأنفاسه في هذه الدار معدودة، وعمله محسوب له أو عليه، وأن الموت نهايته، وأن القبر بيته، وأنه يوجد هناك سؤال منكر ومنكير، وأن القيامة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجميع يعرض على الله للحساب، وأن هناك جنة أو ناراً كما يريد الواحد القهار، فما النجاة من هذه الأهوال كلها؟.

النجاة تكمن أو تتمثل في ذكر الله ، فالسعيد من داوم على ذكر الله ﷻ، والشقي من غفل عن ذكر الله .

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الحاكم وأحمد والطبراني في معجميه الأوسط والصغير، ورجالهما رجال الصحيح، أن الرسول قال:**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى مِنَ الْعَذَابِ، مِنْ ذِكْرِ الله** ، **قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ:وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ**.

فالواجب على كل مسلم يريد النجاة من أهوال الآخرة، أن يداوم على ذكر الله ، انطلاقاً من قوله :**{فَاذْكُرُوا الله كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً}** [البقرة: **200**].

وقال :**{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً}** [النساء: **103**].

الحقيقة الثانية: إن قضية ذكر الله ليست بالقضية الهينة التي نذكرها مرة وكفى، وإنما ينبغي أن تكون قضيةً ملحة في حياتنا، فيجب أن يكون الله منا على بال، لماذا؟ لعدة أسباب:

السبب الأول: لأنه ما من عبادة تعبدنا الله بها، إلا ولها وقت معلوم، وحد معلوم، إلا عبادة الذكر، فإنها ليس لها وقت معلوم، ولا حد معلوم،

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً} [الأحزاب: 41].

وقال :{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} [النساء: 103].

وبالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والسر والعلانية، وعلى كل حال، فقال :{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: 42].

السبب الثاني: لأن ذكر الله هو الحل الأمثل لكل المشاكل التي نعاني منها الآن، كيف هذا؟

نعم: فإذا كنت تشكو أنك لا تستطيع أن تغض بصرك عما حرمه الله ، فعليك بذكر الله ، وإن كنت تشكو من الفتور في الطاعة، فعليك بذكر الله ، وإن كنت تشكو من ضعف القوة في العبادة، فعليك بذكر الله ، وإن كنت تشكو من الفقر، فعليك بذكر الله ، وإذا كنت تشكو من غيبة الضمير، فعليك بذكر الله ، وإن كنت تشكو من عدم الأمان، فعليك بذكر الله .

نعم لا أبالغ إذا قلت لكم: أن الحل الأمثل لكل مشاكلنا المداومة على ذكر الله ، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد عن أبي سعيد الخدري : أن رجلاً جاءه، فقال: أوصني، فقال أبو سعيد الخدري : سألتَ عما سألتُ عنه رسول الله من قبلك، فقال :**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض**.

وروى مالك والترمذي وابن ماجه وأحمد أن الرسول قال:**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قال :ذِكْرُ اللهِ** .

السبب الثالث: لأن ذكر الله هو باب الله الأعظم، المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن الكريم، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

السبب الرابع: لأن الله هدد وتوعد من غفل عن ذكره، فقال : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: **124 - 127**].

الحقيقة الثالثة: إن جميع العبادات التي شرعها الله ، إنما شرعت لإقامة ذكر الله ، فعبادة الصلاة شرعت لإقامة ذكر الله ، فقال :{وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} [طه: **14**].

وقال :{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: **45**].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: **9**].

وهذه عبادة الحج شرعت لذكر الله ، فقال :{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِندَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ} [البقرة: **198**].

وقال :{فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} [البقرة: **200**].

وقال :{وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [البقرة: **202**].

وهذه فريضة الصيام كلها ذكر ومراقبة الله ، ومن جهة أخرى فشهر الصيام هو شهر الذكر، بل أعظم، قال :{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: **185**].

وهذه عبادة الزكاة فقد جاء ما يشعر بارتباطها بالذكر والدعاء، فقال : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: **103**].

وارتبط الذكر بالعادات من مأكل ومشرب وملبس، ففي المأكل، قول الرسول :**يا غلام: سمِّ الله**.

والفرق بين حل الذبيحة وحرمتها ذكر الله ، فقال :{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} [الأنعام: **118**].

وقال :{وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: **121**].

وقال :{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ} [المائدة: **4**].

والسر في اشتراط ذكر الله على الذبيحة حتى تحل، هو أن الأصل في تلك الكائنات أنها ملك لله ، هو خالقها ورازقها، أنزل لها الماء من السماء، وأنبت لها المرعى من الأرض، ورباها حتى صارت صالحة لمنفعة الإنسان، فكان حق الله في هذه البهيمة أن لا يعتدي عليها بذبح وإزهاق روحها والانتفاع بها، إلا بإذن من خالقها ﷻ، وهو قول: بسم الله، الله أكبر، أي: باسم الله أذبحها، والله أكبر مني عليها، وهو الذي سخرها لي، فهي بمثابة الاستئذان، وبمثابة الاعتراف لله بالجميل والإنعام.

ولهذا يعتبر الشرع كل إزهاق للروح بدون ذكر اسم الله ميتة، كما يعتبر الشرع أيضاً كل ذكر لغير الله شركاً مع الله .

وبهذا يظهر عظمة السر في ذكر الله عند الذبح، سواء كان المذبوح بعيراً، أو طيراً صغيراً.

حتى في الجهاد أمرنا الله بالذكر، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: **45**].

الحقيقة الرابعة: ما حقيقة الذكر؟ يظن كثير من الناس أن الذكر عبارة

عن أن يردد المسلم قول لا إله إلا الله وفقط، فليس هو الذكر الشرعي.

ولكن الذكر هو: أن يكون الله على بال المسلم دائماً، فيقوم المسلم بأداء ما أمره الله به، والانتهاء عما نهى عنه، والالتزام بطاعته، ومراقبته في السر والعلانية، فإذا كان العبد كذلك، فهو ذاكر لله .

وتأمل معي حين أراد أحد المشايخ الكرام أن يعلم تلاميذه أن العبد الذاكر لمولاه هو من يعلم تمام العلم أن ربه مطلع عليه ويراه، يراه في سره، يراه في علانيته، يراه حيث كان، وأراد أن يزرع فيهم مراقبة الله ، فماذا فعل؟

أمر هذا الشيخ أن يحضر كل تلميذ من تلاميذه دجاجة حية، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كلُ واحد منهم دجاجته، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لماذا لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما اتجهت، وحيثما ارتحلت، وجدت أن الله مطلع علي ويراني، وفي هذا يقول المولى :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7].

هذا هو ذكر الله ، فالذكر الصحيح أن تراقب الله في السر والعلانية.

يقول عبد الله بن دينار خرجت مع عمر إلى مكة، فعرَّسْنا – نزلنا للراحة - ببعض الطريق، فانحدر إلينا راعٌ من الجبل، فقال له عمر : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذه الأغنام، فقال الرجل: أنا مملوك، فقال له عمر : قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: إن قلت ذلك لسيدي وصدقني، فأين الله؟ ماذا أقول لله ؟ فبكى ابن عمر ، وذهب إلى سيد الراعي فاشترى منه الأغنام، واشترى العبد وأعتقه، وأهدى له قطيع الأغنام.

فليس الذاكر هو الذي يجلس في مسجد، أو مكان فسيح، ويكبر

ويهلل، وإنما الذاكر هو الذي يستحضر عظمة مولاه في كل أمور الحياة.

فالزارع يستطيع أن تكون حياته كلها ذكر، وذلك إذا ما تأمل ما يخرج من الأرض، وعلم أن ذلك الزرع، وأن تلك النبات من فيض عطاء الله وكرمه، ولا دخل له، إلا أنه سبب؛ لأن الزارع الحقيقي هو الله ،

فقال :{أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: **63 - 65**].

روي أن عمر بن الخطاب مر بامرأة تغيبَ عنها زوجها منذ شهور في الجهاد في سبيل الله ، قد تغيبت في ظلمات ثلاث، في ظلمة الغربةِ والبعد عن زوجها، وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة قعر بيتها، وإذا بها تنشد وتقول وتحكي مأساتها:

تطاول هـــذا الليـــل وازور جانبـــه ::: وأرقني أن لا حبيـــب ألاعبــــــه

فـــــو الله لـــولا الله لا رب غيره ::: لحرك من هذا الســـريري جوانبـــه

فما الذي منعها أن تخون زوجها، وتلطخ عرضه؟ ذكرها لله .

إخوة الإســلام:

لقد اهتم الشارع الحنيف اهتماماً بالغاً بعبادة الذكر؛ لأنها الأساس في الحياة، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الذكر.

أولاً: لم يجعل الله حداً ينتهي إليه في الذكر:

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً} [الأحزاب: **41**].

قال ابن عباس : إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً يُنتهَى إليه، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا مغلوباً على عقله، فقال : {فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} [النساء: **103**].

وبالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والسر والعلانية، وعلى كل حال، فقال

:{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: 42].

فإذا فعلنا ذلك، صلى علينا وملائكته الكرام، فقال :{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} [الأحزاب: 43].

ثانياً: الله يذكر من يذكره:

فقال :{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152].

قال سعيد بن جبير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية:{فَاذْكُرُونِي} بطاعتي،{أَذْكُرْكُمْ} بمغفرتي ورحمتي.

بالله عليكم خبروني: من نحن حتى يذكرنا المولى ؟ من أنت أيها المسكين حتى يذكرك مولاك؟ وأين يذكرك؟ يذكرك في الملأ الأعلى، عند جبريل، وميكائيل، وعند حملة العرش، فمن أنت؟

يقول يحيى بن معاذ: يا غفول، يا جهول، لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ، وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك، لمت شوقاً إلى مولاك.

ثالثاً: الذكر من صفات المؤمنين المتدينين:

قال :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: 35].

رابعاً: رتب الله الفلاح على الذكر:

فقال {وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: 10].

إلى غير ذلك من الآيات التي تحثنا على الذكر، والتي بلغت **174** آية.

وجاءت السنة النبوية على نفس نهج القرآن الكريم، فحثت الجميع على هذه العبادة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الذكر من أفضل العبادات:

روى البيهقـي والطبرانـي فـي الكبير، وحسنه الألبـاني، أن الرسـول قال:**أحب الأعمال إلى الله ، أن تموت ولسانك رطب بذكر الله** .

وروى مالك والترمذي وابن ماجه وأحمد أن الرسول قال:**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قال :ذِكْرُ الله** .

ثانياً: الذكر سبب في النجاة من عذاب الله :

روى الحـاكم وأحمـد والطبرانـي فـي معجميـه الأوسـط والصـغير، ورجالهما رجال الصحيح، أن الرسول قال:**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلا أَنْجَى مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ الله** ، قِيلَ: وَلاَ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ:**وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ.**

ثالثاً: الذكر تُرفَع به الدرجات وتمح به الخطايا:

روى مسلم أن الرسول قـال:**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ**، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَـالَ :**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ.**

رابعاً: الذكر يكثر من غرس الأشجار في الجنة:

روى ابن ماجه أن الرسول مر بـأبي هريرة وهو يغرس غرساً، فقال :**يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟** قلت: غراساً لي، قال لأبي هريرة : **ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟**، قال: بلى يا رسول الله، قـال : **قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة.**

خامساً: مباهاة الله ملائكته بالذاكرين له:

روى مسـلم والترمـذي والنسـائي عـن أبـي سـعيد الخـدري قـال: خَـرَجَ مُعَاوِيَـةُ عَلَـى حَلْقَـةٍ فِـي الْمَسْـجِدِ، فَقَـالَ: مَـا أَجْلَسَـكُمْ؟، قَـالُوا: جَلَسْـنَا نَـذْكُرُ الله، قَـالَ: الله مَـا أَجْلَسَـكُمْ إِلا ذَلِـكَ؟، قَـالُوا: والله مَـا أَجْلَسَنَا إِلا ذَلِكَ، قَـالَ: أَمَـا إِنِّـي لَـمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَـةً لَكُمْ، وَمَـا كَـانَ أَحَدٌ

بِمَنْزِلَتِـي مِـنْ رَسُـولِ الله ، أَقَـلَّ عَنْـهُ حَـدِيثًا مِنِّـي، وَإِنَّ رَسُـولَ الله خَـرَجَ عَلَـى حَلْقَـةٍ مِـنْ أَصْـحَابِهِ، فَقَـالَ:مَـا أَجْلَسَـكُمْ؟، قَـالُوا: جَلَسْـنَا نَـذْكُرُ الله، وَنَحْمَدُهُ عَلَـى مَـا هَدَانَا لِلإِسْلام وَمَـنَّ عَلَيْنَـا بِـكَ، قَـالَ:الله، مَـا أَجْلَسَـكُمْ إِلا ذَاكَ؟، قَـالُوا: الله مَـا أَجْلَسَـنَا إِلا ذَلِـكَ، قَـالَ:أَمَـا إِنِّي لَمْ أَسْـتَحْلِفْكُمْ تُهْمَـةً لَكُـمْ، إِنَّـهُ أَتَـانِي جِبْرِيـلُ ، فَـأَخْبَرَنِي: أَنَّ الله يُبَـاهِي بِكُـمُ الْمَلائِكَةَ.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي بلغت ثلاثة وسبعين حديثاً.

* * *

مـواطن الذكـر

أسبـاب نـعيم القبـر

مـواطن الذكـر

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ} [النحل: **127**].

سبحانه: لم يقيدْ عبادةَ الذكر بزمن معين، ولا بعدد معين، كما قيد العباداتِ الأخرى، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: **41، 42**].

وقال :{وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} [آل عمران: **41**].

كما أنه لم يقيدْها بحالةٍ معينةٍ، فقال :{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} [النساء: **103**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: هدد وتوعد من يغفل عن ذكره، بالعذاب في الدنيا والآخرة، فقال :{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: **124 - 127**].

وقال :{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [الزخرف: **36 - 39**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً: جعل الفرق بين الذاكر لله والغافل عن ذكر الله ، كالفرق بين الحي والميت، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في ذكر الله ، وها نحن اليوم على موعد مع مــواطن الذكـر، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الذكرَ عبادةُ جميع الكائنات، فجميعُ المخلوقات تذكر الله ، أياً كانت هذه المخلوقات، سواءً أكانت حيوانات، أم جمادات، أم نباتات.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال على سبيل الإجمال:**{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً}** [الإسراء: **44**].

ثم بعد ذلك أخبرنا بطريق التفصيل، فقال عن الطير:**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ والله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}** [النور: **41**].

وهذا هو الهدهد يذكر الله ، فلقد قص الله علينا ما أنكره الهدهد على قوم بلقيس، ودعوته للتوحيد، فقال :**{إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لله الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ}** [النمل: **23 - 26**].

وأخبرنا عن الرعد بأنه يذكر الله ، فقال :**{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}** [الرعد: **13**].

وأخبرنا عن الملائكة بأنها تذكر الله: فقال ﷻ:**{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ}** [الأنبياء: **20**].

وهذه الجبال تذكر الله ، فقال :{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْن وَالطَّيْر وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 79].

وقال :{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: 10].

وقال :{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ} [ص: 18].

وكذلك النمل يذكر الله ، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:نزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فِي النَّارِ، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ: فِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنْ الأُمَمِ تُسَبِّحُ، فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً.

وروى الترمذي أن الرسول قال:إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ وأهلَ السموات والأرض، حتى النملةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ.

حتى مؤمن الجن يذكرون الله ، فروى الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال:لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله:{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13]، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد.

المخلوق الذي شذ في جزء من بني جنسه وغفل عن ذكر الله هو كافر الجن والإنس، فقال :{وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً * وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} [الجن: 13 - 17].

وقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: 18].

وصدق الشاعر إذ يقول:

الطير سبحـــه، والوحـــش مجــــــده ::: والمـــوج كبـــره، والحـــوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدســـه ::: والنحل يهتـــف حمـــداً في خلايـــاه
والناس يعصـــونه جهـــراً فيسترهم ::: والعبـــد ينسى، وربـــي ليس ينســـاه

الحقيقة الثانية: إن الذكر من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى المولى ، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مالك والترمذي وابن ماجه وأحمد أن الرسول قال:أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قال :ذِكْرُ الله .

ولفضل هذه العبادة ومكانتها عند الله ، جعل الله ملائكة يطوفون في الطرقات يبحثون على أهل الذكر، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِنَّ لله مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ الله ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا والله مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا والله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا والله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

ولفضل هذه العبادة ومكانتها أيضاً، يباهي الله ملائكته بالذاكرين، فروى مسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله،

قَالَ: اللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَلِكَ؟، قَالُوا: واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ، أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ، قَالَ:اللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟، قَالُوا: اللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَلِكَ، قَالَ:أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ ، فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ.

فالواجب على كل مسلم يحب أو يريد أن يباهي الله به ملائكته، أن يداوم على ذكر الله .

الحقيقة الثالثة: إن الذكر ليس نوعاً واحداً، لكنه يتنوع إلى أنواع عديدة، مختلفة المراتب، متفاوتة التأثير، وهي ما يأتي:

النوع الأول: القرآن الكريم:

فأعلى الذكر منزلة، القرآن الكريم، فقال :**{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ}** [ص: **1**].

وقال :**{وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}** [القلم: **51، 52**].

وجعله الله من أحسن الحديث، فقال :**{اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}** [الزمر: **23**].

ولقد وردت آيات عديدة تحثنا على هذا النوع من الذكر، وتبين لنا المنزلة العالية لمن داوم على هذا النوع من الذكر.

فقال :**{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}** [فاطر: 29، 30].

وبين لنا الرسول المنزلة العالية لمن يداوم عليه، فروى البخاري أن الرسول قال:**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة** (الملائكة الكتبة)

الكرام البررة (البررة جمع بار، وهو المطيع) **والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه، وهو شاق عليه، له أجران.**

وروى الترمذي والطبراني في الكبير والأوسط أن الرَسُولَ قَالَ:**مَـنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِـهِ حَسَـنَةٌ، وَالْــحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَـا، لَا أَقُـولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ.**

وكلما ازداد الإنسان فـي القراءة، ازدادت درجاتـه فـي الجنـة، فروى الترمذي أن الرسول قـال:**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كـما كنـت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.**

بل بين لنا الرسول أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فروى مسلم أن الرسول قال:**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.**

ولكـن للأسـف الشـديد أهملنــا هـذا النـوع مـن الـذكر إلـى حـد بعيـد، فأصبحنا لا نقرأ القرآن الكريم فـي المناسبات الحزينـة، وزينـا بـه صـدور النساء، فأصابنا ما نحن فيه، وصدق الله إذ يقول:**{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}** [الفرقان: 30].

إن الله لم ينزل القرآن ليقرأ على الأموات في القبـور، ولـم ينزلـه الله ليوضـع فـي العلـب القطيفـة الفخمـة الضـخمة التـي توضـع فـي مـؤخرة السيارة، وفي غرف الصالون.

ولـم ينزلـه الله ليوضـع فـي البراويـز الفضـية والذهبيـة، ويعلـق علـى الجـدران والحـوائط، ولـم ينزلــه الله ليحلــى بــه النســاء صــدورهن فــي مصـاحف صـغيرة، ولـم ينزلـه الله ليهديـه الحكـام والزعمـاء إلـى بعضـهم البعض، بل أنزله الله على الرسول ليقيم به أمة ودولة، ويَسعدُ به البشر فـي الـدنيا والآخرة، قـال :**{إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّتِـي هِـيَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّرُ الْـمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَـهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}** [الإسراء: 9].

وقال :**{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً}** [الإسراء: **82**].

النوع الثاني: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه:

ويكون ذلك بالثناء عليه، وتنزيهه عما لا يليق بـه، ولقد حثنـا المـولى

على الذكر بهذا النوع، فقال :{وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّـذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: **180**].

وروى مسلم وغيره أن الرسُولَ قال:قَالَ الله : قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ} قَالَ الله : حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} قَالَ الله : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} قَالَ الله : مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ الله : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} قَالَ الله : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

النوع الثالث: ذكر أمره ونهيه:

فالمؤمن يذكر أمر الله فيبادر إليه، ويذكر نهي الله فيبتعد عنه، وإلى هذا النوع يشير المولى ، فيقول:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: **133 - 135**].

النوع الرابع: ذكر آلائه ونعمه:

وإلى هذا النوع يشير المولى فيقول:{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: **18**].

النوع الخامس: ذكر الدعاء والاستغفار:

وذلك كما قال المولى :{قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ} [الأعراف: **23**].

النوع السادس: ذكر الرعاية:

مثل قول الذاكر: الله معي، والله ناظر إليَّ، ونحوه مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله .

واسمع معي إلى هذا النموذج من الذكر، عن عبد الله بن الزبير بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم، قال: بينما أنا وعمر بن الخطاب وهو يَعُسُّ بالمدينة، إذ أعيا، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه، أو ما علمت ما كان من أمير المؤمنين اليوم، قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر منادياً، فنادى ألا يشاب اللبن بالماء، فقالت: لها يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم عَلِّم الباب وأعرف الموضع، ثم مضى في عسه، فلما أصبحا قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيِّم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذا ليس بها رجل، فأتيت عمر أخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ فقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي، فزوجني، فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز.

إخوة الإسـلام:

إن الذكر مطلوب من الإنسان على طول الدوام، ولكن هناك مواضع يتأكد فيها الذكر، فتعالوا معي لنتعرف على هذه المواضع.

أولاً: الذكر عند دخول الخلاء، والخروج منه:

روى البيهقي والطبراني وأبو داود وأحمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم أن الرسول قال: **إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْـخَلاَءَ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بالله مِنَ الـْخُبُثِ وَالـْخَبَائِثِ.**

وعند الخروج يقول كما روى الترمذي وابن ماجه والبيهقي، أن الرسول قال: **إذا خرج أحدكم من الخلاء، فليقل: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأمسك علي ما ينفعني.**

ثانياً: الذكر بعد الوضوء:

روى البيهقي والنسائي والترمذي أن الرسول قال:مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ أَلا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.

ثالثاً: الذكر أثناء الأذان:

روى مسلم وأبو داود عن عمر بن الخطاب أن الرسول قال:إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَر، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله، ثُمَّ قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ.

رابعاً: الذكر بعد الأذان:

وهو متعدد وذلك على النحو التالي:

1 - النطق بالشهادتين: روى مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي والبيهقي أن الرسول قال:مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بالله رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ.

2 - الصلاة على الرسول : روى مسلم أن الرسول قال:إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ.

3 - الدعاء للرسول بالوسيلة: روى البخاري أن الرسول قال:مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

خامسا: الذكر عند افتتاح الصلاة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ الله إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلاَةِ سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ :**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ.**

وروى مسلم عن علي بن أبي طالب قال: إِذَا قَامَ الرسول إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ:**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.**

وروى أبو داود عن جبير بن مطعم أنه رأى الرسول يصلي صلاة قال: (**الله أَكْبَرُ كَبِيرًا، الله أَكْبَرُ كَبِيرًا، الله أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً، أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ، مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ**

قَالَ: نَفْثُهُ:الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ:الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ:الْمُوتَةُ.

سادساً: الذكر في الركوع والسجود:

روى أحمد وأبو داود وابن ماجةعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت: {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**} [الواقعة: **74**]، قال لنا الرسول :**جعلوها في** ركوعكم ولما نزلت:{**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**} [الأعلى: **1**]، قال الرسول :**جعلوها في سجودكم**

وروى مسلم أن الرسول كان يقول في ركوعه وسجوده:**سبوح**

قدوس، رب الملائكة والروح.

وروى مسلم كان رسول الله يقول إذا ركع: **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: **اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.**

سابعاً: الذكر بعد الصلاة:

روى البخاري ومسلم أن الرسول كان يقول بعد التسليم: **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.**

وروى مسلم والترمذي عن عائشة كان رسول الله إذا سلم لا يقعد إلا مقدار ما يقول: **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.**

وروى مسلم أن الرسول كان إذا انصرف من صلاته، أستغفر الله ثلاثاً، وقال: **اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام.**

وروى البخاري أن الرسول قال: **من قرأ دبر كل صلاة آية الكرسي، ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت.**

وروى أبو داود أن الرسول قال: **يَا أَبَا ذَرٍّ أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تُدْرِكُ بِهِنَّ مَنْ سَبَقَكَ، وَلاَ يَلْحَقُكَ مَنْ خَلْفَكَ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ؟** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **تُكَبِّرُ الله دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدُهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحُهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَخْتِمُهَا بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ.**

وروى الترمذي أن الرسول قال: **من صلى الصبح في جماعة، ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كان له مثل أجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة.**

ثامناً: الذكر في الصباح:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

تاسعاً: الذكر عند النوم:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة، كفتاه.

وروى البخاري أن الشيطان قال لأبي هريرة: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فأخبر أبو هريرة الرسول بذلك، فقال :أما إنه صدقك، وهو كذوب.

عاشراً: الذكر عند الكرب والهم:

روى الترمذي أن الرسول قال:يا حي يا قيوم: برحمتك أستغيث.

حادي عشر: الذكر عند المصيبة:

قال :{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 156، 157].

وروى مسلم عن أم سلمة أن الرسول قال:مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَجَرَهُ الله فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أمرني رَسُولُ الله ، فَأَخْلَفَ الله لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ الله .

ثاني عشر: الذكر عند زيارة المريض:

روى أبو داود والترمذي والحاكم أن الرسول قال:مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ الله الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلاَّ عَافَاهُ الله مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ.

ثالث عشر: الدعاء عند السفر:

روى مسلم عند عبد الله بن عمر أن النبي كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفره، كبر ثلاثاً، ثم قال:سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَـا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَـا لَمُنْقَلِبُـونَ، اللَّهُـمَّ إِنَّـا نَسْـأَلُكَ فِي سَـفَرِنَا هَـذَا الْـبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّـا بُعْـدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْـخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِـكَ مِـنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْـمُنْقَلَبِ فِي الْمَـالِ وَالأَهْـلِ، وَإِذَا رَجَعَ، قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: (آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ.

رابع عشر: الذكر عن القيام من المجلس:

روى الترمذي والحاكم أن الرسول قال:مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُـرَ فِيـهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غَفَرَ الله لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ.

خامس عشر: الذكر عند دخول السوق:

روى الترمذي أن الرسول قال:من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قـدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتاً في الجنة.

سادس عشر: الذكر عند العطاس:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِذَا عَطَسَ أَحَـدُكُمْ، فَلْيَقُـلْ: الْـحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ، أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَـالَ لَـهُ: يَرْحَمُـكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ الله، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ.

سابع عشر: الذكر عند دخول البيت:

روى مسلم أن الرسول قال:إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَـمْ يَـذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْـدَ طَعَامِـهِ، قَـالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ.

ثامن عشر: الذكر عند الخروج من المنزل:

روى أبو داود والترمذي أن الرسول ﷺ قال: **بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: **هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَـهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ.**

* * *

الشكر

الشكــر

أسبـاب نـعيم القبـر

الشكر

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ لعلكم تشكرون.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمرنا بالشكر، ونهانا عن الكفر، فقال :**{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}** [البقرة: 152].

ثم توعد بسلب النعمة عند عدم شكره عليها (كفر النعمة) فقال : **{وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}** [النحل: 112].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : أمرنا أن ندعو الله أن يعنا على شكره، فروى أبو داود والبيهقي عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ الله أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ:**يَا مُعَاذُ: والله إِنِّي لأُحِبُّكَ، والله إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الشكر**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن نعم الله على عباده تتوالى، وعطاءه دائم لا ينقطع، ورعايته للإنسان موصولة منذ أن أوجده في هذا الكون، ولقد تنوعت آلاؤه، لدرجة أن العقول تعجز عن حصرها.

ولقد أشار المولى إلى هذا الحقيقة تارة على طريق الإجمال، وتارة على طريق التفصيل، فقال على سبيل الإجمال:{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: 34].

وقال :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: 18].

ثم بعد ذلك أشار إلى نعمه على الإنسان بطريق التفصيل، وذلك على النحو التالي:

1- أشار إلى نعمة الخلق: فقال :{واللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

وقال :{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 7-9].

وقال :{أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ} [الواقعة: 58-62].

2- أشار إلى نعمة السكن: فقال :{واللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ} [النحل: 80].

3- **أشار إلى نعمة الظل ونعمة الثياب التي تقينا من الحر والبرد:** فقال :

{والله جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل: 81].

وقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً} [الفرقان: 45].

4- أشار إلى سهولة العيش على الأرض: فقال: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى} [طه: 53، 54].

5- أشار إلى نعمة الليل والنهار: فقال: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: 73].

وقال: {الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ} [غافر: 61].

وقال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} [الفرقان: 62].

6- أشار إلى نعمة الفلك وهي تسير في البحر: فقال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَةِ الله لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [لقمان: 31].

وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى: 32، 33].

7- أشار إلى نعمة الماء الذي نشربه: فقال: {أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ} [الواقعة: 68-70].

8- أشار إلى نعمة الزرع الذي نزرعه: فقال: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: 63-65].

9- أشار إلى نعمة النار التي نستخدمها: فقال: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ

* أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ} [الواقعة: 71-73].

وقال :{الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ} [يس: 80].

10- أشار إلى تذليل الدواب: فقال :{أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} [يس: 71-73].

إلى غير ذلك من النعم التي يعجز الإنسان على حصرها، فقال : {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: 18].

فما الواجب تجاه هذه النعم كلها؟ إنه الشكر لله .

الحقيقة الثانية: إن الشكر كان صفة أصيلة من صفات الأنبياء المرسلين، فهذا النبي كان دائم الشكر لله على نعمه عليه، فروى البخاري ومسلم عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ : أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.

وهذا سينا نوح قد اتصف بهذه الصفة، فقال :{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} [الإسراء: 3].

قال بعض المفسرين: كان نوح إذا أكل قال: الحمد لله، وإذا ركب قال: الحمد لله، فسماه الله عبداً شكوراً.

وهذا سيدنا إبراهيم كان شاكراً لله : فقال :{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: 120، 121].

وهذا نبي الله داود قد أنعم الله عليه بنعم كثيرة، وأمره بالشكر على هذه النعم، فقال :{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا

نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 10-13].

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن عَلِيِ بْنِ الْجَعْدِ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ سَعِيدٍ وَذَكَرَ دَاوُدَ النَّبِيَّ فَقَالَ: الْحَمْدُ لله حَمْدًا كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِ رَبِّي وَعَزَّ جَلالُهُ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ يَا دَاوُدُ أَتْعَبْتَ الْمَلَائِكَةَ.

أي: من كتابة ثواب ذلك.

وهذا سيدنا سليمان دعا ربه أن يعينه على شكره، فقال : {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الحَمْدُ لله الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: 15-19].

وقال :{قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 38- 40].

وهذا سيدنا موسى أمره الله بالشكر، فقال :{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 144].

وهذا لقمان الحكيم قد أمره الله بالشكر، فقال :{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية الشكر في حياة الفرد والمجتمع.

الحقيقة الثالثة: لقد جعل الشرع الحنيف الشكر أمراً واجباً على جميع المسلمين، دون تفرقة بين رجل وامرأة، ودون تفرقة بين متعلم وغير متعلم، فالكل سواء أما هذا الخلق العظيم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}** [البقرة: 151، 152].

وقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** [البقرة: 172].

فشكر الله واجب على كل مسلم ومسلمة، في كل الأحوال والأوقات، فروى مسلم وغيره أن الرسول قال:**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.**

حتى عندما يصاب الإنسان بأي أذى، عليه أن يشكر الله ، وقد يقول إنسان: كيف يشكر الإنسان المولى على الابتلاء؟

أقول: إن في كل بلاء أربعة أشياء، يُسَرُ بها أولوا الألباب، فيشكرون المولى عليها.

أولاها: أن من المتصور أن يكون وقوع المصيبة على درجة أكبر مما هي عليه، فمجيئها على هذه الدرجة، نعمة تستوجب الشكر.

الثاني: أن المصيبة التي وقعت بالإنسان لم تكن في الدين، إذ لا مصيبة أعظم من المصيبة فيه، فإن من أصيب في دينه والعياذ بالله، فقد خسر الدنيا والآخرة، قال :**{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ}** [الزمر: 65].

وقال :**{ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الأنعام: 88].

الثالث: أن في المصيبة من ثواب للصابر عليها، ورفعة في المقام، وتكفير للسيئات، ما يحولها إلى رحمة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلاَّ كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.**

الرابع: إن المصيبة التي وقعت بالإنسان مكتوبة في اللوح المحفوظ، ولم يكن بد من وصولها إلى من كتبت عليه، ولا مناص للإنسان من التسليم والرضا بها، لأن الرضا بالمصيبة رضوان من الله ، فروى الترمذي أن الرسول قال:**إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السَّخَطُ.**

ولقائل يقول: لماذا أوجب الله علينا الشكر؟ أقول: أوجب الله الشكر على الجميع لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن منفعة الشكر ترجع إلى العبد في الدنيا والآخرة، لا إلى الله ، فالعبد وحده هو الذي ينتفع بالشكر، فقال :**{وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** [لقمان: 12].

وقال :**{وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}** [النمل: 40].

فشكر العبد إحساناً منه إلى نفسه في الدنيا والآخرة، فإنه محسن إلى نفسه بالشكر، لا أنه مكافئ لنعم الرب ، فالرب لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبداً، ولا أقله، ولا أدنى نعمة من نعمه، فإنه هو المنعم المتفضل الخالق للشكر والشاكر وما يشكر عليه، فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه، فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، والمحسن إليه بأن أوزعه شكرها.

السبب الثاني: لأن قلة الشكر خسة يجب التنزه عنها، فلو أنك أطعمت إنساناً شهراً أو شهرين، أو قضيت عنه ديناً، أو رفعته درجة، ثم أنكر هذا كله، وأعرض عنك، لرأيت أن فراغ الحياة من مثله واجب، وأن بقاءه على ظهر الأرض أذي يتحرك، فما ظنك بمن خُلِق من عدم، وأُطعِم وسُتِر، وأُغدِق النعم، وأُمدَّ الأعوام بعد الأعوام، ولم يَشْكَرْ، فهو أولى أن

يُعْدَمَ.

السبب الثالث: لأن النعم تزداد بالشكر، وتزول بالكفر، فقال : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7].

السبب الرابع: لأن الشكر فيه إرضاء لله : {وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7].

الحقيقة الرابعة: ما حقيقة الشكر؟ قال ابن القيم: الشكر هو: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

وقال أيضاً: وشكر القوم هو عملهم بطاعة الله ، واستعانتهم بنعمه على محابه، قال :{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ: 13].

وقيل هو: الاجتهاد في بذل الطاعة، مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية.

أخوة الإسلام:

إن التخلق بخلق الشكر لله ليس أمراً هيناً، لأن الشكر لا يكون بالكلام، ولا بتقبيل اليد، ولكن يجب أن يكون من كل عضو أنعم الله به على الإنسان، فتعالوا معي لنتعرف كيف يحقق المسلم الشكر لله .

أولاً: شكر العينين:

ويتحقق شكر العينين بأمور منها:

1- النظر إلى ما أحل الله النظر إليه، وعدم النظر إلى ما حرم الله النظر إليه، فقال :{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} [النور: 30، 31].

2- إذا رأى الإنسان بهما شراً ستره، وإن رأى بهما خيراً أعلنه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

3- أن ينظر الإنسان إلى من هو أقل منه حالاً، ولا ينظر إلى من هو

من أعلى منه، فروى مسلم وغيره أن الرسول قال:انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله.

4- إن رأى ضريراً عاجزاً عن السير بمفرده، قاده إلى حيث يريد.

ثانياً: شكر القلب:

ويتحقق شكر القلب بأمور منها:

1- وجوب صرف العبادة كلها لله : فالعبادة حق لله وحده، قال :{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110].

2- طهارة القلب من الحقد والحسد وكل الآفات المهلكة: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ.

3- وجوب الاستعانة بالله : فقال :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5].

وروى الترمذي أن الرسول قال:.. **إذا استعنت فاستعن بالله...**

4- تحقيق الخوف من الله : فقال :{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ} [النور: 36، 37].

وقال :{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} [الإنسان: 9، 10].

ثالثاً: شكر الأذنين:

ويتحقق شكر الأذنين بأمور منها:

1- الاستماع إلى القرآن الكريم: فقال :{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204].

2- الاستماع إلى الأحاديث النبوية: فروى أبو داود والترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ

فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ.

3- عدم الاستماع إلى ما نهى الله عنه: فلوا استمعت بأذنيك إلى ما حرم الله ، فتكون جاحداً لنعمة السمع، وستسأل عن ذلك يوم القيامة، فقال :{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: 63].

وأقول لمن أطلق العنان لأذنيه، وجعلها تسمع إلى الغناء: اتق الله في أذنيك، فالله قد حرم الغناء، فقال:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [لقمان: 6].

قال مجاهد: حلف عبد الله بن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: إنه الغناء.

وقال :{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً} [الإسراء: 64].

قال مجاهد عن ابن عباس : صوت الشيطان الغناء، والمزامير، واللهو.

رابعاً: شكر اليدين:

ويتحقق شكر اليدين بأمور منها:

1- الاستعمال فيما أحل الله : وذلك كرفع الأذى عن الطريق، فروى مسلم أن الرسول قال:الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وروى البخاري أن الرسول قال:**إماطة الأذى عن الطريق صدقة.**

2- مد العون إلى المحتاج: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال: والله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ :يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ

يَسْتَطِعْ؟ قَالَ :يُعِينُ ذَا الْـحَاجَةِ الْـمَلْهُوفَ.

3- تقديم الصدقة بها: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ... ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ.**

4- التسبيح بها: فكان من هدي الرسول التسبيح على يديه الشريفة.

5- مصافحة المسلم بها: فروي أن الرسول قال:**أيما مسلم يصافح أخاه، ليس في صدر واحد منهما على أخيه حِنَة، لم تفرق أيديهما حتى يغفر الله لهما ما مضى من ذنوبهما.**

وروي أيضاً أن الرسول قال:**إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذه بيده، تحاتت ذنوبهما كما تحات الورق من الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر.**

6- عدم مصافحة النساء بها: فمصافحة النساء بدون حائل حرام شرعاً، روى الطبراني أن الرسول قال:**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له.**

7- عدم السرقة بها: فالسارق يستحق قطع يده، فقال :**{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ الله والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [المائدة: 38].

خامساً: شكر اللسان:

ويتحقق شكر اللسان بأمور منها:

1- أن يكون رطباً بذكر الله : فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ... وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.**

وروى البيهقي وأحمد أن رجلاً ذهب للرسول فقال: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ : **لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ الله.**

2- الكلام بالخير فقط: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنْ كَانَ

يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ.

وبين لنا الرسول أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح، إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول قال:المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده.

و بين الرسول أن المحافظة على اللسان طريقاً من الطرق المؤدية للجنة، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟ فقال الرسول :أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.

3- عدم الغيبة: فالله قد نهانا عنها، فقال :{وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 12].

4- عدم النميمة: فالله قد حذرنا منها، فقال :{فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: 8- 13].

سادساً: شكر الفرج:

ويتحقق شكر الفرج بأمور منها:

1- المحافظة عليه: فقال :{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون: 5-7].

2- عدم الزنا به: فقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: 32].

سابعاً: شكر الرجلين:

ويتحقق شكر الرجلين بأمور منها:

1- المشي بهما للعبادة: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَى النَّارِ.

2- قضاء مصالح العباد بهما: فروى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط أن الرسول قال:ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة، أحب إليّ من أن

أعتكف في هذا المسجد شهرا، في مسجد المدينة.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله.

قال راوي الحديث: وَأَحْسِبُهُ قَالَ:وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ.

3- عدم المشي مع الظالم: روى البيهقي في شعب الإيمان أن الرسول قال:مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ.

ثامناً: شكر المال:

ويتحقق شكر المال بأمور منها:

1- أن يكون كسب المال بطريق الرضا: فلا يجوز أخذ مال الغير بدون رضاه، وإلا كان سحتاً، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} [النساء: ٢٩].

وروى البيهقي وابن ماجه أن الرسول قال:إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ.

2- عدم الإسراف: فالإسلام حرم الإسراف في المال، ولقد عد الله عدم الإسراف في المال من صفات عباد الرحمن، فقال :{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} [الفرقان: ٦٧].

3- عدم التبذير: فالله قد نهى عن التبذير، وجعل المبذر قرين الشيطان، فقال :{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً} [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

4- الإنفاق في حقه: فالواجب على المسلم أن ينفق المال في حقه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا.

5- تأدية الحق الواجب فيه: ويجب فيه ما يأتي:

أ- الزكاة، فالله وإن اقتضت حكمته أن يكون هناك أغنياء وفقراء،

إلا أنه لم يترك الفقراء حيارى مهملين، ولكن فرض لهم حقاً معلوماً يصرف لهم كل عام من أموال الأغنياء، وذلك عن طريق الزكاة، فقال : {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: 24، 25].

ب- النذور: فقال :{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً} [الإنسان: ٧].

ج- الكفارات، وذلك على النحو التالي:

كفارة اليمين: فقال :{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩].

كفارة الظهار: فقال :{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة: ٣، ٤].

كفارة القتل الخطأ: فقال :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ الله وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: ٩٢].

6- أداء التطوع: وذلك مثل الصدقة، فالله قد حثنا عليها قبل فوات الأوان، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 254].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون:

.[11-9]

تاسعاً: شكر العلم:

ويتحقق شكر العلم بأمور منها:

1- العمل به: فالعالم قبل أن يأمر الناس ويعلمهم، عليه أن يعلم نفسه، ويعمل بما يقوله، فليس من المعقول أن يعلم العالم الناس الخير ولا يعمل به، فمن الأمانة على العالم أن يعلّم نفسه أولاً، قبل أن يعلم غيره، ويعمل بعلمه قبل أن يأمر الناس بالعمل.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فكان يعمل بما علم، فروى أحمد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ، فَقَالَتْ: " **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** ".

ولقد ذم الله من خالف فعله قوله، فقال :**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [البقرة: 44].

وقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}** [الصف: 2، 3].

ولقد بين لنا الرسول العقابَ الذي أُعِد لمن خالف فعلُه قولَه، فروى مسلم وأحمد أن الرسول قال:**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ.**

2- التواضع به: والتواضع بالعلم معناه: انكسار القلب، وخفض الجناح والرحمة للخلق، وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: يخضعُ للحقِّ، وينقادُ له، ويقبلُهُ ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبلَه، ولو سمعه من أجهل الناس قبله، انطلاقاً من قول الرسول في الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره:**الحكمة ضالة المؤمن، أني وجدها فهو أحق بها.**

ولقد طبق الرسول التواضع بالعلم، فروى البخاري ومسلم عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ لأُبَيٍّ:**إِنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:{لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}** [البينة: 1].

3- عدم كتمانه: فالواجب على العالم أن يبين للناس العلم الذي يعلمه، فالله قد أخذ العهد والميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا العلم للناس، ولا يكتمونه، فقال :{وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: 187].

قال القرطبي: هذا متصل بذكر اليهود، فإنهم أمروا بالايمان بمحمد ، وبيان أمره، فكتموا نعته، فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم، فإنه هلكة.

وأمرنا الرسول بتبليغ العلم، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

وروى البخاري أن الرسول قال:بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج لنتعلم كيف يحقق المسلم فينا شكر الله :

النموذج الأول: روى البخاري ومسلم أنَّ النَّبِيَّ قال:إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ الله أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، فَقَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ الله إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ

هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَ اللهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.

وهكذا يكون الأعمى قد نجح في الاختبار، فشكر ربه، وتصدق بما رزقه الله، فزاد الله عليه هذه النعمة، وبارك له فيها، بينما بخل الأبرص والأقرع، ولم يشكرا ربهما، فسلب الله منهما النعمة.

النموذج الثاني: روي أن رجلاً ابتلاه الله بالعمى، وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس، فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى، المقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا: أشكر الله أن وهبني لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً، وبدناً على البلاء صابراً.

النموذج الثالث: روي أن رجلاً ذهب إلى أحد العلماء يشكو إليه فقره، فقال العالم: أيسرك أنك أعمى، ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم: أيسرك أنك أخرس، ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين، ولك عشرون ألفاً، فقال الرجل: لا، فقال العالم: أما تستحي أن تشكو مولاك، وله عندك بخمسين ألفاً.

فعرف الرجل مدى نعمة الله عليه، وظل يشكر ربه، ويرضى بحاله، ولا يشتكي إلى أحد أبداً.

أما إذا نظرنا إلى حالنا اليوم فعلى الرغم أن الله قد زاد من فضله علينا، وأكثر لنا النعم التي لم ينعم بها أجدادنا، فنرى التقدم في جميع المجالات، في العلم، والاقتصاد، والطب، والآلات، والنبات، والحيوان، والمأكل والمشرب، فتحٌ في العلوم والمعارف، تحسَّن بها أسبابُ العيش، إلا أن كثيراً من البشر لا يشكرون الله على هذه النعم، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في أكثر من موضع، فقال :{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13].

وقال :{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 7-9].

وقال :{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16، 17].

وقال :{أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} [يس: 77].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على شكر الله .

أولاً: زيادة النعمة: فقال :{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7].

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة، تجدد لك بالشكر أعظم منها.

ثانياً: النجاة من العذاب وتفريج الكروب: فقال :{مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً} [النساء: 147].

وعندما أرسل الله العذاب على قوم سيدنا لوط ؛ لأن فطرتهم قد انتكست، فكانت النجاة من حظ المؤمنين الأطهار الشاكرين على نعمائه،

فقال :{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ} [القمر: 33-35].

ثالثاً: الفوز برضا الله : قال :{إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7].

رابعاً: الثواب العظيم: فقال :{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144].

أما إذا جحد الإنسان النعمة، فإن الله ينتقم منه، وهذا ما حدث في قصة أصحاب الجنة، فقال :{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم: 17- 34].

وحدث أيضاً في قصة أصحاب الجنتين، فقال :{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله لَا قُوَّةَ إِلَّا بالله إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ الله وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لله الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} [الكهف: 35-44].

وقال في قصة سبأ:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سبأ: 15-20].

قال أهل السير: سكن قوم سبأ بأرض اليمن، وأغدق الله عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة، وأصلح لهم البال والحال، وبارك لهم في الأرض والمال، ووضع عنهم الأوزار والأحمال، ونقى لهم الهواء، ونزلت عليهم بركة السماء والأرض، فقال :{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ: 15].

أي: علامة دالة على كمال قدرة الله ، وبديع صنعه.

قال بعض المفسرين: إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم: أنهم كانوا لا يرون فيها بعوضة، ولا ذباباً، ولا برغوثاً، ولا قملة، ولا حية، ولا غير ذلك.

قال :{جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ: 15].

كان الماء يأتيهم بين جبلين، وتجتمع إليه السيول، فعمد ملوكهم فبنوا سداً عظيماً محكماً، هو سد مأرب، فغرسوا الشجار، وكانت الأشجار تثمر أجود وأنضج وأحلى الثمر، بقدرة الله .

قال قتادة: إن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار، وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف؛ لكثرته، ونضجه، واستوائه.

ولقد طلب الله منهم الأكل والشكر، فقال:{كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: 15].

فماذا فعلوا: قال :{فَأَعْرَضُوا} [سبأ: 16].

فماذا كانت العاقبة، قال :{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} [سبأ: 16].

أرسل الله عليهم سيلاً شديداً لا يُطاق، فشق السد وهدمه، فلم يبق الماء، وأبدلهم الله بالجيد رديئاً، فقال :{وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ: 16].

قال بعض المفسرين: خمط هو ثمر مر لا يؤكل ثمره، والأثل شجر لا ثمر فيه.

يا ترى ما السبب؟ قال :{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُور} [سبأ: 17].

* * *

الصـلاة

أسبـاب نـعيم القبـر

الصلاة

الحمد لله رب العالمين: فرض علينا الصلاة ليلة المعراج؛ لتكون صلة بحضرته، وتذكيراً لعظمته، وشكراً لنعمته، وكسباً لرحمته، وطمعاً في جنته، فقال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراًّ وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 22 - 24]

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال :{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى} [طه: 74 - 76].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل إقامة الصلاة معيار الرجولة الكاملة، فقال :{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ والله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: 36 - 38].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً: بين لنا أن الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**، قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ :**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الصــلاة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الصلاة لم تكن مفروضة على النبي ولا على أمته فحسب، بل كانت مفروضة على كل الأمم السابقة، فكانت الصلاة عبادة كل رسول من رسل الله من لدن سيدنا آدم إلى سيدنا النبي ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فيقول في شأن سيدنا إبراهيم :**{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}** [البقرة: 125].

وقال :**{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}** [إبراهيم: 37].

ويقول في شأن سيدنا إسماعيل :**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً}** [مريم: 54، 55].

ويقول في شأن سيدنا موسى :**{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي}** [طه: 13، 14].

ويقول في شأن مريم البتول:**{يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}** [آل عمران: 43].

ويقول في شأن سيدنا عيسى :**{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً}** [مريم: 30، 31].

إذاً كانت الصلاة شرع من قبلنـا، ولكنها كانت تختلف عن صـلاتنا، فالصلاة التي أمرنا الله بها، وأمر بها نبينا محمداً خاصيتها أنها جمعت ميزات كل صلوات الرسل السابقين، فصلاة بعضهم كانت في بعض الأزمنة غدوة وعشية، ركعتين في أول النهار، وركعتين في آخر النهار، شكل خاص في القيام، وشكل خاص في الركوع، وشكل خاص في السجود.

الحقيقـة الثانيـة: لقد انفردت الصـلاة عن غيرها من العبادات بعدة انفرادات، لم تشاركها عبادة أخرى في هذه الانفرادات، وهي ما يأتي:

الانفراد الأول: الصلاة هي العبادة الوحيدة التـي فرضـت في السـماء: فكل العبادات ما عدا الصلاة فرضت في الأرض، أما الصلاة فكان فرضها في السماء ليلة المعراج، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **(ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، فَفَرَضَ الله عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ الله لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي)**.

الانفراد الثاني: الصلاة هي العبادة الوحيدة التي تجمع أركان الإسلام كلها: ففيها:

1-الشهادة: فالمصلي في الصلاة يشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

2-الزكاة: حيث يقدم المصلي جزءاً من وقته، يتفرغ فيه لمناجاة ربه، وكان يمكنه في هذا الوقت أن يكسب مالاً عن طريق أي عمل مشروع.

3-الصيام: فالصوم عبارة عن إمساك عن شهوتي البطن والفرج نهار رمضان، لكن في الصلاة يمسك الإنسان عن شهوتي البطن

والفرج، ويمسك عن الحركة والكلام، وعن كل شيء ينافي الصلاة، إذاً ففيها لون من الصيام متعلقاته في المنع أوسع من متعلقات الصيام.

4-الحج: حيث يتحرى المصلي بيت الله الحرام، ويتجه إليه في صلاته دائماً.

الانفراد الثالث: الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة: فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، فروى الترمذي أن الرسول قال:**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ.**

وروى البيهقي أن الرسول قال:**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةً، وَإِنْ لَمْ يُكْمِلْهَا قَالَ الله لِمَلاَئِكَتِهِ: هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي تَطَوُّعًا تُكَمِّلُوا بِهِ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ؟.**

الانفراد الرابع: الصلاة لا تسقط عن الفرد بأي حال من الأحوال: وذلك بخلاف العبادات الأخرى، فالصوم يسقط عن العاجز عليه، والزكاة لا تجب على الفقير، والحج لا يجب إلا على المستطيع، وهذا كله بخلاف الصلاة، فقال :**{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا الله كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 238، 239].

حتى في حالة الحرب أوجب الله الصلاة، فقال :**{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}** [النساء: 102].

الانفراد الخامس: الصلاة هي العبادة الوحيدة التي لا تجوز فيها نيابة: وهذا بخلاف الصوم والزكاة والحج، فقد اتفق الفقهاء على أن الصلاة عبادة بدنية محضة، لا يصح التطوع بها عن الغير، بمعنى أن من مات وعليه صلاة واجبة أو نافلة، لا يصح أن يصلي عنه غيره، كما أنه لا يصح أن يصلي شخص عن آخر حال الحياة، فقال :**{وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}** [النجم: 39].

الانفراد الخامس: الصلاة هي العبادة الوحيدة التي أوصى بها الرسول في لحظات حياته الأخيرة: فروى أبو داود عن أنس بن مالك قال: كانت آخر وصية رسول الله وهو يغرغر بها لسانه:**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.**

الانفراد السادس: الصلاة هي أم العبادات: لأن فيها ألوان العبودية الشاملة لسائر بدن الإنسان: للقلب، والعقل، واللسان.

فللسان: الشهادتان، والتكبير، والتعوذ، والبسملة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والاستغفار.

وللجوارح: القيام، والركوع، والسجود، والاعتدال، والخفض، والقعود.

وللعقل: التفكر، والتدبر، والتفقه، والتفهم.

وللقلب: الخشوع، والرقة، والبكاء، والخوف، والتضرع.

الانفرد السابع: الصلاة هي الشعار الفاصل بين المسلم والكافر: بل لقد جعلها الرسول الدليل على عقد الإيمان، فروى مسلم وأحمد والترمذي أن الرسول قال:**بين الرجل والكفر ترك الصلاة.**

وروى البيهقي والحاكم والترمذي أن الرسول قال:**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ.**

الانفراد الثامن: الصلاة هي العبادة الوحيدة التي تكرر كل يوم خمس مرات: وهذا بخلاف العبادات الأخرى، فالصوم يكون مرة واحدة كل عام، والزكاة مرة كل عام، والحج مرة في العمر كله، بشرط الاستطاعة، أما الصلاة فهي بخلاف ذلك، فتتكرر كل يوم خمس مرات، الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وفي هذا يقول المولى :**{فَسُبْحَانَ**

اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم: 17، 18].

الحقيقة الثالثة: أن الله ﷻ جعل للصلاة أوقاتاً معلومة، لا يجوز للمسلم مهما كان أن يتجاوزها، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} [النساء: 103].

وجعل المولى أداء الصلاة في غير وقتها من غير عذر كبيرة من الكبائر، توعد فاعلَ ذلك بالويل والعذاب، فقال ﷻ:{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 4، 5].

وجاء في تفسير هذه الآية: عن مصعب بن سعد قال: قلت لأبي: يا أبتاه أرأيت قوله :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 4، 5].

وأينا لا يسهو، أينا لا يحدث نفسه؟ قال: ليس ذاك، إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقت.

وقال :{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِياً * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياًّ} [مريم: 58، 59].

وجا في تفسير هذه الآية: عن عبد الله بن مسعود قال: ليس معنى أضاعوا الصلاة أي: تركوها بالكلية، ولكن المراد بإضاعتها: تأخيرها عن وقتها.

ومن هنا نعلم خطأ كثير من الناس الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها لغير عذر شرعي، كمن يلعب الكرة بعد العصر حتى يخرج وقت المغرب، ويدخل وقت العشاء، أو من يلهيه العمل حتى يخرج وقت الصلاة، أو من ينام عن الصلاة المكتوبة وخصوصا صلاة الفجر التي تعود الناس تركها والنوم عنها، فهؤلاء متوعدون بالعذاب، فروى البخاري أن الرسول قال: (إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ

بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هٰهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله، مَا هٰذَان؟ فقالا: أمّا الرجل الذي أتيتَ عليه يُثلغ رأسه بالحجر، فإنّه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.

إخوة الإسلام:

إن الصلاة ليست شعائر وطقوساً تؤدى وفقط، فكثير من المصلين إذا دخلوا في الصلاة كان همهم قضاؤها، كأنها حمل ثقيل يرمونه عن ظهورهم، مع أنهم يناجون رب العالمين ، فقال :**{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** [البقرة: 45، 46].

فنجد الرجل منا لا يخرج من صلاته إلا بجزء منها، قد يكون العشر، وقد يكون السبع، وقد يكون الثمن، وقد يكون الربع، وقد يكون النصف، روى البيهقي وأبو داود أن الرسول قال:**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا.**

بل ربما يصلي الفرد منا ستين سنة، ولا تقبل منه أي صلاة؛ لأن الفرد جعل الصلاة طقوس تؤدى وفقط، فروى ابن أبي شيبه في مصنفه أن الرسول قال:**إن الرجل ليصلي ستين سنة، ما تقبل له صلاة، لعله يتم الركوع ولا يتم السجود، ويتم السجود ولا يتم الركوع.**

فلا بد من أمور تتوافر في الصلاة، حتى تكون صحيحة ومقبولة، وسبباً في مغفرة الذنوب، فتعالوا معي لنتعرف على الأمور التي يجب أن تتوافر في الصلاة، حتى تخرج بالشكل الذي يرضي الله ، ويرضي الرسول .

فهناك أمور قبل الدخول في الصلاة، وأمور أثناء الصلاة، وأمور بعد انتهاء الصلاة.

أولاً: الأمور التي يجب أن تتوافر قبل الدخول في الصلاة:

1 - الوضوء في البيت:

فالأفضل للمسلم قبل أن يخرج للصلاة أن يتوضأ في بيته، لما رواه مسلم أن الرسول قال:**مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلاَّهَا مَعَ النَّاسِ، أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ.**

وروى البخاري أن الرسول قال:**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ.**

وروى البيهقي والطبراني وأبو داود أن الرسول قال:**مَنْ مَشَى إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ.**

2 - تحسين الهيئة قبل الدخول في الصلاة:

فالواجب على المسلم أن يحسن من هيئته قبل الدخول في الصلاة، ويكون ذلك باختيار الملابس النظيفة، والسواك، واستعمال الطيب إن أمكن، قال :**{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}** [الأعراف: 31].

وذلك لأن المصلي مقبل على مالك الملك، وملك الملوك، فأولى به أن يتزين لله ﷻ.

3 - الإسراع في أداء الصلاة أول الوقت:

فالواجب على كل مسلم إذا سمع النداء أسرع بالتلبية، فروى الطبراني أن الرسول قال:**إذا سمعت النداء، فأجب داعي الله.**

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن ابن مسعود قال: سألت الرسول أي الأعمال أفضل؟ قال:**الصلاة لوقتها** قلت: ثم أي؟ قال:**بر الوالدين** قلت: ثم أي؟ قال :**الجهاد في سبيل الله.**

أما من سمع النداء ولم يلب وأخر الصلاة، فإن ذلك من صفات المنافقين، فقال :**{وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}** [التوبة: 54].

وقال :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 142].

ثانياً: الأمور التـي يجب أن تتوافر أثناء الصلاة:

1 - الإقبال على الصلاة بالسكينة والخشوع:

فالواجب على كل مسلم أن يقبل على الله في الصلاة بالسكينة والخشوع؛ لأنه يناجي من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وقد وصف الله الخاشعين في الصلاة بالفلاح، ووعدهم في الآخرة بجنة الفردوس، فقال :{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون: 1، 2].

ولقد طبق الرسول الخشوع الكامل في الصلاة، تقول السيدة عائشة : " **كان الرسول يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه**".

وكان علي بن أبي طالب إذا حضرت الصلاة يتلون وجهه، فيقال له: ما بالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملتها.

وقد كانت الصلاة تستولي على قلوب الصالحين الأتقياء؛ لدرجة أنهم كانوا لا يدركون ما حولهم، حتى لو وقفت على ظهورهم الطير، فهذا هو عبد الله بن الزبير كان يصلي يوماً في جوف الكعبة، فتسقط العصافير على ظهره من فوق الحرم، وتنزل وتصعد، وهي آمنة تظن أنه جذع شجرة.

2 - أن يتجنب المصلي الالتفات:

فالعبد إذا دخل في صلاته، وأقبل على الله ، نصب الله وجهه إليه، فإذا التفت العبد، قال له الله : يا عبدي، أهناك خير مني تنظر إليه وتتركني؟

ولقد حذرنا الرسول من الالتفات في الصلاة، فروى البخاري وغيره أن عائشة سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة، فقال:**هو اختلاس**

يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

3 - عدم مجاوزة بصر المصلي موضع سجوده:

فالواجب على المصلي أن يديم النظر إلى موضع سجوده؛ لأن هذا من تمام الخشوع في الصلاة، والرسول نهي عن عدم النظر إلى موضع السجود، فروى البخاري أن الرسول قال:**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ؟ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: لَيَنْتَهِيَنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ.**

4 - التفكر والتدبر لمعاني الآيات:

فالواجب على كل مسلم وهو في الصلاة أن يتدبر معاني الآيات التي يقرؤها، فمثلاً فالواجب على المسلم أن يتدبر فاتحة الكتاب، روى مسلم أن الله يقول:**قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قَالَ اللهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ اللهُ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.**

أما عدم التفكر في الصلاة لمعاني الآيات يقلل من ثواب الصلاة، فروى أحمد وأبو داود أن الرسول قال:**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا.**

5 - الاطمئنان في آدائها، وتجنب العجلة في أركانها:

فالطمأنينة ركن أصلي في الصلاة، فبدون الطمأنينة تكون الصلاة ناقصة، إن لم تكن باطلة، روى مسلم أن الرسول قال:**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ.**

ثالثاً: الأمور التي يجب أن تتوافر بعد الانتهاء من الصلاة:

1 - الجلوس في المصلى عقب كل صلاة للاستغفار والذكر والدعاء:

روى مسلم وأحمد أن الرسول قال:مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ.

ويستحب قراءة آية الكرسي عقب الصلاة؛ لما رواه الطبراني أن الرسول قال:مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ، كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ إِلَى الصَّلاةِ الأُخْرَى.

وروى البيهقي أن الرسول قال:من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة، لم يكن بينه وبين أن يدخل الجنة، إلا أن يموت، فإذا مات دخل الجنة.

2 – المحافظة على أداء السنن التابعة للفرائض:

فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون بها، ولا يرخص لنفسه في تركها؛ لأنها زيادة في التقرب إلى الله ، روى البخاري وأحمد أن الله يقول في الحديث القدسي:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

والسنن التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة، روى مسلم أن الرسول قال:ما مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلاَّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

فهذه النوافل التابعة للفرائض شرعت لتكفير السيئات، ورفع الدرجات، وترغيم الشيطان، وتكميل ما عساه من نقص من الفرائض بنقص شيء من آدابها، كخشوع، وتدبر في قراءة، ونحو ذلك، روى أحمد وابن ماجه وأبو داود أن الرسول قال:إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةً، وَإِنْ لَمْ يُكْمِلْهَا قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي تَطَوُّعًا تُكَمِّلُوا بِهِ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ

سَائِرُ الأَعْمَالِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على أداء الصلاة على الوجه الأكمل.

أولاً: الصلاة نور لأصحابها: روى مسلم أن الرسول قال:**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ واللهِ أَكْبَرُ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا.**

وقال :**{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}** [الفتح: 29].

ثانياً: الصلاة تحط الخطايا عن صاحبها: روى أحمد والطبراني عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا يَابِسًا فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، ثُمَّ قَالَ: سَلْنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ فَقُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ قَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ، كُنْتُ مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا يَابِسًا، فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، ثُمَّ قَالَ:**أَلا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا يَا سَلْمَانُ؟** فَقُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ:**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتَّ هَذَا الْوَرَقُ،** ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ:**{وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}** [هود: 114].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**، قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ :**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ.**

ثالثاً: الصلاة ترفع الدرجات: روى أحمد وابن ماجه أن الرسول قال:**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً**

وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، فَاسْتَكْثِرُوا مِنْ السُّجُودِ.

رابعاً: دخول الجنة: روى أبو داود أن الله يقول في الحديث القدسي:إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ جَاءَ يُحَافِظُ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ، أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ، فَلاَ عَهْدَ لَهُ عِنْدِي.

خامساً: حفظ الملائكة له: روى البزار أن الله يقول في الحديث القدسي:إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة.

سادسا: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: قال :{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

سابعاً: الصلاة تطهر الإنسان من الخلاق الدنيئة: فقال :{إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّين * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ} [المعارج: 19 - 35].

* * *

صلاة الجماعة

أسباب نعيم القبر

الحمـد لله رب العـالمين: فـرض علينـا الصـلاة ليلـة المعـراج؛ لتكـون صلة بحضرته، وتذكيراً بعظمته، وشكراً لنعمته، وكسباً لرحمته، وطمعاً في جنته، فقـال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَـامُوا الصَّـلاةَ وَأَنفَقُـوا مِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَـهُمْ عُقْبَى الـدَّارِ * جَنَّـاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِـمْ وَذُرِّيَّـاتِهِمْ وَالْـمَلائِكَةُ يَـدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَـبَرْتُمْ فَـنِعْمَ عُقْبَـى الـدَّارِ} [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم مـا تفعلـون، وإليـه يرجـع الأمـر كلـه، فاعبـده وتوكـل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه: جعل إقامـة الصـلاة فـي جماعـة معيـاراً مـن معـايير الرجولـة الكاملـة، فقـال :{فِي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُـوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْـلِهِ واللهُ يَـرْزُقُ مَـن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: 36-38].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل الصلاةَ في جماعة سبباً من أسباب النجاة من النار والنفاق، فروى البيهقي أن الرسول قال:**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يُدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان: براءة من النـار، وبـراءة من النفاق.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد

أخوة الإسـلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو:

صلاة الجماعة، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله خصَّ أمة الرسول بعدة خصائص، لم تشاركها فيها أمة من الأمم السابقة، ومن هذه الخصائص: صلاة الجماعة، فصلاة الجماعة لم تكن مشروعةً على الأمم السابقة.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}**[النساء: 102].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:**مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى آمِينَ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ آمِينَ**.

وروى ابن ماجه إن الرسول قال:**مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**.

وليعلم الجميع أن صلاة الجماعة تغيظ من أعداء الأمة الإسلامية، فالواجب على كل مسلم أن يكون حريصاً عليها، حتى يرضي الله ويرضي الرسول ، وينال الثواب العظيم على أدائها.

الحقيقة الثانية: لقد أخذت صلاة الجماعة حيزاً كبيراً من اهتمام الشرع الحنيف بها، وهذا واضح كل الواضح في القرآن والسنة، وأقوال الصحابة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: القرآن الكريم:

1- قال :{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: ٤٣].

قال ابن كثير: استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة.

2- قال :{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}[النساء: 102].

فهذه الآية تدل على صلاة الجماعة في حالة الخوف وفي الحرب، وإذا لم يُرخص في ترك الجماعة في الخوف والحرب، فكيف بوقت السلم.

3- قال :{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم: 42، 43].

قال كعب الأحبار: والذي أنزل التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والفرقان على محمد ، أنزلت هذه الآيات في الصلوات المكتوبات، حيث ينادى بهن.

وقال ابن عباس في قول الله :{وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} أي: الرجل يسمع الأذان، فلا يجيب الصلاة.

وقال سعيد بن جبير: وقد كانوا يدعون إلى الصلوات في الجماعات.

4- قال :{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [الأحقاف: 31، 32].

ثانياً: السنة النبوية:

وجاءت السنة النبوية تؤكد على أهمية صلاة الجماعة، وذلك على النحو التالي:

1- روى أبو داود وابن ماجه والحاكم أن الرسول قال:**من سمع النداء، فلم يأته، فلا صلاة له، إلا من عذر**، قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال :**خوف أو مرض**.

وهذا يعني: أنه لا يجوز للمسلم أن يترك صلاة الجماعة إلا لعذرين فقط، هما: الخوف، أو المرض.

روى مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ:**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟**، فَقَالَ: نَعَمْ، فقَالَ :**فَأَجِبْ**.

وفي رواية:**ما أجد لكَ رخصةً، فإنْ سمعتَّ النداءَ فأجبْ ولو حبواً، أو زحفاً**.

3- روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**صَلاَةُ الْـجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى الْـمَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْـمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْـمَلاَئِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فيهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**.

ثالثاً: أقوال الصحابة:

ولقد وردت أقوال عديدة من الصحابة تدل على الاهتمام بصلاة الجماعة، وذلك على النحو التالي:

1- روى البزار والطبراني وابن خزيمة عن ابن عمر قال: "كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء، أسأنا به الظن"

2- وروى الترمذي أن ابن عباس سئل عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يشهد الجماعة، فقال: هذا في النار.

3- روى مسلم أن ابن مسعود قال: **" وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا، إِلاَّ**

مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ".

وهذا كله إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى اهتمام الشرع الحنيف بصلاة الجماعة، وهذا الاهتمام جعل بعض الفقهاء يقولون إن صلاة الجماعة فرض عين، وإن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعلوا صلاة الجماعة شرط من شروط صحة الصلاة.

الحقيقة الثالثة: لقد اهتم سلفنا الصالح بصلاة الجماعة اهتماماً بالغاً، فكانوا يحافظون عليها كالمحافظة على أنفسهم وأموالهم، بل أكثر من ذلك، فلم تشغلهم الدنيا بزخارفها، ولم يمنعهم من المحافظة عليها تجارة ولا صناعة ولا مال، ولذلك كانت المساجد تكتظ بهم في كل وقت وحين، لا فرق بين فرض وفرض.

فكانوا إذا سمعوا المؤذن يؤذن للصلاة، تركوا تجارتهم وصناعتهم، وأسرعوا إلى المسجد، يلبون داعي الله ، ويجيبون نداء الصلاة.

وكانوا يعملون بقول الله :**{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ والله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [النور: 36-38].

وكانوا يعملون بقول الله :**{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}** [الأحقاف: 31، 32].

كانوا يرون أن فوات الجماعة مصيبةٌ كبيرة، فكان إذا تخلف أحدهم عن تكبيرة الإحرام، عزوه ثلاثة أيام، ومن فاتته الصلاة في جماعة عزوه سبعة أيام، وكانوا يقولون: ليس المصاب من فقد الأحباب، بل المصاب من حرم الأجر والثواب، بل كانوا إذا فقدوا الرجل في الجماعة أساؤا به الظن.

بل الأعجب من هذا كله: أنهم عدوا فوات الجماعة معصية، تحتاج إلى كفارة، روي أن عمر بن الخطاب خرج ذات مرة إلى بستان له،

فرجع وقد صلى الناسُ العصرَ في جماعة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاةُ العصر جماعة، فقال: أشهدكم أني قد تصدقت ببستاني هذا على الفقراء والمساكين؛ ليكون كفارة لما صنع عمر .

وبهذا ساد السلف الصالح العالم بأسره، ومكن لهم في الأرض، أما الآن فقد أصبحت الأمة لا قيمة لها في نظر أعدائها؛ لأنها فرطت في كثير من شعائر الإسلام، ومن هذه الشعائر التي فرطت فيها الأمة الآن، صلاة الجماعة.

فياليتنا نقتدي بسلفنا الصالح، ونحافظ على الصلاة في جماعة، فإن الأمة لن تستطيع أن تسترد عزها ومجدها، إلا إذا حافظت على الصلاة في جماعة.

أخوة الإسلام:

لقد جعل الشرع الحنيف فوائد متعددة في صلاة الجماعة، وهذه الفوائد تعود على الفرد في الدنيا وفي الآخرة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الفوائد، أما الفوائد الدنيوية فهي ما يأتي:

أولاً: الشهادة بالإيمان:

وجاءت هذه الشهادة أولاً من الله ، فقال:{**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**} [التوبة: 18].

وروى البيهقي والترمذي أن الرسول قال:**إذا رأيتم الرجل يَعتَادُ المسجِدَ، فاشْهَدُوا لَهُ بالإيمان.**

فهنيئاً لمن حافظ على صلاة الجماعة، بهذه الشهادة العالية من الله ورسوله ، وكفى بها منقبة.

ثانياً: مغفرة الذنوب:

فالمسلم الذي يحافظ على صلاة الجماعة، يُغفر له ذنوبه، ما اجتنب الكبائر، روى أحمد والترمذي عن ابن عباس قال: قال الرسول : **أَتَانِي رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تَدْرِي فِيمَ**

يَخْتَصِمُ الْـمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ النَّبِيُّ : فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَـيَّ، حَتَّـى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَـدْيَيَّ، أَوْ قَـالَ: نَحْـرِي، فَعَلِمْـتُ مَـا فِي السَّـمَوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْـمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَّارَاتِ، وَالدَّرَجَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّـارَاتُ وَالـدَّرَجَاتُ؟ قَـالَ: الْمُكْثُ فِي الْـمَسَاجِدِ، وَالْـمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْـجَمَاعَاتِ، وَإِبْلاغُ الْوُضُوءِ فِي الْـمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِـنْ خَطِيئَتِـهِ كَيَـوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقُـلْ يَـا مُحَمَّـدُ إِذَا صَـلَّيْتَ: اللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْـأَلُكَ الْـخَيْرَاتِ، وَتَـرْكَ الْـمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْـمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْـكَ غَـيْرَ مَفْتُونٍ.

ثالثاً: البراءة من النفاق:

ومعنـى البـراءة مـن النفـاق: أن الله يؤمنـه فـي الـدنيا أن يعمـل عمـل المنافق، ويوفقه لعمل أهل الإخلاص، وفـي الآخـرة يؤمنـه ممـا يعـذب بـه المنـافق، ويشـهد لـه بأنـه لـيس منافقـاً، وذلـك بـأن المنـافقين إذا قـاموا إلـى الصلاة قاموا كسالى، وحال المحافظ على الجماعة بخلاف ذلك.

فروى البيهقي أن الرسول قـال:**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق.**

وفي رواية للبيهقي:**مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ، وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، أربعين ليلة فِي جَمَاعَةٍ، لا تَفُوتُهُ رَكْعَةٌ، كُتِبت لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ.**

رابعاً: مضاعفة الأجر:

فلقد بين لنا الرسول أن صلاة الجماعـة تزيـد فـي الثـواب عـن صـلاة الفـرد بسـبع وعشـرين درجـة، فـروى البخـاري ومسـلم أن الرسـول قـال: **صَلاةُ الْـجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً.**

روى أن أحد سلفنا الصالح وهو شيخ البخـاري، فاتتـه صـلاةُ العشـاء فـي جماعـة يومـاً؛ لأنـه كـان عنده ضـيف، فـأخره عن صـلاة العشـاء فـي جماعة المسجد، فخرج مسرعاً، فوجد الجماعة تخرج من المسجد، فذهب مسرعاً إلى مسجد آخر، يريد أن يلحق بصلاة الجماعة، فلم يجد مسجداً مفتوحاً، فعاد إلى بيته حزيناً، ثم قال: صلاة الجماعة تفضـل صـلاة الفـرد

بسبع وعشرين درجة، فأعوض ما فاتني، وأصلي العشاء سبعاً وعشرين مرة، ثم نام، فرأى في المنام أنه راكب على فرس، وأمامه مجموعة فرسان، منطلقون بخيولهم، وهم يحاولون أن يلحق بهم، ولا يستطيع، حتى التفت إليهم أحدهم، وقال له: إنك لن تستطيع أن تلحق بنا، فقال له: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة، وأنت صليت وحدك.

خامساً: استغفار الملائكة:

فالملائكة تستغفر وتصلي للجالس في المسجد ينتظر الصلاة في جماعة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلَّاه، لَمْ تَزَلْ الْـمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، فَإِنْ قَامَ مِنْ مُصَلَّاه، فَجَلَسَ فِي الْـمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، لَمْ يَزَلْ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ.**

وروى أبو داود والبيهقي وغيرهما أن الرسول قال: **إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ.**

سادساً: تكريم الله :

فالذي يصلي في جماعة، فهو ضيف الله ، والله يكرم ضيفه، فروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال: **من توضأ في بيته، فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر.**

وكيف يكون تكريم الله زائره، وهو أكرم الأكرمين، مالك السموات والأرضين؟، فلا شك أنه يكون أفضل تكريم.

سابعاً: فرح الله به:

فالله وهو الغني عن كل شيء يفرح بقدوم العبد إلى المسجد؛ لأداء الصلاة فيه، فروى ابن ماجه أن الرسول قال: **لَا يُوَطِّنُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْـمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ الله بِهِ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ.**

ثامناً: رفع الدرجات:

فالرجل إذا خرج من بيته يريد الصلاة مع الجماعة، جعل الله له كل خطوة ترفع درجة، وتحط خطيئة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **صَلَاةُ الْـجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ**

دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى الْـمَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْـمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْـمَلاَئِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فيهِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ.

تاسعاً: صلاة الجماعة تعدل قيام الليل:

وبالتحديد صلاة الفجر والعشاء، فروى أحمد وأبو داود أن الرسول قال:مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّه.

عاشراً: أجر الحاج والمعتمر:

فمن صلى الصبح في جماعة، وجلس في المسجد حتى تطلع الشمس، فله أجر الحاج والمعتمر، فروى الترمذي أن الرسول قال:مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ الله حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ.

أما الفوائد الأخروية فتتمثل فيما يأتي:

أولاً: المنزلة العالية في الجنة:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنْ غَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ الله لَهُ فِي الْـجَنَّةِ نُزُلاً، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ.

ثانياً: النور التام يوم القيامة:

روى أبو داود أن الرسول قال:بَشِّرِ الْـمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْـمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

والقرآن الكريم يصور لنا مشهد النور يوم القيامة، فقال :{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد: ١٢].

ثالثاً: في ظلال عرش الرحمن:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي

الْـمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

قال النووي: ورجل قلبه معلق بالمساجد، أي: شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وذلك معناه دوام القعود في المسجد.

أخوة الإسلام:

على الرغم من هذه الفوائد المتعددة لصلاة الجماعة، إلا أنه قد جهل كثير من المسلمين في هذه الأيام أهمية صلاة الجماعة، فتركوها وأعرضوا عنها، ونسوا أن صلاة الجماعة مهذبة للنفوس، مروضة لهم على الخير، مفرجة للكروب، مضيعة للهموم.

جهل كثير من المسلمين في هذه الأيام فوائد صلاة الجماعة، فانصاعوا لشهواتهم، ورضخوا لأهوائهم، وقلدوا الأفرنج في عاداتهم.

فنرى أكثر المسلمين اليوم لا يهتمون بصلاة الجماعة، ولا يدخلون المساجد إلا أيام الجمع والأعياد، ومع ذلك يدخلون المساجد وهم لها كارهون، بل إذا مكث الخطيب يخطب وزاد على النصف ساعة، قامت قيامتهم، وضجت النفوس، وارتفعت الشكاوى، كأنهم في سجن ضيق، أو عذاب أليم.

لقد عمرت المسارح والملاهي ودور السينما، وخربت المساجد وبيوت العبادة، وتسابق كثير من الناس في ميادين الضلال، وامتلأت نفوسهم بحب الدنيا والبهتان، والبعد عن طاعة الله ، وتغلب عند الناس جانب الشر على جانب الخير، وسمعوا نداء الله وأعرضوا عنه، ولم يجيبوه، وانشغلوا بتجارتهم، أو صناعتهم، أو أحاديثهم وسمرهم، مع أن الله يقول:{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [الأحقاف: 31، 32].

وها هو الرسول يتوعد ويهدد هؤلاء الناس الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة بحرق بيوتهم، وتخريبها عليهم، فروى البخاري ومسلم وغيرهما

أن الرسول قال: **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ، فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا، يَعْنِي: صَلاَةَ الْعِشَاءِ.**

وروى ابن ماجه أن الرسول قال: **لينتهين رجال عن ترك الجماعة، أو لأحرقن بيوتهم.**

فمن أين لنا برسول الله الآن، فيرى الكثرة من المسلمين الذين يتخلفون عن الجماعة، ولا يشهدونها إلا في الجمع فقط.

من أين لنا برسول الله ؛ ليهدد هؤلاء الناس الذين ألهتهم الدنيا، وشغلتهم الحياة الفانية، فعمروا المقاهي، وضيعوا أعمارهم في العبث واللهو واللعب؟

من أين لنا برسول الله ؛ ليضرب على أيدي هؤلاء الناس، ويسوقهم إلى بيوت الله ؛ لتتنزل عليهم رحمة الله ؟

من أين لنا برسول الله ؛ ليحرق بيوت الذين يتخلفون عن الجماعة بدون عذر شرعي، فالله لم يبخل علينا بكرمه، ولم يبخل علينا بإحسانه، حتى نبخل عليه بزيارة بيته، وحتى نكره الحضور إلى أماكن العبادة ومكان نزول الرحمات.

أخوة الإسلام:

لقد سمح الشرع الحنيف بترك الجماعة، ولكن بأعذار شرعية، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأعذار، فهناك أعذارا عامة، وأعذار خاصة ببعض الناس دون البعض، أماالأعذار العامة، فهي ما يأتي:

أولاً: المطر أو ثلج يبل الثوب ليلاً كان أو نهاراً:

فروى البخاري ومسلم وغيرهما، عن ابن أبي المليح عن أبيه قال: كنا مع الرسول زمن الحديبية فأصابنا مطر لم يبل أسفل نعالنا، فنادى مناد رسول الله : **أَلاَ صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ، أَلاَ صَلُّوا فِي الرِّحَالِ.**

ويشترط حصول مشقة بالخروج مع المطر، فلا يعذر بالخفيف ولا بالشديد إذا كان يمشي في كن، ولو تقطر المطر من سقوف الأسواق كان

عذرا في الجمعة والجماعات؛ لأن الغالب فيه النجاسة.

ثانياً: الريح الشديد بالليل:

لما روي أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، فقال: " ألا صلوا في رحالكم ".

وفي رواية: كان يأمر مناديه في الليلة الممطرة والليلة الباردة ذات الريح أن يقول: " ألا صلوا في رحالكم ".

وخرج بالريح الشديدة بالليل الريح الخفيفة ليلا والشديدة نهارا.

ثالثاً: الوحل الشديد:

سواء أكان هذا الوحل ليلاً كان أو نهاراً؛ لأنه أشق من المطر، بخلاف الخفيف منه.

والشديد: هو الذي لا يؤمن معه التلويث.

أما الأعذار الخاصة، فهي ما يلي:

أولاً: المرض الذي يشق معه الحضور:

كمشقة المشي في المطر، وإن لم يبلغ حداً يسقط القيام في الفرض، بخلاف المرض الخفيف كصداع يسير وحمى خفيفة فليس بعذر، ومثله تمريض من لا متعهد له، ولو غير قريب ونحوه؛ لأن دفع الضرر عن الآدمي من المهمات، ولأنه يتألم على القريب أكثر مما يتألم بذهاب المال، وغير القريب كالزوجة والصهر والصديق والأستاذ. ودليل عذر المرض قول الله : **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** [الحج: 78].

وروى البخاري ومسلم أنه لما مرض تخلف عن المسجد، وقال: **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**.

ثانياً: الجوع والعطش الظاهرين:

وذلك إذا كان المطعوم حاضراً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ وَلاَ يَعْجَلَنَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ**.

فيتخلف عن الجماعة ندباً؛ ليكسر شهوته في الجوع، بأن يأكل لقيمات

يكسر بها حدة الجوع، لكن في شرح مسلم وغيره تصويب إكمال حاجته من الأكل.

ثالثاً: مدافعة حدث من بول أو غائط أو ريح:

لما رواه مسلم أن الرسول قال: **لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ.**

رابعاً: الخوف من ظالم:

على نفس أو عضو أو منفعة أو مال أو عرض، أو حق له، أو لمن يلزمه الذَّبُ عنه، حتى على خبزه في التنور وطبيخه في القدر على النار، ولا متعهد يخلفه، لقول الرسول: **من سمع النداء فلم يأته، فلا صلاة له إلا من عذر** قالوا: يا رسول الله وما العذر؟ قال: **خوف أو مرض.**

خامساً: الخوف من ملازمة أو حبس غريم معسر:

ومحل هذا إذا عسر عليه إثبات إعساره، وإلا لم يعذر، ولو كان الحاكم لا يسمع إلا البينة إلا بعد الحبس فوجودها كالعدم، هذا إذا لم يقبل قوله في الإعسار، أما إذا قبل كأن لزمه الدين لا في مقابلة مال كصداق الزوجة فإنه لا يعذر، وكذا إذا ادعى الإعسار وعلم المدعي بإعساره وطلب يمينه على عدم علمه فرد عليه اليمين، فالمتجه أنه يكون عذرا.

سادساً: الخوف من عقوبة:

كتعزير لله ، أو لآدمي، وقَوَدٍ، وحد قذف مما يقبل العفو؛ يرجى تركها إن تغيب أياما يسكن فيها غيظ المستحق، بخلاف ما لا يقبله كحد الزنا، وكذا ما يقبل إذا لم يُرْجَ الترك لو تغيب.

سابعاً: التأهب لسفر مباح:

يريده مع رفقة ترحل ويخاف من التخلف للجماعة على نفسه أو ماله أو يستوحش فقط للمشقة في التخلف عنهم.

ثامناً: أكل ذي ريح كريهة:

كبصل أو فجل أو ثوم أو كرات نيئ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من أكل بصلا أو ثوما أو كُرَّاتاً فلا يَقْرَبَنَّ** مسجدنا وفي

رواية:**فلا يَقْرَبَنَّ المساجد، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.**

هذا إن تعسر زوال ريحهِ بغسل ومعالجة بخلاف ما إذا لم يتعسر، أما المطبوخ فلا يعذر به، ويعذر أيضا بالبخر والصنان المستحكم بطريق الأولى، ويعذر كذلك بالجذام والبرص لأن التأذي بهما أشد منه بأكل الثوم ونحوه.

تاسعاً: حضور نحو قريب كزوجة ورقيق وصديق وصهر محتضر:

أي حضره الموت وإن كان له متعهد؛ لما روى البخاري عن ابن عمر أنه ترك الجمعة، وحضر عند قريبه سعيد بنم زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، لما أخبر أن الموت قد نزل به؛ ولأنه يتألم بغيبته عنه أكثر مما يتألم بذهاب المال.

عاشراً: حضور مريض بلا متعهد له:

لئلا يضيع، سواء أكان قريباً أم أجنبياً، إذا خاف هلاكه إن غاب عنه، وكذا لو خاف عليه ضرراً ظاهراً.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على عقوبات تارك صلاة الجماعة.

العقوبة الأولى: النفاق:

روى البخاري أن الرسول قال:**إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلاَةُ الْعِشَاءِ، وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا.**

وروى مسلم أن ابن مسعود قال: **" وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا، إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ".**

وروى أحمد والطبراني أن الرسول قال:**الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ، وَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَ الله يُنَادِي بِالصَّلاَةِ، يَدْعُو إِلَى الْفَلاَحِ، وَلاَ يُجِيبُهُ.**

العقوبة الثانية: اللعن:

روى الحاكم أن الرسول قال:**ثلاثة لعنهم الله : رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة بات زوجها عليها ساخطاً، ورجل سمع حي على الصلاة ولم يجب.**

العقوبة الثالثة: الشقاء والخيبة:

روى الطبراني أن الرسول قال:**بحسب المؤمن من الشقاء والخيبة، أن يسمع المؤذن يثوب بالصلاة، فلا يجيبه.**

العقوبة الرابعة: استيلاء الشيطان عليه:

روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم أن الرسول قال: **مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ، لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ، إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ.**

واسمع معي أخي المسلم إلى هذه القصة؛ لعلك تتعظ وتفيق من نومك العميق.

روى أحمد وأبو داود عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ قَالَ: جِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: كُنْتُ ضَرِيرًا شَاسِعَ الدَّارِ، وَلِي قَائِدٌ لاَ يُلاَئِمُنِي، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، قَالَ :**أَتَسْمَعُ النِّدَاءَ؟**، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ :**مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً، ولو يعلم المتخلف عن الصلاة في الجماعة، ما لهذا الماشي إلى الجماعة، لأتى الجماعة ولو حبواً على يديه ورجليه.**

فهذا رجل أعمى ضرير، ومنزله بعيد عن المسجد، وفي طريقه نخل وشجر، ويحتاج إلى رجل بصير في كل وقت يقوده إلى المسجد، ومع هذا كله لم يبح له الرسول التخلف عن الجماعة؛ ليصلي في بيته، بل حتم عليه ضرورة الذهاب إلى المسجد.

فكيف بك أخي المسلم، وأنت صحيح البدن، وقادر على الذهاب إلى المسجد، وتسمع الآذان، ولا عذر لك، وتلهيك تجارتك، ويلهيك عملك، ويلقي الشيطان في روعك الكسل، وعدم خشية الله ، فتهمل إجابة المؤذن.

فاحرص أيها المسلم دائماً على الصلاة في جماعة، ولا تكن من المتخلفين المتكاسلين، الذين يصلون دائماً في بيوتهم، وينقرونها نقر الغراب، فترفع إلى الله خالية من الخشوع والخضوع، فتضرب بها وجوهم، وترد عليهم أعمالهم.

* * *

الزكـاة

أسبـاب نـعيم القبـر

الزكـاة

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: 18].

سبحانه: من اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: 3].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل إيتاء الزكاة معياراً من معايير الرجولة الكاملة، فقال :{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ والله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: 36 - 38].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل الزكاة ركناً من أركان الدين الخمسة، وقاعدة في بنائه المتين، وأصلاً من أصول الشريعة الإسلامية، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: الزكاة، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: اقتضت حكمة الله أن يختلف الناس في الرزق، وأن يتباينوا في متاع الدنيا، والرزق كله بيد الله يبسطه لمن يشاء، ويمنعه عمن يشاء.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [آل عمران: 26، 27].

فالخير كله من عند الله، يرسله إلى قوم ويمنعه عن قوم، فهذا غني وذاك فقير، وهذا ميسور الحال وذاك بائس محروم، فقال: **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: 23].

ولا يظن أحد أن الغنى دليل على رضا الله، ولا يظن أحد أن الفقر دليل على سخط المولى، فالله لا يغني أحداً لأنه راض عنه، ولا يفقر شخصاً لأنه غضبان عليه، فقد يغني عبداً وهو له كاره وغاضب عليه، وقد يفقر الله عبداً وهو عنه راض، وذلك ليلجأ إليه بالدعاء والاستعانة والعبادة، فقال: **{كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً* انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}** [الإسراء: 20، 21].

ولو كان الغنى دليلاً على رضا الرب ﷻ، ما أغنى الله فرعون وقارون، ولما أغنى الله ﷻ الغرب الملحد، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال: **إِنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ الله يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الله الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ.**

والله وإن اقتضت حكمته أن يكون هنـاك أغنيـاء وفقـراء، إلا أنـه لـم يترك الفقراء حيارى مهملين، ولكن فرض لهم حقاً معلوماً يصـرف لهـم كل عام من أموال الأغنياء، وذلك عن طريق الزكـاة، فقـال :{وَالَّـذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَـحْرُومِ} [المعارج: 24، 25].

الحقيقة الثانيـة: إن الله اهتم اهتماماً شديداً بالزكـاة، ولـم يتهـاون فـي شأنها، ولم يتركها لأحد يوزعها على حسب هوائه أو مزاجه، ولم يـرض فيهـا بحكـم نبـي ولا غيـره، شـأنها شـأن الميـراث، فنظمهـا نظامـاً دقيقـاً، وأوجبها لأصناف معينة ذكرهم في قرآنه، وقسم الزكاة بينهم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ:{إِنَّمَا الصَّـدَقَاتُ لِلْفُقَـرَاءِ وَالْمَـسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْـمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 60].

وأشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى أبو داود والبيهقي عن زِيَادَ بْنَ الْحَارِثِ الصُّدَائِيَّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله فَبَايَعْتُـهُ، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلاً، قَـالَ: فَأَتَـاهُ رَجُـلٌ فَقَـالَ: أَعْطِنِـي مِـنَ الصَّـدَقَةِ، فَقَـالَ لَـهُ رَسُـولُ الله :**إِنَّ الله لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلاَ غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ، حَتَّى حَكَـمَ فِيهَـا هُـوَ، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ.**

أما الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة، فهم على النحو التالي:

أولاً: الفقير: وهو من لا مـال لـه ولا كسـب، أي لـيس لـه القدرة علـى كسب المال الحلال.

أما الفقير الذي ليس لـه مـال، ولديـه القدرة علـى الكسـب الحـلال ولا يعمل، ويمد يديه للناس، ويطلب منهم الزكاة، فهذا الصـنف مـن النـاس قد أسـاء لنفسـه ولدينـه، ولا يستحق مـن الزكـاة؛ لأن هذا يـؤدي إلـى البطالـة والتكاسل، وعدم طلب العمل لجلب الرزق الحلال.

اقرأ معي قول الله :{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْـتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْـحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 273].

وروى أبو داود وأحمد والنسائي أن الرسول قال:**لا حظ فيهـا لغنـي،**

ولا لقوي مكتسب.

ثانياً: المسكين: وهو الشخص الذي لا يفي دخله حاجته الضرورية.

ثالثاً: العاملون عليها: وهم الذين يسعون في جمع الزكاة من أهلها، وصرفها إلى من يستحقها.

رابعاً: الغارمين: جمع غارم، وهو الذي استقرض مالاً في طاعة، أو فعل مباح، وعجز عن أدائه، أو استدان لإصلاح ذات البين.

خامساً: سبيل الله : هم الغزاة الذين يجاهدون لإعلاء كلمة التوحيد، فيعطى لهم من الزكاة، وإن كانوا أغنياء؛ إعانة لهم على الغزو.

فروى أبو داود وابن ماجه أن الرسول قال: **لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ إِلاَّ لِخَمْسَةٍ: لِغَازٍ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا، أَوْ لِغَارِمٍ، أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ رَجُلٍ كَانَ لَهُ جَارٌ مِسْكِينٌ فَتُصُدِّقَ عَلَى الْمِسْكِينِ، فَأَهْدَى الْمِسْكِينُ لِلْغَنِيِّ.**

سادساً: ابن السبيل: وهو المسافر في سفر مباح، وانقطع به الحال، فيؤخذ من الزكاة بالقدر الكافي.

وبعد هذا البيان لأصناف المستحقين للزكاة، يمكن القول: بأنه لا يجوز صرف الزكاة في بناء المدارس، ولا يجوز صرفها في بناء المساجد، ولا يجوز صرفها في وقف خيري، ولا أي جهة غير الأصناف المذكورة في الآية.

الحقيقة الثالثة: إن الرسول حرم المسألة، فروى البخاري والبيهقي واللفظ له، أن الرسول قال: **لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَسْتَغْنِيَ بِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ.**

ولقد بين لنا الرسول خطورة المسألة يوم القيامة، فروى مسلم أن الرسول قال: **لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ، حَتَّى يَلْقَى الله وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ.**

وروى أحمد وأبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: **أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟**، قَالَ: بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: **ائْتِنِي بِهِمَا**، فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا

رَسُولُ الله بِيَدِهِ، وَقَالَ:مَنْ يَشْتَرِى هَذَيْنِ؟، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ :مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَ، وَقَالَ:اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا، فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا، فَأْتِنِي بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ الله عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ الله :هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ.

ولقد حدد الرسول الأصناف الذين تجوز لهم المسألة، فروى مسلم وأحمد والنسائي وأبو داود عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِي قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ:أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ:يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ – أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ – وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِى الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ، لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ – أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ – فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا.

الحقيقة الرابعة: إن الله فرض الزكاة على الأغنياء لفوائد تعود عليهم أولاً، وفوائد تعود على الفقراء ثانياً، وفوائد تعود على المجتمع ثالثاً.

أولاً: الفوائد التي تعود على الغني:

1 - الزكاة تطهر المال من أي شائبة حرام، فقال :{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103].

2 - ترفع البلاء والأمراض عن صاحبها، وتحصن المال، فروى البيهقي أن الرسول قال:دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ.

3 - تطهر النفس من درن الشح والبخل، وترفع النفس إلى درجة الجود

والتصدق ابتغاء مرضات الله ، فقال :{فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

4 - تجعل الغني يعيش مرتاح البال والضمير، ويعيش آمناً مطمئناً على ماله وأولاده.

ثانياً: الفوائد التي تعود على الفقير:

الزكاة تنشل الفقير من ذل الفقر، وترفعه من حضيض الفاقة والعوز، وتمسح دموع البائسين، وتخفف لوعات اليتامى والمحتاجين، فيهدأ بالهم، وتطمئن نفوسهم، فلا يضمرون شراً للأغنياء.

ثالثاً: الفوائد التي تعود على المجتمع:

الزكاة ترفع من المستوى الاقتصادي للمجتمع، وتحقق التوازن بين الغني والفقير، ويعيش المجتمع في أمن وسلام، وهدوء وطمأنينة، وبالتالي يعم الرخاء على المجتمع كله.

الحقيقة الخامسة: إن المسلم فينا ليس له الحق في أن يمنع زكاة ماله؛ لأن المسلم ليس له خيار إذا قضى الله ورسوله أمراً، سواء أكان ذلك الأمر يتعلق بالعقيدة، أم بالعبادة، أم بغيرهما، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

وقال:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: 51].

وعلى هذا الأساس فإن مانع الزكاة تؤخذ منه قهراً في الدنيا، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق عندما تولى الخلافة بعد وفاة الرسول ، وامتنع قوم عن أداء الزكاة، بحجة أن الرسول هو الذي كان يأخذ الزكاة، وأما غيره فلا يأخذها، فأراد أبو بكر أن يقاتل هؤلاء الناس الذين امتنعوا عن أداء الزكاة، فقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِي بَكْرٍ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله :أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ

إِلاَّ الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : والله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، والله لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَوَ الله مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

أما الذي لا يقوم بإخراج زكاة ماله مطلقاً، فإن الله سرعان ما يسلب منه هذه النعمة في الدنيا، وهذا ما حدث في قصة أصحاب الجنة، فقال : {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيم * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ* فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم: 17 - 33].

وأما العقاب في الآخرة لمانع الزكاة، فقد أعلن عنه الرسول ، فروى البخاري وغيره أن الرسول قال:مَنْ آتَاهُ الله مَالا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ:{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 180].

الحقيقة السادسة: إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لو طبقوا زكاة أموالهم بالصورة التي ترضي الله وترضي رسوله ، ما وجدنا سائلاً في الطرقات، ولا عاطلاً في البيوت، ولا جائعاً لا يجد كسرة خبز ولا شربة ماء؛ لأن الزكاة من شأنها تحقق التوازن بين الغني والفقير،

وتعتبر الزكاة من أهم ثروات الدخل للدولة.

وقد تأكدت هذه الحقيقة في عهد عمر بن عبد العزيز ، حيث جمعت الزكاة من أرجاء الدولة الإسلامية، ووضعت في بيت مال المسلمين في عاصمة الدولة الإسلامية، وأراد عمر بن عبد العزيز أن يوزع الزكاة على مستحقيها من أبناء الدولة الإسلامية، فلم يجد عمر بن عبد العزيز مسكيناً واحداً يستحق الزكاة، عقمت الدولة العمرية أن تلد مسكيناً.

فماذا فعل بالزكاة؟ أصدر أمراً بإعتاق العبيد، وقال: أي سيد عنده عبد ويريد إعتاقه، فثمنه من بيت مال المسلمين، فأعتق العبيد، وما زال المال فائضاً عن حاجة المسلمين، فأصدر أمراً ثانياً بسداد الديون، وقال: أي رجل عليه دين، فأداؤه من بيت مال المسلمين، فأديت الديون، وما زال المال فائضاً عن حاجة المسلمين، فأصدر أمراً ثالثاً بزواج الشباب، فقال: أي شاب يريد الزواج، فزواجه من بيت مال المسلمين، فزوج الشباب من بيت مال المسلمين.

أعتق العبيد، وأديت الديون، وزوج الشباب، كل هذا من مال الزكاة فقط، فياليتنا نؤدي زكاة أموالنا بالصورة التي ترضي ، وترضي الرسول ، حتى نحقق للمجتمع السعادة والأمان.

إخوة الإسلام:

إن الزكاة ليست عبارة عن إخراج المال للفقراء وفقط، بل لا بد من عدة أمور يجب مراعاتها عند إخراج الزكاة، حتى تكون الزكاة صحيحة ومقبولة شرعاً، فتعالوا معي لنتعرف على الأمور التي يجب مراعاتها عند إخراج الزكاة.

أولاً: إخلاص النية لله : فالنية أساس قبول الأعمال عند الله ، فروى البخاري أن الرسول قال:**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى.**

فإذا لم يكن العبد مخلصاً يبتغي وجه الله ، فلا ثواب له عند الله ، فروى مسلم وغيره أن الرسول قال:إن الله **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ؛ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ الله، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ الله لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا**

أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ، قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقُولُ الله لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ، فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فلما بلغ ذلك الخبر معاوية بن أبي سفيان بكى بكاءً شديداً، وقال: صدق الله ورسوله، ثم تلا هذه الآية:{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16].

ثانياً: أن لا يفسدها بالمن والأذى: والمن أن يذكرها ويتحدث عنها، أو يستخدمه بالعطاء، أو يتكبر عليه لأجل إعطائه، والأذى أن يظهرها، أو يعيره بالفقر، أو يوبخه.

وفي هذا يقول المولى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 264].

ثالثاً: أن تكون الزكاة من كسب طيب: فالله طيب لا يقبل إلا الطيب، فعلى المسلم أن ينتقي من ماله أفضله وأجوده، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ والله يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً والله وَاسِعٌ

عَلِيمٌ} [البقرة: 267، 268].

وقال :{لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: 92].

فإن لم يكن من جيد المال وأفضله، فهو من سوء الأدب مع الله ، فإن الزكاة قبل أن تقع في يد الفقير فإنما تقع عند الله بمكان، وقد ذم الله قوماً جعلوا لله ﷻ ما يكرهون، فقال :{وَيَجْعَلُونَ لله مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} [النحل: 62].

رابعاً: إخفاء الزكاة أو إظهارها: فإخفاؤها: أي الإسرار بها؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، قال :{إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: 271].

وقد بالغ السلف الصالح في الإخفاء، حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بغضهم يوصل إلى يد الفقير على يد غيره، بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم الموصل لها، ويوصيه بأن لا يخبر عنه، كل ذلك توصلاً إلى رضا الله ، واحترازاً من الرياء والسمعة.

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

* * *

الصـدقـة

الصدقـة

أسبــاب نـعيم القبـر

الصدقة

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال:{**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [النحل: **18**].

سبحانه: وعد من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، بأن ييسره لليسرى، وتوعد من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، بأن ييسره للعسرى، فقال : {**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**} [الليل: **5 - 10**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن الربا، وأمرنا بالصدقة، فقال :{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [البقرة: **278 - 280**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، فروى الترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْـخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّار**.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الصدقة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن المال نعمة من الله ، فهو الذي يعطيه من يشاء،

ويمنعه عمن يشاء، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [آل عمران: **26، 27**].

فالخير كله من عند الله ، يرسله إلى قوم، ويمنعه عن قوم، فهذا غني وذاك فقير، وهذا ميسور الحال وذاك بائس محروم، فقال :**{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: **23**].

والله يبسط الرزق لمن يشاء، ويمنعه عمن يشاء، ابتلاءً منه ، وامتحاناً للغني كيف يشكر الله فيما أعطاه، واختباراً للفقير كيف يصبر على ما ابتلاه الله ، فقال :**{فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ}** [الفجر: **15 - 17**].

ولا يظن أحد أن الغنى دليل على رضا الله ، ولا يظن أحد أن الفقر دليل على سخط المولى ، فالله لا يغني أحداً لأنه راض عنه، ولا يُفقِر شخصاً لأنه غضبان عليه، فقد يغني الله عبداً وهو له كاره وغاضب عليه، وقد يفقر الله عبداً وهو عنه راض، وذلك ليلجأ إليه بالدعاء والاستعانة والعبادة، فقال :**{كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}** [الإسراء: **20، 21**].

ولو كان الغنى دليلاً على رضا الرب ﷻ، ما أغنى الله فرعون وقارون، ولما أغنى الله ﷻ الغرب الملحد، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:**إِنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ الله يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الله الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ.**

الحقيقة الثانية: إن مال العبد الحقيقي الذي يمتلكه، هو ما قدمه لنفسه؛ ليكون ذخراً له بعد موته، وليس ماله ما جمعه، فاقتسمه الورثة بعد مماته، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري وأحمد أن الرسول قال:**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ :**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**.

وفي رواية البيهقي أن الرسول قال:**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**) قَالُوا: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ رَسُولُ الله :**اعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ**.

ومعناه: أن ما ينفقه الإنسان من ماله حال حياته في وجوه البر والإحسان، من صدقات، وإقامة المشاريع الخيرية، والأوقاف النافعة، وكفالة اليتيم، وإطعام الجائعين، وإعانة المعسرين، كل هذا يقدمه أمامه، ويجد ثوابه مدخراً عند الله ، ومضاعفاً أضعافاً كثيرة، فهو ماله الحقيقي الذي يبقى لديه، ويجري نفعه عليه، وما عداه فإن ملكيته له محدودة بحال الصحة وسلامة فكره؛ لأنه إذا مرض مرض الموت، فإنه يحجر عليه، فلا يتصرف فيه بصدقة ولا هبة.

ففي هذه الحالة يُمنع الإنسان من التصرف في ماله، الذي أتعب جسمه، وقضى عمره في جمعه؛ لأنه على وشك زوال ملكه عنه، وانتقاله إلى غيره من ورثته، وقد فرط في حال الصحة يوم أن كان ملكه عليه تاماً.

وروى الترمذي عن عائشة أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ :**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**، قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلا كَتِفُهَا، قَالَ :**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**.

وروى مسلم وأحمد أن الرسول :**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**.

فالواجب على كل مسلم أن يعي هذه الحقيقة، وأن يضعها نصب عينيه، حتى يفوز بالآخرة برضا الله ، وينجو من عقاب الله ، ولقد أكد لنا

الرسول هذه الحقيقة، وأن المال هو ما يدخره المسلم لنفسه يوم القيامة، فروى أحمد والبيهقي والطبراني أن الرسول قال: **كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ.**

ولكن للأسف الشديد يظن كثير من الناس أن المال هو ما يمتلكه الإنسان ويدخره في حياته، وأنه بهذه الطريقة العقيمة في الفكر يعتقد أنه يؤمن نفسه وحياة أولاده، ولكن هذا ظن خاطئ، ووهم باطل، إن دل على شيء فإنما يدل على أننا لم نضع الأمور في نصابها المعتاد، ولم نفهم الأمور بالطريقة الصحيحة، فالإنسان منا لا يؤمن مستقبله الذي لا بد منه في الدار الآخرة، بأن يقدم من ماله ما يجده مدخراً مضاعفاً أضعافاً كثيرة، وهو أحوج ما يكون إليه، فمال العبد في الحقيقة هو ما قدمه لنفسه؛ ليكون ذخراً له يوم القيامة.

الحقيقة الثالثة: إن الشرع الحنيف حذرنا من البخل، وجعله من صفات المنافقين، فقال: **{وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ الله عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}** [التوبة: **75 - 78**].

ولقد ضرب الله أبلغ الأمثلة لحال الذين يكنزون الأموال ويبخلون بها، فهذا قارون قال الله في شأنه: **{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [القصص: **76، 77**].

فلما كفر النعمة، ورفض الإحسان وأنكر، وقال كما قال المولى: **{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}** [القصص: **78**].

فكانت النتيجة أن خسف الله به الأرض، فقال: **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}** [القصص: **81**].

وقال :{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: **34، 35**].

وقال :{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: **8 - 10**].

ولقد حذرنا الرسول أيضاً من البخل، فروى الترمذي أن الرسول قال:**السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل.**

فإياك أخي المسلم أن تكون من الذين يبخلون بأموالهم بالتصدق في سبيل الله ، فغنى المال لا يغني عنك من عذاب الله شيئاً، فقال : {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: **28، 29**].

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بالصدقة، وحثنا عليها في كثير من آيات القرآن الكريم، وفي كثير من أحاديث الرسول، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الصدقة.

أولاً: الندب إلى الصدقة قبل فوات الأوان:

فالله حثنا على الصدقة قبل فوات الأوان، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: **254**].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: 9 - 11].

ثانياً: الإنفاق في سبيل الله من صفات المتقين:

قال :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: **133 - 136**].

قال الرازي: وإنما افتتح الله بذكر الإنفاق؛ لأنه طاعة شاقة، ولأنه كان في ذلك الوقت أشرف الطاعات؛ لأجل الحاجة إليه في مجاهدة العدو، ومواساة فقراء المسلمين.

وقال :{الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة: **1 - 3**].

وقال :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: **35**].

ثالثاً: مضاعفة الأجر للصدقة:

فالله يضاعف ثواب الصدقة إلى سبعمائة ضعف، فقال :{مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: **261**].

وقال:{يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: **276**].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال: **لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلاَّ أَخَذَهَا الله بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ.**

الفلو: المُهْر الصغير إذا فطم، والقلوص: الشابة من الإبل.

وقال:{مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد: **11**].

هتاف موح مؤثر، والله يقول للعباد الفقراء المحاويج:{مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد: **11**]، ومجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه، كفيل بأن يطير به إلى البذل طيراناً.

إن الناس ليتسابقون عادة على إقراض الثري المليء، فكيف إذا كانوا يقرضون الغني الحميد، ولا يتركهم الله إلى هذا الشعور وحده، ولكن يعدهم على القرض الحسن الخالص له بالضعف في المقدار والأجر الكريم بعد ذلك من عنده .

ثم يعرض لهم صفحة وضيئة من ذلك الأجر الكريم، في مشهد طريف لطيف من مشاهد اليوم الذي يكون فيه الأجر الكريم، فقال :{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد: **12**].

وعلى العكس من ذلك تماماً حال المنافقين الذين بخلوا بالمال في الدنيا، فقال :{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ الله وَغَرَّكُم بالله الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحديد: **13 - 15**].

رابعاً: جعل الله الصدقة تطهيراً للمال:

فقال :{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: **103، 104**].

خامساً: الإبدال خير مما تصدق:

فالله وعد من تصدق بأن يبدله خيراً مما تصدق، فقال :{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: **39**].

وروى البخاري أن الرسول قال:مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا.

سادساً: القرب من الله ومن الجنة ومن الناس:

فروى الترمذي أن الرسول قال:السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار... .

سابعاً: الصدقة ترفع البلاء والأمراض عن صاحبها:

فروى البيهقي أن الرسول قال:دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاَءِ الدُّعَاءَ.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف آداباً للصدقة، يتعين على المتصدق أن يلتزم بهذه الآداب، حتى تكون صدقته مقبولة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الآداب.

أولاً: إخلاص النية لله :

فالنية هي أساس قبول الأعمال عند الله ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إنما الأعمال بالنيات... .

فإذا لم يكن المتصدق مخلصاً يبتغي وجه الله بصدقته، فلا ثواب له عند الله ، روى الترمذي وابن حبان والحاكم أن الرسول قال:أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ أُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جريء فَقَدْ قِيلَ، فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ فِيكَ، قَالَ: كَذَبْت، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ عَالِمٌ وَفُلاَنٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ، وَرَجُل آتَاهُ الله مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شيء تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي

النَّارِ.

ثم يقول الرسول :**يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة.**

فلما بلغ ذلك الخبر معاوية بن أبي سفيان ، بكى بكاءً شديداً، وقال: صدق الله ورسوله، ثم تلا هذه الآية:**{مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [هود: **15، 16**].

وعلى العكس من ذلك فقد يدرك الإنسان الثواب العظيم بالإخلاص فقط، فروى الترمذي وأحمد أن الرسول قال:**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْمَلُ لله فِيهِ حَقَّهُ، قَالَ: فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، قَالَ: فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ، عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْمَلُ لله فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، قَالَ: وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: فهو بنِيَّتِه، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ.**

ثانياً: أن لا يفسدها بالمن والأذى:

والمن: أن يذكرها ويتحدث عنها، أو يستخدمه بالعطاء، أو يتكبر عليه؛ لأجل إعطائه.

والأذى: أن يظهرها، أو يعيره بالفقر، أو ينتهره، أو يوبخه.

ولقد نهانا الله عن المن والأذى، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا والله لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ}** [البقرة: **264**].

ولأجل هذا: كان سلفنا الصالح حريصاً على عدم إفساد صدقته بالمن والأذى، فكان بعضهم يبسط كفه، كي يأخذ الفقير من كفه، وتكون يد

الفقير هي العليا، ويد الذي يعطي الصدقة أسفل.

بل كان بعض السلف الصالح يضعها بين يدي الفقير، ويقوم عنها، ويسأله أن يتقبلها، حتى يكون في صورة السائلين.

قال الليث بن سعد: من أخذ مني صدقة أو هدية، فحقه عليّ أعظم من حقي عليه؛ لأنه قبل مني قرباني إلى الله .

وقد كان سفيان الثوري ينشرح إذا رأى سائلاً على بابه، ويقول: مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي.

وقال الفضيل بن عياض: يحملون أزوادنا إلى الآخرة، بغير أجرة، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله .

ثالثاً: الإسرار بأخراجها:

لقد حثنا الشرع الحنيف على إسرار الصدقة؛ لكونه أبعد عن الرياء والسمعة، وفي الإظهار إذلال للفقير، فقال :**{إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** [البقرة: **271**].

وروى البيهقي والطبراني أن الرسول قال:**إن صدقة السر تطفئ غضب الرب.**

وقد ذكر بعض العلماء: أن الإخفاء في صدقة التطوع أفضل، والإظهار في الزكاة أفضل.

ولقد كان السلف الصالح يبالغ في هذا الأدب، فكان بعضهم يوصل إلى يد الفقير على يد غيره، حيث لا يُعرف المعطي، وكان يستكتم الموصل لها، ويوصيه بألا يخبر عنه، كل ذلك توصلاً إلى رضا الرب، واحترازاً من الرياء والسمعة، فروى البخاري أن الرسول قال:**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.**

رابعاً: أن تكون الصدقة من كسب طيب:

فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، فعلى المتصدق أن ينتقي من ماله أفضله وأجوده، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** [البقرة: **267**].

وأما أحبه إليه: فلقول الله :**{لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ}** [آل عمران: **92**].

فإن لم تكن الصدقة من جيد المال وأفضله، فهو من سوء الأدب مع الله ، فإن الصدقة قبل أن تقع في يد الفقير، فإنما تقع عند الله بمكان، وقد ذم الله قوماً جعلوا لله ما يكرهون، فقال :**{وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ}** [النحل: **26**].

فينبغي على السلم أن يختار الأجود لنفسه، والذي هو مدخر لنفسه، ما يتصدق به لله ، ولقد كان السلف الصالح يختارون أحب الأموال في إخراج صدقاتهم، فقد كان عبد الله بن عمر إذا اشتد حبه لشيء من ماله، قربه لله .

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على الصدقة ابتغاء مرضات الله .

أولاً: إطفاء الخطيئة: روى الترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّار.**

ثانياً: طهارة المال: قال :**{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** [التوبة: **103، 104**].

ثالثاً: الأمن والسرور: كتب الله للمتصدق الأمن في الدنيا والسرور في

الآخرة، فقال :{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274].

رابعاً: إطفاء غضب الرب : روى البيهقي والطبراني أن الرسول قال:إن صدقة السر، تطفئ غضب الرب.

خامساً: يكون في ظل صدقته يوم القيامة: روى أحمد والبيهقي والطبراني أن الرسول قال:كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ:حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ.

سادساً: تيسير الأعمال: قال :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: 5 - 7].

سابعاً: القرب من الجنة والبعد عن النار: روى الترمذي أن الرسول قال:السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار... .

* * *

الصـيام

الصـيام

أسبـاب نـعيم القبـر

الصــيام

الحمد لله رب العالمين: الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال :{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 1 - 4].

سبحانه: خص شهر رمضان بالعفو والغفران، فروى مسلم أن الرسول قال:**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ.**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: فرض علينا الصيام كما فرضه على الأمم السابقة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 183 - 185].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا ما أعطاه الله لأمته في هذا الشهر العظيم، فروى البيهقي أن الرسول قال:**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ: أما الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم، ومن نظر إليه الله لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وأما الثالثة: فإن الملائكة تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ في كل يوم وليلة، وأما الرابعة: فَإِنَّ اللهَ يُزَيِّنُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَئُونَةَ وَالأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وأما الخامسة: يُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ،** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ :**لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الصيام**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الله فضل شهر رمضان على بقية أشهر العام، وخصه بعدة خصائص لم ينلها شهر غيره، ومن هذه الخصائص ما يلي:

أولاً: أنزل الله فيه القرآن: فقال: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ}** [البقرة: 185].

قال العلماء: إن القرآن قد نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا، في ليلة القدر من شهر رمضان، فجُعِلَ في بيت العزة، ثم نزل به جبريل مفرقاً بعد ذلك، على حسب الأحداث والوقائع، فقال: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ}** [القدر: 1].

ولو لم يكن لشهر رمضان إلا هذه الفضيلة لكفته، فأنعم بالقرآن من كتاب، إنه دستور الأمة، ومنهجها القويم، وهو أعظم زاد لهم إلى الله، فقال: **{أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [العنكبوت: 51].

وليس هذا فحسب، بل إن رمضان شهر نزول الكتب السماوية كلها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، فروى أحمد بسند حسن والطبراني أن الرسول قال: **أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ لِثَلاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**.

ثانياً: شهر تفتح فيه أبوابُ السماء، وتغلق فيه أبوابُ النيران: فروى

البخاري أن الرسول قال: **إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ.**

والمراد بقوله: **فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ** أي: كناية عن رضا الله عن أعمال العبد في هذا الشهر الكريم.

والمراد بقول الرسول: **وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ** أي: أن الله يصرف ويبعد الناس عن المعاصي في هذا الشهر الكريم.

والمراد بقول الرسول: **وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ** أي: قيدت بالسلاسل.

ولقائل يقول: إذا كانت الشياطين في رمضان مسلسلة، فلماذا نرى بعض المعاصي ترتكب في رمضان؟ أقول: قال بعض العلماء: أن معنى ذلك: أن المعاصي في رمضان تكون قليلة عن بقية الشهور، وهذا شيء ملموس.

ثالثاً: شهر تفتح فيه أبواب الجنان: روى ابن ماجه أن الرسول قال: **إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ: صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.**

رابعاً: أنه شهر تكفير الذنوب والسيئات: ويكون ذلك بثلاثة أمور:

الأمر الأول: صيام نهاره: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.**

أي: من صام هذا الشهر الكريم غير مستثقل الصيام، ولا مستطل أيامه، غفر له ما تقدم من ذنبه، نعمة عظيمة للعبد، فما الذي يرجوه العبد من ربه إلا غفران الذنوب؟ وصوم رمضان إيماناً واحتساباً سبباً في مغفرة الذنوب.

الأمر الثاني: قيام ليله: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.**

والمراد بقيام رمضان: صلاة التراويح.

الأمر الثالث: قيام ليلة القدر: روى البخاري أن الرسول قال:**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.**

خامساً: رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر: فقال :**{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}** [القدر: 1 - 5].

سادساً: رمضان شهر النفحات: روى الطبراني أن الرسول قال:**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا، فَلا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا.**

سابعاً: رمضان شهر العتق من النار: فروى الترمذي وابن ماجه وأحمد أن الرسول قال:**إِنَّ لله عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.**

ثامناً: رمضان شهر الصبر: فلقد سمى الرسول شهر رمضان بشهر الصبر، فروى ابن ماجه أن الرسول قال لأبي أمامة الباهلي:**صم شهر الصبر رمضان، صم شهر الصيام، وثلاثة من كل شهر.**

تاسعاً: مضاعفة الأجر: روى ابن خزيمة أن الرسول قال:**أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.**

هذه الخصائص إن دلت على شيء فإنما تدل على أهمية هذا الشهر العظيم لأمة الرسول ، فالواجب علينا جميعاً أن ننتهز هذا الشهر ونجتهد في العبادة فيه؛ لعلنا تصيبنا نفحة من نفحاته، فلا نشقى بعدها أبداً.

الحقيقة الثانية: إن الناس ليسوا على درجة واحدة في استغلال هذا الشهر الكريم، رغم كل الخصائص التي ميزه الله بها عن بقية أشهر العام، ولكنهم يتنوعون إلى أنواع عديدة، وذلك على النحو التالي:

النوع الأول: من الناس من ينتظر هذا الشهر بفارغ الصبر، وتزداد فرصته من أجل أن يجتهد في العبادة، من صلاة، وصيام، وزكاة، وصدقة، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وهذا من خير أنواع الناس في

رمضان.

هذا النوع من الناس الذي ينتظر رمضان بفارغ الصبر، من أجل أن يكثروا فيه من الخير، يعملون كما كان الرسول يعمل في هذا الشهر الكريم، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

النوع الثاني: من الناس من يدخل عليه رمضان، ويخرج منه وهو ما كان عليه قبل رمضان، هذا النوع من الناس الذي لم يتأثر بصوم رمضان، قد فوت على نفسه غنيمة، أو فرصة لا تقدر بمال.

النــوع الثالــث: من الناس لا يعرف الله إلا في رمضان، فإذا جاء رمضان أخذوا يصلون ويركعون، فإذا انتهى رمضان، عادوا إلى ما كانوا عليه قبل رمضان، هذا النوع من الناس قال الله فيه:{**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**} [محمد: 25].

هذا النوع من الناس يُشبِّه نفسه بالرجل الذي يبني بيتاً، ثم بعد ذلك يقوم بهدمه، وأقول لهذا النوع من الناس: عليه أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً، ويستغل هذا الشهر العظيم للرجوع إلى الله ، والاستغفار والإقلاع عما هم فيه، وصدق الله إذ يقول:{**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**} [طه: 82].

النوع الرابع: من الناس من يصوم عن الأكل والشرب والجماع فقط، ولكنه تجده يسمع المنكرات، والغيبة، والنميمة، والسخرية، ويقولون: إننا نسلي صيامنا.

هذا الصنف من الناس بهذا العمل قد جرحوا صيامهم، وفرضوا في الأجر الكثير، روى البخاري وأبو داود والترمذي أن الرسول قال:**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**.

وروى البيهقي والحاكم وابن خزيمة أن الرسول قال:**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَقَطْ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ**.

النوع الخامس: نوع من الناس جعل نهار رمضان كله نوم، ويقضي ليل رمضان في السهر أمام الفسق والفجور والمعاصي، الذي يقوم التلفاز بنشرها في هذا الشهر على وجه الخصوص.

هذا النوع من الناس لم يستغل نهار رمضان في الذكر والخير والصلاة، ولم ينزه ليله عن المحرمات.

النوع السادس: من الناس لا يعرف الله لا في رمضان، ولا في غير رمضان، وهذا هو شر الأنواع، وأخبثها، وأخطرها، فنراه لا يهتم بصلاة ولا بصوم، ويترك كل هذا عامداً متعمداً، مع أنه سليم الصحة والعافية، وبعد ذلك يدعي أنه من أهل الإسلام، والإسلام منه بريء.

فانظر أخي المسلم من أي الأنواع أنت؟ فإن كنت من النوع الأول، فاحمد الله على ذلك، وادع الله أن يثبتك على هذا، وإن كنت من الأنواع الأخرى فادع الله أن يرزقك الهداية، ويجعلك من النوع الأول.

الحقيقة الثالثة: إن الله شرف الصيام فأضافه إلى ذاته المقدسة دون غيره من العبادات، فروى البخاري أن الله يقول: **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ.**

فلو لو لم يكن للصيام فضيلة ومنقبة سوى هذه، لكفته شرفاً وتعظيماً.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.**

وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا خص الله الصيام من بين سائر أعمال العبد، مع أن الأعمال كلها لله ، وهو الذي يجزي عليها؟

قال النووي: اختلف العلماء في معناه، مع كون جميع الطاعات لله ، فقيل: سبب إضافته إلى الله ، أنه لم يُعبَدْ أحدٌ غيرَ الله به، فلم يعظِّم الكفارُ في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة السجود، والصدقة، والذكر، وغيره.

وقيل: لأن الصيام بعيد من الرياء؛ لخفائه، بخلاف الصلاة، والحج، والغزو، والصدقة، وغيرها من العبادات الظاهرة.

وقيل: لأن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله ، فتقرب

الصائم بها يتعلق بهذه الصفة، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء.

وقيل: أضيف إلى المولى إضافة تشريف، كقوله :{نَاقَةَ اللهِ} [الشمس: 13]، مع أن العالم كله لله .

والْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : (وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) أَنِّي أَنْفَرِد بِعِلْمِ مِقْدَار ثَوَابه وَتَضْعِيف حَسَنَاته، وَأَمَّا غَيْره مِنْ الْعِبَادَات فَقَدْ اِطَّلَعَ عَلَيْهَا بَعْض النَّاس.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الأعْمَال قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِيرُ ثَوَابهَا لِلنَّاس، وَأَنَّهَا تُضَاعَف مِنْ عَشْرَة إِلَى سَبْعمِائَةٍ، إِلَى مَا شَاءَ الله ، إلا الصِّيَام، فَإِنَّ اللَّه يُثِيب عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِير، وَيَشْهَد لِهَذَا السِّيَاق الرِّوَايَة الأخْرَى يَعْنِي رِوَايَة الْمُوَطَّأ، وَكَذَلِكَ رِوَايَة الأعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح حَيْثُ قَالَ:**كُلّ عَمَلِ اِبْن آدَم يُضَاعَف الْحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا، إِلَى سَبْعمِائَةِ ضِعْف إِلَى مَا شَاءَ الله، - قَالَ الله - إِلَّا الصَّوْم، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ.**

أَيْ: أُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاء كَثِيرًا، مِنْ غَيْر تَعْيِين لِمِقْدَارِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

الحقيقــة الرابعــة: إن الشخص الذي دخل عليه رمضان، ولم يكن رمضان سبباً في مغفرة ذنوبه، فلن يُغفر له أبداً بعد ذلك؛ لأن من حُرم الخيرَ في رمضان، حُرم منه العام كله، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى ابن حبان وغيره أن الرسول صعد المنبر، فلما رقي عتبة قال: (آمين)، ثم رقي عتبة أخرى، فقال:آمين، ثم رقي عتبة ثالثة، فقال: (آمين) ثم قال :**أتاني جبريل فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، قلت:** آمين، **قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار، فأبعده الله، قلت:** آمين، **فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك، فأبعده الله، قل:** آمين، **فقلت:** آمين.

فيا للحسرة ويا للخيبة على من أدرك رمضان ولم يغفر له، فهذا يندم في وقت لا ينفع فيه الندم، فقال :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الزمر: 56 - 59].

إخوة الإسلام:

إن الله فرض الصيام على أمة الرسول لحكم عالية، ومنافع جليلة، فتعالوا معي لنتعرف على المنافع التي تعود علينا من الصيام، فهناك منافع دنيوية، ومنافع دينية، ومنافع أخروية.

أولاً: الفوائد الدنيوية:

وتتمثل في الفوائد الصحية، فالصوم مفيد للبدن، منبه للمعدة، مذهب لكثير من الأمراض النفسية والجسمية، ويصلح الجهاز الهضمي، والكلى، والكبد، وبعض الغدد المنتشرة في الجسم، ويقي الجسم من الأمراض الخطيرة، كارتفاع ضغط الدم، ويخفف من حدة التهاب المفاصل، ويذيب الشحومات التي هي خطر على القلب.

وقد جمع الرسول هذه الفوائد الدنيوية للصيام في الحديث رواه الطبراني في معجمه الأوسط:**اغْـزُوا تَغْنَمُـوا، وَصُـومُوا تَصِـحُّوا، وَسَـافِرُوا تَسْتَغْنُوا.**

وروى ابن ماجه والطبراني أن الرسول قال:**لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَـاةٌ، وَزَكَـاةُ الْـجَسَدِ الصَّوْمُ.**

ثانياً: الفوائد الدينية:

شرع الله الصوم ليرتقي في الإنسان الجزء الرباني السماوي على الجزء الأرضي الطيني، فالإنسان فينا مكون من جزأين: جزء رباني: وهو الروح، وجزء أرضي: وهو الجسد، فبالصوم يرتقي الجانب الروحي على الجانب الأرضي.

ومن هنا شرع الله الصيام، ليرقى الإنسان بنفسه وروحه، حتى يكون إنساناً حقاً، فلقد عاش الإنسان بعض الأحيان أقرب إلى الحيوان، وربما أقرب إلى الشيطان، ورمضان فرصة ليتطهر الإنسان، ويصعد إلى أفق أعلى، فالصوم فرصة لكل مسلم ليتقرب إلى الله .

ومن الفوائد الدينية أيضاً: أن الصوم يربي عند المسلم سلطان الإرادة، وقوة العزيمة، ومراقبة الله ، فالصائم عندما يشتد عليه العطش والجوع، والطعام بين يديه، والماء أمام عينيه، ويشتاق إلى زوجته، وهي حاضرة

معه، فيعرض عن الأكل مع أنه جائع، ويعرض عن الماء مع أنه شديد العطش، ويعرض عن زوجته مع أنه مشتاق إليها، فيترك كل هذا خوفاً من الله ، ومراقبة لله الذي يطلع على خفايا الأشياء، وبواطن الأمور.

والمسلم الذي تتربى عنده ملكة مراقبة الله لا يزني، ولا يسرق، ولا يغش الناس، ولا يخدعهم، ولا يأكل أموالهم بالباطل.

فالصائم يستحي أن يمنع الزكاة، الصائم يستحي أن يترك الصلاة، الصائم يستحي أن يأكل الربا، أو يهتك عرضاً، أو ينهب مالاً، وتلك هي التقوى التي من أجلها شرع الله الصيام، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: 183].

ومن الفوائد الدينية أيضاً: أن الله فرض الصيام؛ ليتعلم الإنسان الصبر، فروى الترمذي أن الرسول قال:**الصوم نصف الصبر**.

بالصوم يتعلم الإنسان الأمانة، بالصوم يتعلم الإنسان الخشية من الله ، فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى إلا الله .

بالصوم يشعر الصائم بأنه محتاج إلى الله ، ويشعر أنه ذليل وضعيف أمام الله .

بالصوم يصفو الضمير، وينشط العقل، بالصوم يشعر الإنسان بالفقر والذل، فيسارع بالعطاء والسخاء، ويشارك الناس في الخير.

بالصوم يبتعد الإنسان عن الأنانية وحب الذات، بالصوم يقهر الإنسان الشيطان، بالصوم يبتعد الإنسان عن اللغو والرفث والفسوق.

أما الفوائد الأخروية: هي مغفرة الذنوب، والتجاوز من الله عن السيئات، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**.

إخوة الإسلام:

إن الصيام ليس عبارة عن ترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفقط، فهذا صوم العوام، ولذلك يقول بعض السلف: أهون الصيام: ترك الشراب والطعام.

فتعالوا معي لنتعرف كيف يحقق الإنسان الصوم الكامل، أو الصوم الحقيقي، الذي يكون سبباً في مغفرة الذنوب، وينال الدخول إلى الجنة من باب الريان.

بالإضافة إلى ترك الأكل والشرب والجماع، لا بد من تحقيق الأمور الآتية:

الأمر الأول: صوم اللسان:

هذا العضو الصغير الخطير، لا بد أن يصوم ليس في رمضان فقط، بل في العام كله، فاستقامة الأعضاء كلها متوقفة عليه، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال: **إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

وروى أحمد أن الرسول قال: **لا يستقيم إيمانُ عبدٍ، حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه، حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.**

ولقد بين لنا الرسول أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟ فقال الرسول : **أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.**

بل إن الرسول بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول قال: **المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده.**

فالغيبة والنميمة يضران بالصوم، وينقصان من أجره، ولقد ذهب بعض العلماء ومنهم ابن حزم الظاهري: إلى أن الصوم يبطل بالغيبة والنميمة؛ لعموم قول الرسول : **فلا يرفث، ولا يجهل.**

الأمر الثاني: صوم العين:

ويكون بكف البصر وغضه عن المحرمات، فقال : **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}** [النور: 30، 31].

فغض البصر يورث القلب نوراً وإشراقاً، يظهر على وجه صاحبه،

كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

فلا يليق لإنسان صائم يطلق عينيه يمنة ويساراً على ما حرم الله ، فهذا يتناقض مع الصوم، ولا يتفق معه البتة، فإذا صام الإنسان يجب أن تصوم عيناه.

وروي أن الرسول قال:**النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها خوفا من الله، آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه.**

الأمر الثالث: صوم القلب:

القلب هو أشرف أعضاء البدن، وهو الذي قال عنه الرسول في الحديث الذي رواه البخاري:**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ.**

لذلك كان النبي يدعو الله ويقول:**اللهم يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على طاعتك.**

فيجب أن يصوم القلب كذلك، وصومه يكون بترك الهوى، والتحاسد، والتباغض، ويكون كذلك بإيقاظه عن الغفلة.

الأمر الرابع: صوم الأذن:

فالأذن نعمة عظيمة من نعم الله على الإنسان، فعلى الإنسان أن يصون أذنه عن سماع كل ما هو محرم، فقال :**{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}** [الإسراء: 36].

فالصائم الحق هو الذي يوظف سمعه في طاعة الله ، يسمع به كلام الرحمن، بدلاً من أن يسخره في سماع كلام الشيطان، يسمع القرآن بدلا من أن يسمع كلام الشيطان، ألا وهو الغناء.

ولقد سوى الله في الإثم بين سماع الحرام وأكل السحت، فقال : **{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}** [المائدة: 42].

الأمر الخامس: صوم البطن:

وصوم البطن يكون بالبعد عن أكل الحرام، فأي لحم نبت من حرام فالنار أولى به؛ لما رواه الطبراني أن الرسول قال:**كل جسد نبت من**

سحت، فالنار أولى به.

فليحذر العاقل أن يتناول شيئا من الحرام، أو ما فيه شبهة، فالصحابة كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام، فهذا سيدنا أبو بكر ضرب أروع الأمثلة في تحري الأكل الحلال، فروى البخاري وغيره عن عائشة أنها قالت: **"كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ"**

وفي رواية: أن أبا بكر قال: **"لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق، وخالط الأمعاء"**

الأمر السادس: صوم اليد والرجل:

فالعاقل هو الذي ينظر قبل أن يفعل الشيء، فلا يمد يديه ولا رجليه إلى شيء نهى الله عنه؛ ليكمل له صومه، فكلما حفظ المسلم جوارحه عن العبث، وعن كل ما حرم الله ، نال بذلك أعالي الدرجات، فروى البيهقي والحاكم وابن حبان وأحمد أن الرسول قال: **اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.**

يقول ابن الجوزي: ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول للسانه: إنك اليوم صائم عن الكذب، والنميمة، وقول الزور، والباطل، والغيبة، ويقول لعينيه: إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما، وللأذنين: إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى ما يكره ربكما، ولليدين: إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم الله عليكما، من الغش في البيع والشراء، والأخذ، والعطاء، وللبطن: إنك اليوم صائمة عن المطعم، فانظري على ماذا تفطري؟ وتجنبي المطعم الخبيث الذي تدعين إليه، فإن الله طيب، ولا يقبل إلا الطيب، وللقدمين: إنكما اليوم صائمتان من السعي إلى ما يكتب عليكما من الوزر.

إخوة الإسـلام:

إن للصيام فضائل عظيمة بينها لنا الرسول ، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الفضائل:

أولاً: الصوم من أفضل أنواع العبادات:

روى أحمد عن أبي أمامة قال: أَنْشَأَ رَسُولُ الله غَزْوَةً، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ :**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**، فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا، ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ الله غَزْوًا آخَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ :**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ** فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ الله غَزْوًا ثَالِثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ تَدْعُو لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقُلْتَ:**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**، فَغَزَوْنَا فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يا رسول الله، فمرني بعمل أدخل به الجنة، فقال :**عليك بالصيام، فإنه لا مثل له.**

ثانياً: الصوم كفارة للخطايا:

روى البخاري أن الرسول قال:**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بالمعروف وَالنَّهْيُ عن المنكر.**

ثالثاً: الصيام وقاية من النار:

فروى أحمد والبيهقي أن الرسول قال:**الصيام جنة، وحصين من النار.**

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله، بَاعَدَ الله بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا.**

رابعاً: للصوم باب في الجنة يقال له الريان:

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ.**

خامساً: الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فروى أحمد أن الرسول قال:**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ**

الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ.

سادساً: رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك:

روى البخاري أن الرسول قال:وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

سابعاً: للصائم فرحتان:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ.

فالفرحة الأولى: عندما يفطر، والفرحة الثانية: عند لقاء ربه، أي: عندما يرى في صحيفته الحسنات، وهذا الأجر العظيم، الذي لم يكن يتوقعه، فيفرح بلقاء الله .

ثامناً: دعوة الصائم مستجابة:

روى أحمد أن الرسول قال:ثلاث لا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، وإمام عادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماوات، فيقول الرب: وعزتي لأنصرنك بعد حين.

* * *

الأمانـة

أسبـاب نـعيم القبـر

الأمانـة

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي نطقـت بوحدانيتـه جميـعُ الكائنـات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته، وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحـار دائمـاً وأبداً تقـول: سبحان من بمشيئته أجرانـي، وأسـال عيون مـائي لـروادي، والعـارف بـه دائمـاً وأبداً يقـول: سـبحان مـن دلنـي عليـه، وإليـه مرجعـي ومـآبي، حتـى العاصـي يقـول: سـبحان مـن اطلع عليَّ في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلنـي وهدانـي.

سبحانه: نهانـا عـن الخيانـة، فقـال: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لاَ تَخُونُـوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: **27**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل حفظ الأمانة من صفات المؤمنين، فقـال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُـونَ * الَّـذِينَ هُـمْ فِي صَـلاتِهِمْ خَاشِـعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـاةِ فَـاعِلُونَ * وَالَّـذِينَ هُـمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُـمْ لأَمَانَـاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُـمُ الْوَارِثُـونَ * الَّـذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: **1 - 11**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمـداً: جعل أداء الأمانـة طريقاً من الطرق الموصـلة إلـى الجنـة، فـروى أبـو داود عـن أبـي الـدرداء أن الرسـول قال: خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ، دَخَلَ الْجَنَّـةَ: مَـنْ حَـافَظَ عَـلَى الصَّـلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَـوَاقِيتِهِنَّ، وَصَـامَ رَمَضَـانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: وَمَا أَدَاءُ الأَمَانَةِ؟ قَالَ: " الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ".

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد وعلـى آلـه وصـحابته أجمعين.

أما بعد إخوة الإسـلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم فـي القبـر، ألا وهـو: **الأمانـة**، فـأعيروني القلـوب والأسماع والأبصـار، والله أسـأل أن يجعلنـي وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بدايـة وقبـل أن نتنـاول موضـوعنا اليـوم، يجـب علينـا أن نقـف علـى بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الأمانة عبءٌ ثقيل، وحملٌ ضخم، ومسئوليةٌ كبيرة، فهي ليست بالسهولة كما يتصور كثير من النـاس، فلقد عرضـت الأمانـة على مخلوقات كبيرة، فأبت أن تحملها، واختارت أن تكون طائعة مسخرة لله ، تـؤدي الـدور المطلـوب منهـا وفقـط، وحملهـا الإنسـان وهـو يجهـل صعوبتها.

ولقد أشار المولى إلـى هذه الحقيقـة، فقـال:{**إِنَّـا عَرَضْـنَا الأَمَانَـةَ عَـلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّـهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**} [الأحزاب: **72**].

ولقـد أشـار الرسـول إلـى هـذه الحقيقـة أيضـاً، فـروى الترمـذي أن الرسول قال:**قال الله لآدم: يا آدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلـم تطقهـا، فهـل أنـت حاملهـا بـما فيهـا؟ فقـال: ومـا فيهـا يـا رب، قـال المولى : إن حملتها أجرت، وإن ضيعتها عذبت، فاحتملها بما فيها، فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر، حتى أخرجه الشيطان منها.**

وروى البزار عن علي بن أبي طالب قال: كنا جلوسا مع رسول الله ، فطلـع علينـا رجـل مـن أهل العاليـة، فقـال: يـا رسـول الله: أخبرنـي بأشـد شيء في هذا الدين وألينه، قال :**ألينه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأشده يا أخا العالية: الأمانة، إنه لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة لـه، ولا زكاة له.**

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف أبت السموات والأرض والجبال؟ وهل كان هذا الإباء مثل إبليس؟

قال الرازي: لم يكن إباؤها كإباء إبليس في قوله :{إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: **31**]، من وجهين:

أحدهما: أن السجود هناك كان فرضاً، والأمانة هنا كانت عرضاً.

ثانيهما: أن الإباء كان هناك استكباراً، والإباء هنا استصغاراً، استصغرت أنفسهن، بدليل قوله :{وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: **72**].

وكيف حملها الإنسان ولم تحملها هذه الأشياء؟ فيه جوابان:

أحدهما: بسبب جهله بما فيها وعلمهن، ولهذا قال :{إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: **72**].

ثانيهما: أن الأشياء نظرت إلى أنفسهن، فرأين ضعفهن، فامتنعن، والإنسان نظر جانب المكلف، وقال: المودع عالم قادر، لا يعرض الأمانة إلا على أهلها، وإذا أودع لا يتركها، بل يحفظها بعينه وعونه، فقبلها، وقال:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: **5**].

فهي إذن حمل ثقيل، ومسئولية كبيرة، تحتاج إلى بذل جهد، حتى تؤدى على الوجه الأكمل، كما أراد الله ، وكما أراد الرسول ، وحتى يحقق الإنسان قول الله :{وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون: **8**].

الحقيقة الثانية: إن الأمانة كانت خلقاً من أخلاق الأنبياء والمرسلين، دون فرق بين نبي ونبي، فهي لا تنفك عنهم لحظة واحدة، فمن المستحيل أن تجد نبياً لا يتصف بالأمانة.

ولقد خلّد الله ذكر أمانتهم في القرآن الكريم، فقال عن نوح : {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: **105 - 107**].

وقال عن هود :{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف: **66 - 68**].

وهذا نبي الله شعيب قال في شأنه:{كَذَّبَ أَصْحَابُ

الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: 176 - 178].

وقال الله في شأن لوط :{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: 160 - 162].

وقال الله في شأن صالح :{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: 141 - 142].

وقال الله في شأن يوسف :{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: 54، 55].

وقال الله في شأن موسى :{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} [القصص: 26].

وقال الله في شأن جبريل :{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ} [الشعراء: 193].

ولقد كان المشركون يقولون عن الرسول : إنه الصادق الأمين، روى الطبراني في الكبير أن الرسول قال:أما والله إني لأمين في السماء، وأمين في الأرض.

وقد اتصف أيضاً أصحاب رسول الله بالأمانة، وهناك من النماذج ما يدل على ذلك:

النموذج الأول: أبو بكر وهو على فراش الموت، قد استدعى عائشة فيقول لها: يا عائشة انظري هذه اللقحة (الناقة) التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبغ فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإذا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين، فإذا مت فرديه إلى عمر .

فلما مات أبو بكر أرسلت عائشة بهذه الأشياء إلى عمر بن الخطاب ، فقال عمر : رحمك الله يا أبا بكر، لقد أتعبت من جاء بعدك.

النموذج الثاني: عمر بن الخطاب، فعن علي قال: رأيت عمر بن الخطاب على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير ندَّ من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن

لا تلمني، فو الذي بعث محمداً بالنبوة، لو أن عناقاً أخذت بشاطئ الفرات، لأخذ بها عمر يوم القيامة.

النموذج الثالث: علي بن أبي طالب اتصف بالأمانة أيضاً، فكان في بيت مال المسلمين عقد جميل من اللؤلؤ، وذلك في خلافة علي بن أبي طالب ، فعلمت به ابنته، فأرادت أن تتزين به في يوم عيد الأضحى، فأرسلت إلى خازن بيت المال تطلب منه أن يعيرها ذلك العقد؛ لتتزين به في العيد، ثم ترده، فأرسله إليها خازن بيت المال، بعد أن استوثق أنها سوف ترده، فلما لبسته وتزينت به، رآه أمير المؤمنين علي فعرفه، فقال لها: من أين جاء إليك هذا العقد؟

فقالت: استعرته من خازن بيت المال؛ لأتزين به في العيد، ثم أرده.

فأرسل علي إلى الخازن، فلما جاءه قال له: أتخون المسلمين يا بن رافع؟ فقال ابن رافع والدهشة تعلو وجهه: معاذ الله أن أخون المسلمين يا أمير المؤمنين.

فقال علي : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد بغير إذني، وبغير رضا المسلمين؟ فقال ابن رافع: إنها ابنتك؟ وطلبت أن أعيرها هذا العقد، على أن ترده بعد ثلاث.

فقال له: رده من يومك، وإياك أن تعود لمثلها، فتنالك عقوبتي، ثم قال : ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة.

فلما بلغ هذا القول ابنته، قالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك، وبضعة منك، فمن أحق بلبسه مني؟

فقال لها علي : يا بنت أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين به في العيد بمثل هذا؟ فأخذه ابن رافع ورده إلى بيت المال.

ما هذا؟ إنها الأمانة المطلقة، التي لا تفرق بين رئيس ولا مرؤوس، فيا ليتنا نقتدي بهم جميعاً.

الحقيقة الثالثة: إن الشرع الحنيف جعل الأمانة أمراً مفروضاً على جميع المسلمين، دون تفرقة بين رجل وامرأة، ودون تفرقة بين متعلم

وغير متعلم، فالكل سواء أمام هذا الأمر العظيم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [النساء: 58].

وقال :{وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: **283**].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى أحمد والبيهقي وابن حبان أن الرسول قال: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ).

وروى البيهقي وابن ماجه أن الرسول قال: (أَدِّ الأمانة إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

وإذا نظرنا إلى الناس نجد أنهم ليسوا على درجة واحدة أمام هذا الأمر الصادر من الله ، ولكنهم انقسموا إلى ثلاثة أقسام، وذلك على النحو التالي:

القسم الأول: من ترك الأمانة ظاهراً وباطناً، بل وكفر بتلك الأمانة، وهم المشركون، وقد قال الله في حقهم:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 6، 7].

القسم الثاني: من تظاهر بحمل الأمانة، لكنه مبغض وكاره لها في الباطن، وهم المنافقون، وقد قال الله في شأنهم:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا

الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْـهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَـهُ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُـمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} [البقرة: **8 - 18**].

القسم الثالث: من حمل الأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون، وقد قال الله في شأنهم:{إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَـحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ *وَالَّـذِينَ هُـم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُـرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَـإِنَّهُمْ غَـيْرُ مَلُـومِينَ * فَمَـنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُوْلَئِـكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ} [المعارج: **19 - 35**].

وقد جمع الله بين الأصناف الثلاثة في آية واحدة، وهي الآية المذكورة عقب آية الأمانة، فقال :{لِيُعَـذِّبَ الله الْمُنَـافِقِينَ وَالْـمُنَافِقَاتِ وَالْـمُشْرِكِينَ وَالْـمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: **77**].

الحقيقة الرابعة: إن الأمانة أول ما ترفع من قلوب العباد في الدنيا، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الطبراني في الكبير أن الرسول قال: (**أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلاَةُ، وَسَيُصَلِّ أَقْوَامٌ لاَ دِينَ لَـهُمْ**).

وفي رواية: (**أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مُصلٍّ لا خلاق له عند الله**).

بل الأعجب من هذا كله، أن الرسول جعل ضياع الأمانة علامة من علامات الساعة، فروى البخاري أن أعْرَابِياً جَاءَ إلى الرسول ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَمَضَى رَسُولُ الله يُحَدِّثُ، فَقَالَ: بَعْضُ

الْقَوْمِ سَمِعَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**، قَالَ: هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**، قَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ، أَوْ قَالَ: مَا إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: **إِذَا تَوَسَّدَ الْأَمْرَ غَيْرُ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ.**

وحكم الرسول على من ضيع الأمانة بالنفاق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ.**

وفي رواية لمسلم: **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ، وَإِنْ صَامَ، وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ.**

وروى البخاري أن الرسول قال: **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.**

بل إن الرسول نفى الإيمان مطلقاً على الرجل الذي لا يتصف بالأمانة، فروى أحمد أن الرسول قال: **لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له.**

فليحذر كل مسلم فينا من ضياع الأمانة الملقاة على عاتقه، فإن ذلك يعرضه لغضب المنتقم الجبار، ويخرجه من دائرة الإسلام إلى دائرة النفاق، والعياذ بالله.

الحقيقة الخامسة: ما هي الأمانة؟

إن الأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، فهي ليست مقصورة على الودائع التي توضع عند الإنسان ليحافظ عليها ويصونها، ولكنها تشمل الدين كله.

فهي تشمل التكاليف التي يُكلف بها الإنسان، فالأمانة صفة للمؤمن، تجمع له جميع المأمورات ليؤديها، والمنهيات ليحذرها، فهي بهذا واسعة الدائرة، لا تقف عند حدود الودائع التي يؤتمن عليها الإنسان.

فهي رقابة العبد ربه في كل ما يأتي وما يترك، فأداء حقوق الله أمانة، ورعاية حقوق الناس أمانة، وذلك على النحو الذي فصله الحديث الكريم الذي رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال: **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ**

رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ الله وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ قَالَ:وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

إخوة الإسلام:

إن الحصول على خلق الأمانة ليس بالسهولة كما يتصور كثير من الناس، بل الحصول عليها من الصعوبة بمكان، وعلى الرغم من الصعوبة على حصولها، إلا أن الشرع الحنيف وضع أموراً تعين الإنسان على التخلق بهذا الخلق الرفيع، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأشياء التي تعين الإنسان على أن يتخلق بخلق الأمانة.

أولاً: التقوى:

والتقوى هي: أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه، وقاية تحفظه وتمنعه.

وقال علي بن أبي طالب : هي العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

فالتقي هو من يتحقق فيه قول الله :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: 133 - 136].

التقي هو من يتحقق فيه قول الله :{الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 1 - 5].

ولقد اهتم الشارع الحنيف بالتقوى اهتماماً بالغاً، فإذا ما فتحت كتاب الله لتقرأ، فلا تكاد تقرأ سورة من سور القرآن إلا وتجد فيها أمراً بالتقوى، أو حثاً للعمل بها، أو بياناً لجزاء المتقين، فهي متخللة في كل آياته، شائعة بين كلماته، كما أنها واردة في كل ما شرعه الله لنا.

ولقد أصبح كثير من الناس يفهمون التقوى فهماً ضيقاً، ويحسبونها مجرد ركعات تصلى، وأيام تصام، ورسوم ظاهرة تؤدى، وطقوس تنظم وتقام، وكذلك تراهم مع صلاتهم وصيامهم من الحرام يعيشون، وبالربا يتعاملون، وللسرقة والغش والخيانة يفعلون، ولحقوق الناس يغتالون، وبالكذب والنفاق والرياء وخراب الذمم يتعاملون، ومع ذلك يحسبون أنهم لمجرد صلاتهم أو صيامهم متقون ناجون، ألا فليعلم هذا الصنف من الناس أنهم عن طريق النجاة حائدون، وعن سبيل الخير والفلاح ضالون، وفي شهواتهم وأهوائهم متورطون، وصدق الله إذ يقول:{**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً*أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً*ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً**} [الكهف: 103 - 106].

ليست التقوى كذلك أيها المسلم، بل التقوى عبادة ومعاملة، فالتقي يعبد الله عبادة صحيحة خالية من الرياء، بعيدة عن البدع والخرافات، لا دجل فيها، ولا شعوذة، ولا تضليل، ثم بعد ذلك يعامل الناس معاملة حسنة، ومعاملة مبنية على الذمة والأمانة، وسلامة النية، وطهارة القلب، فلا يداهن، ولا يغش، ولا يخادع، ولا يمكر الناس.

ولقد أمرنا الرسول بالتقوى في كل الأحوال والظروف والمناسبات، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه:**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.**

يعلمنا الرسول من خلال هذا الحديث أن التقوى تكون في الصلاة، وفي الصوم، وفي الزكاة، والحج، وتكون كذلك في البيع والشراء، وفي الأخذ والعطاء، وتُطلَبُ من الإنسان بالليل وبالنهار، في الصباح والمساء، في حالة الشدة والرخاء، وفي أي حالة وجد عليها الإنسان نفسه.

ولقد ضرب لنا الرسول أروع الأمثلة في تقوى الله، فكان يصلي حتى تتورم قدماه، وكان على شدة قربه من ربه، يخشاه ويخافه، فكان يقول:**أنا أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية.**

ثانياً: الاتباع:

والاتباع هو: أن يجعل كل مسلم فينا الرسول قدوته، مصداقاً لقول الله :**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً}** [الأحزاب: 21].

والله فرض علينا اتباع سبيله، وما شرع من الدين القويم، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذه الحقيقة، فيقول:**{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمدٍ:**{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [يوسف: 108].

فالله بين لنا أن له سبيلاً واحداً، سماه صراطاً؛ لأنه أقرب طريق إلى الحق والخير والسلام.

وروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال:**هذا سبيل الله** ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:**هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** ثم قرأ الرسول قول الله : **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [الأنعام: 153].

فالواجب علينا جميعاً أن نتبعَ كلَ ما جاء به الرسولُ في جميع أقواله وأفعاله، والتأسي به في سائر أحواله، قال :**{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ}** [الحشر: 7].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**دعوني ما تركتكم عليه، فإنما أهلكَ من كان قبلكم: سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم.**

وإن الاتباع لما جاء به الرسول يجب أن يكون في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فالاتباع في كل مجالات الحياة أمر

محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذه الحقيقة، فيقول:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

ثالثاً: التوكل على الله :

فالتوكل على الله يعين الإنسان على التخلق بخلق الأمانة، فقال : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: 3].

وقال :{وَللهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: 123].

وها هو الحبيب يعلم أمته نعمة التوكل على الله ، فروى أحمد وابن ماجه والترمذي أن الرسول قال:لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا.

بل ويأتيه رجل ومعه ناقة، فيقول له: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال :**اعقلها وتوكل.**

رابعاً: عدم إطاعة الكافرين والمنافقين:

فالله نهانا عن إطاعة الكافرين والمنافقين، وحذرنا منها؛ لأن طاعتهما تجلب غضب الرب ، لأنهم لا يأمرون إلا بالشر، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: 100، 101].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران: 149، 150].

ولقد نهى الله نبيه محمداً عن إطاعة الكافرين والمنافقين، فقال :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً} [الأحزاب: 1 - 3].

ولقد حذر الله نبيه محمداً من اليهود والنصارى ومن اتباعه لهما، فقال :{وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

وقال :{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 145].

وقال :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة: 49].

خامساً: الرفقة الطيبة:

فالرجل على دين خليله، وإن الصاحب ساحب، فإما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله ، وإما أن يأخذ بيدك إلى غضب المنتقم الجبار.

فابحث عن العلماء العاملين، والدعاة المؤمنين، والزم غرسهم، فإنهم سيأخذون بيديك إلى مرضاة الله ، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ.

وفي رواية:إلى من يخالل.

وروى أبو داود والترمذي أن الرسول قال:لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ.

فعلى المسلم أن يحذر كل الحذر من الرفقة السيئة؛ لأنها تعين الإنسان على الخيانة، فيندم في وقت لا ينفع فيعه الندم، ولقد حذرنا الشرع الحنيف من الرفقة السيئة، فقال :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: 27 - 29].

سادساً: طاعة الله :

والطاعة هي: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

أو بمعنى آخر: أن يحقق الإنسان منهج افعل ولا تفعل، قال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: 7].

وقال ﷺ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 208].

قال ابن عباس : **"يعني الطاعة"**.

وروى البخاري ومسلم: أن أعرابياً جاء إلى الرسول فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة، قال الرسول :**تعبدُ اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصومُ رمضان.**

قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى، قال الرسول:**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا.**

بل وأمرنا الله بالطاعة له ولرسوله ، فقال ﷺ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 33].

وقال :{فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

وعندما أمر الله المؤمنين بالتثبت عند لقاء العدو، أمرهم بالطاعة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 45، 46].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

* * *

أمـانة الأولاد

أسبـاب نـعيم القبـر

أمـانة الأولاد

الحمد لله رب العـالمين: خلـق الإنسـان مـن سـلالة مـن طـين، وجعلـه بقدرته نطفةً في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقـة، فخلـق العلقـة مضـغة، فخلق المضغة عظاماً، فكسا العظـام بـاللحم والجلد المتين، وجعـل وجهـه إلى ظهر أمه، يتنفس ما بين الركبتين والقلب الحنون، وجعل شـهوته إلـى قلبها، فإذا اشتهى شيئاً، وصل إليه بلا معين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :**{صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِـبْغَةً وَنَحْـنُ لَـهُ عَابِـدُونَ}** [البقرة: 138].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن كل البشر يولـدون على الفطرة السليمة، فقال :**{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْـرَةَ الله الَّتِـي فَطَـرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** [الروم: 30].

وأشـــهد أن ســـيدنا ونبينـــا محمـــداً : جعـل صـلاح الولـد مـن الأمـور التـي ينتفع بهـا الإنسـان بعد موتـه، فـروى مسلم والبيهقـي واللفظ لـه، أن الرسول قال:**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَـةِ أَشْـيَاءَ: مِـنْ صَـدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**.

فـاللهم صلّ وسلم وبـارك علـى سيدنا محمـد ، وعلـى آلـه وصـحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننـا اليوم علـى موعـد مـع سبب مـن أسباب النعيم فـي القبـر، ألا وهـو: **أمـانة الأولاد،** فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بدايـة وقبـل أن نتنـاول موضـوعنا، يجب علينـا أن نقـف علـى بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، هي نعمة الأولاد، فالأولاد منحة إلهية، وهبة ربانية، يختص الله بها من يشاء من عباده، ولو كان فقيراً، ويمنعها عمن يشاء ولو كان غنياً.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}** [الشورى: **49، 50**].

ولقد جعل الشرع الحنيف الأولاد في الدنيا على درجات متفاوتة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: جعل الله الأولاد تارة زينة الحياة الدنيا، فقال :**{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}** [الكهف: **46**].

ثانياً: جعل الله الأولاد نعمة عظيمة، تستحق شكر الواهب المنعم، فقال :**{وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً}** [الإسراء: **6**].

ثالثاً: جعل الله الأولاد قرة الأعين؛ إذا كانوا سالكين مسلك المتقين، فقال :**{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}** [الفرقان: **74**].

فالأولاد إن كانوا صالحين، كانوا من أجلِّ نعم الله على الوالدين في الحياة، بل وبعد الممات، فإن ميزان الوالدين يثقل بعد موتهما، وذلك باستغفار ولدهما ودعائه لهما، فروى أحمد وابن ماجه أن الرسول قال:**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.**

رابعاً: جعل الله الأولاد فتنةً وابتلاءً، وحذرنا الله منها، فقال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}** [التغابن: **14، 15**].

ولقائل يقول: كيف يكون الأولاد فتنـة؟ أقـول: إذا لـم يلتـزم الوالـدان بمنهج الله مع الأولاد، فقدم الوالـدان حـبَّ الأولاد علـى حـب الله ، وحـبِّ الرسول ، وقدم حقَّ الأولاد على حق الله ، وحـق رسـوله ، فحينئذ يكـون الأولاد فتنة من أعظم الفتن على الوالدين في الدنيا والآخرة.

فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ}** [المنافقون: **9**].

وروى الحـاكم والطبرانـي أن الرسـول قـال:**إِنَّ الْوَلَـدَ مَبْخَلَـةٌ، مَجْبَنَـةٌ، مَحْزَنَةٌ**.

ومعنــى **مَبْخَلَــةٌ**: أي قـد يصـيب الولـد والديـه بالبخـل الشـديد؛ لشـدة حرصـهما علـى تـوفير المـال لولـدهما، فيبتلـى الوالـدان بالبخـل مـن أجـل الولد.

ومعنـى **مَجْبَنَةٌ**: أي يبتلى الوالدان بالجبن، خوفاً على أن يتركا الولد.

ومعنى **مَحْزَنَةٌ**: أي أن الوالدين يصيبان بالحزن والألم الشديد، إذا ابتلي الولد بما يؤلمهما ويحزنهما.

فكـم مـن أبٍ عقّـهُ أولادُهُ فعصَـوْه، وأذاقـوه مـرارة الحرمـان، وعلقـم الصبر، حتى يئسَ من الحياة، وتمنى أنه لم يتزوج، ولـم يُولـد لـه، وتمنـى لو أنَّه وضعَ جهدَ الرعاية والعناية في جروٍ، خيرٌ له من ولدٍ لصلبه.

ولا يغيب عن الجميع ما فعله الخضر في الغلام الذي قتلـه، واسـتنكر عليه سيدنا موسى هذا العمل، فقال :**{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَـالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً}** [الكهف: **74**].

فأراد الخضر أن يبين لـه حقيقـة هذا الغـلام، وأنـه لا يسـتحق الحيـاة؛ لأنه سيكون فتنة لوالديه، وسيكون سبباً فـي كفرهمـا بـالله ، فقـال :**{وَأَمَّـا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَـهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً}** [الكهف: **80**، **81**].

الحقيقة الثانية: إن الشرع الحنيـف حمَّل الأب والأم المسؤولية الكاملـة عن الأولاد، فـالأولاد أيـاً كـان نـوعهم، مسـؤولية كبيـرة، وأمانـة عظيمـة، سَيُسْأَلُ العبدُ عنها يوم القيامة، هل فرَّط فيهـا، أم أداهـا كاملـة، ولقد أشـار

المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن الرسول قال: **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،** قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ قَالَ: **وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**

وروى الترمذي وابن حبان أن الرسول قال: **إن الله سائل كل ذي رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم، أم أضاعه، حتى إن الرجل ليُسأل عن أهل بيته.**

ويجب أن يعلم الجميع أن أمانة الأولاد حملها ثقيل، وحسابها عسير يوم القيامة؛ لأنها تحمُّل أمانة الفطرة الربانية النقية، فقال:{فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30].

فالواجب على كل مسلم أن يراعي هذه الأمانة، ويقوم بأدائها على أكمل وجه، ويصون هذه الفطرة السليمة، كما أمر الله، وكما أمر الرسول .

الحقيقة الثالثة: إن التفريط في أمانة الأولاد يعرض الإنسان إلى العذاب الأليم يوم القيامة، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الزمر: 15].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: لقد أكد الله في هذه الآية الخسران بعدة أمور، وهي ما يأتي:

الأمر الأول: التكرار، وذلك لأجل التأكيد.

الأمر الثاني: أن الله ذكر في أول هذه الكلمة حرف{أَلاَ} وهو للتنبيه، وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم، كأنه قيل إنه بلغ في

العظمة إلى حيث لا تصل عقولكم إليها، فتنبهوا لها.

الأمر الثالث: أن كلمة:{هُوَ} في قوله:{هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} تفيد الحصر، كأنه قيل: كل خسران.

الأمر الرابع: وصفه بكونه{الْمُبِينُ} يدل على التهويل.

فهذا تحذير شديد، ووعيد عظيم، بأن يخسر الإنسان نفسه وأهله وولده يوم القيامة، بأن يكونوا جميعاً من الهالكين في نار جهنم، المعذبين فيها.

فكم من أبٍ فرط في هذه الأمانة، وساقته عواطفُ الأولادِ والزوجة بعيداً عن مسلكِ الأبرار، فألحُّوا عليه بالانحراف، وزيَّنوا له جلبَ المالِ من الحرام، والإنفاق فيما حرم الله ، وقعدوا به عن القيام بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأصبح الأبُ يتأثرُ ولا يُؤثِّر، ويُقَادُ ولا يقود، ويأمرُ فيُعصـــى، في حين كان واجبُهُ أن يكون في بيته قائداً لا مَقُوداً، وسيِّداً لا مَسُوداً، وآمراً لا مأموراً، قال الله :{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء**} [النساء: **34**].

وروى البخاري أن الرسول قال:**وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**.

فكيف يكونُ دورُ الأبِ في بيته تنفيذَ الأوامر، وإشباعَ الشهواتِ، وتحقيق المطالبِ؟ وكثير من الآباء يعتذرُ عندما يُنْكَرُ عليهم تصرفٌ معينٌ، كأن يُنْكَرَ عليهم شراءُ شيءٍ حرمه الله ، أو أخذ أولادهم وأهلهم إلى مكان محرم، فيقول الأب معتذراً: ماذا أفعلُ؟ الأولادُ يُريدون، وأمُ الأولاد تريد، وكأنه لا سلطـــان له، ولا كيانَ، ولا إرادة، وهذا التصرف يعتبر خيانة لأمانة الأولاد، وينطبق عليه قول الله :{**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**} [الزمر: **15**].

وعلى العكس من ذلك: نجد أن الله مدح الآباء الذين قاموا بهذه المهمة على الوجه الأكمل، وأدوا الأمانة بالصورة التي ترضي الله ، وترضي الرسول ، فرفع الله درجتهم في الجنة، وألحق بهم ذريتهم، وجمعهم في منزلة عظيمة، ودرجة عالية، ونعيم مقيم، فقال :{**وَالَّذِينَ**

آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ*فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ*إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: **21 - 28**].

فإياك أخي المسلم أن تكون من الذين فرضوا في هذه المسئولية الموكلة إليهم، وخانوا هذه الأمانة وضيعوها، فإن ذلك يعرضك لغضب المنتقم الجبار، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ما مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.**

إخوة الإســلام:

إن المحافظة على أمانة الأولاد ليس بالأمر السهل أو الهين، بل من الصعوبة بمكان؛ لأنه ما من أب إلا وسيتعرض لصعوبات كثيرة، فلو لم يكن أهلاً لتحمل هذه الأمانة، فإنه سيضيعها، وبالتالي يكون خائناً لهذه الأمانة العظيمة، ولقد وضع الشرع الحنيف ضوابط متعددة للمحافظة على أمانة الأولاد، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط، التي لو التزم بها الشخص، يكون أميناً على أولاده:

الضابط الأول: اتباع منهج الله ومنهج الرسول في التربية:

فتربية الأولاد يجب أن تكون على ضوء ما ورد في كتاب الله ، وسنة الرسول ، لا على ضوء ما ورد في كتب علم النفس والفلسفة، فقال : {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [الأنعام: **38**].

وقال :{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ} [الملك: **14**].

فالذي خلقنا وخلق أولادنا هو الله ، فتشريعه خير تشريع، وهدي نبيه محمدٍ خير هدي، فجدير بنا إذاً أن نتلمس خطا الرسول ، ونتلمس أوامره وآدابه، ونطبقها مع أبنائنا، حتى يسلم لنا أبناؤنا، ونؤدي الأمانة على الوجه الأكمل، الذي يرضي الله ، ويرضى الرسول .

والله فرض علينا اتباع سبيله، وما شرع من الدين القويم، اقرأ معي

قول الله :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: **153**].

فالواجب علينا جميعاً أن نتبعَ كلَ ما جاء به الرسولُ في جميع أقواله وأفعاله، والتأسي به في سائر أحواله، قال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: **7**].

وإن اتباع منهج الله ومنهج رسوله في تربية الأولاد أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذا، فيقول:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: **36**].

والله ﷻ حذرنا من اتباع الهوى، ورتب العقاب الشديد على ذلك، فقال:{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [النساء: 115].

وقال:{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

واقرأ معي قول الله :{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً* فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا الله يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِالله وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ الله لَهُ رِزْقاً} [الطلاق: 8 - 11].

وبالفعل لقد خالف الآباء الآن أمرَ ربهم، ولم يلتزموا بمنهج الله ولا بمنهج الرسول ، فأصابنا ما نحن فيه الآن، وأصبحنا نشكو مر الشكوى من الانفلات الأخلاقي من الأبناء.

فالواجب على كل الآباء إذا أرادوا أن يخرجوا من هذه الدوامة، الإعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ، وإلا فإن الأمر سيزداد شدة على شدة، ومرارة على مرارة، ونحن قد لمسنا هذا بأيدينا، فماذا نريد بعد هذا؟ وإلى

متى هذا التيه في الظلمات، والقرآن بين أيدينا، وسنة الرسول بين أيدينا، وفيهما النجاة، والضمان من الهلاك والخسران، قال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 123 - 127].

وروى الترمذي أن الرسول قال:إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

الضابط الثاني: التضرع إلى الله بالدعاء لصلاح الذرية:

إن أمر هداية البشر جميعاً موكل إلى الله ، فقال :{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: **13**].

وقال :{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله} [يونس: **100**].

وقال :{إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: **56**].

فالصلاح والهدى في الأصل من الله ، فهذا سيدنا يوسف تربى في بيت الملك من أهل الكفر، ثم أخذ وألقي به في السجن، مع طائفة من المجرمين الخمارين والسارقين واللصوص، ومع ذلك كله حفظه الله .

وهذا الغلام صاحب قصة أصحاب الأخدود كان أبواه كافرين، ولم يذكر عنهما الإيمان، وأرسل كي يتعلم السحر، فمن الذي هداه إلى الراهب كي يتعلم منه الإيمان، ويكون من أمره ما كان؟ إنه الله .

وما دام الأمر كذلك: فيجب علينا جميعاً أن نتجه إلى الله ، ونسأله بإخلاص إصلاح الذرية، فهذا هو حال الأنبياء، فقد سألوا الله الهداية لأبنائهم، فهذا سيدنا إبراهيم قال الله في شأنه:{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: **100**].

وقال في شأن إسماعيل :{**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**} [البقرة: **127، 128**].

وهذا سيدنا زكريا يقول الله في شأنه:{**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِياًّ * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياًّ**} [مريم: **5، 6**].

وقال :{**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**} [آل عمران: **38**].

وكذلك حال عباد الرحمن، فقال :{**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**} [الفرقان: **74**].

وهذا ما فعله يعقوب مع أبنائه، فقال :{**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [يوسف: **97، 98**].

وذكر الله حال الرجل الذي بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، فقال:{**حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**} [الأحقاف: **15**].

فجدير بنا أن نتوجه إلى الله بالدعاء، ونبتهل إليه أن يصلح لنا أولادنا، فهذا شأن أهل الإيمان، فهم دائماً يطلبون من الله ﷻ أن يصلح لهم النية والذرية.

ولكن للأسف الشديد نسينا هذا الأمر، وأصبحنا ندعو على أنفسنا وأولادنا، مع أن الرسول نهانا عن الدعاء على النفس وعلى الأولاد، فروى مسلم وأبو داود أن الرسول قال:**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ.**

وروى مسلم والبيهقي أن الرسول قال:**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ،**

فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ.

وروى الترمذي وأبو داود أن الرسول قال:**ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، ودَعْوَةُ الْوَالِدِ على ولده.**

الضابط الثالث: تعليم الأبناء أمور الدين:

فالواجب على الآباء تعليم الأبناء أمور الدين، لأن هذا الأمر واجب على الآباء، وأمور الدين كثيرة، وهي على النحو التالي:

أولاً: الإيمان بالله : فيجب تعليم الأولاد الإيمان بالله ، فقال : **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [لقمان: **13**].

ثانياً: العقيدة الصحيحة: فلقد حرص النبي على تربية أبناء المسلمين على العقيدة الصحيحة، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال لابن عمه عبد الله بن عباس :**يَا غُلَامُ: إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ.**

ثالثاً: الخوف من الله : ومن الأمور التي يجب تعليمها للأبناء: الخوف من الله ، وهذا ما حدث من لقمان لابنه، فقال :**{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}** [لقمان: **16**].

وفي هذا الشأن يقول المولى :**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [المجادلة: **7**].

رابعاً: الأمر بالصلاة: وهذا ما حدث من لقمان مع ابنه، فقال : **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ}** [لقمان: **17**].

ولقد أمرنا النبي الآباء بتربية الأبناء على أداء الصلاة، بل أمر بالضرب إذا قصَّر الأولاد في هذه الفريضة، فروى أبو داود أن الرسول

قـال:مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَـاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ.

وقال المولى لنبيه :{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132].

واسمع إلى منهج سيدنا إسماعيل في التربية الإيمانية لأهل بيته، فيقول :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عَندَ رَبِّهِ مَرْضِياً} [مريم: 54، 55].

خامساً: التعويد على الصيام: فروى البخاري عَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ:مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ.

قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمْ اللُّعْبَةَ مِنْ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ.

سادساً: مراقبة الله : وتأمل معي حين أراد الإمام الشافعي (رحمه الله) أن يعلم تلاميذه كيفية مراقبة الله ، فأمر أن يحضر كل تلميذ من تلاميذه دجاجة حية، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كلُ واحد منهم دجاجته، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لماذا لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما اتجهت، وحيثما ارتحلت، وجدت أن الله مطلع علي ويراني، وفي هذا يقول المولى :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7].

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال :{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ} [لقمان: 17].

ثامناً: الصبر: فقال :{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [لقمان: 17].

تاسعاً: مكارم الأخلاق: فكان النبي حريصاً على تربيتهم على مكارم الآداب، وحميد الخلال والصفات، فروى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله :**يَا غُلاَمُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ.** فما زال تلك طعمتي بعد.

وروى أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله :**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟** قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله :**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ.**

سابعاً: النهي عن الصفات الذميمة: قال :{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ} [لقمان: 18، 19].

ثامناً: حب الرسول وآل بيته وتلاوة القرآن الكريم: لما روى الطبراني أن الرسول قال:**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه.**

* * *

أمانة الــزوج

أسبـاب نـعيم القبـر

أمانة الــزوج

الحمد لله رب العالمين: المتوحد بإبداع المصنوعات، المتفرد باختراع المخلوقات، المخصوص بقدم الأسماء والصفات، المنزه عن التحيز والسكون والحركات، القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات.

سبحانه: بين مدى ارتباط كل من الزوجين بالآخر، وما ينبغي أن تكونَ العلاقةُ بينهما، فجعل الزوجَ لباساً لزوجته، كما جعل الزوجة لباساً لزوجها، فقال :**{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}** [البقرة: ١٨٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل الرجلَ هو الأصل في الحياة الزوجية، والمرأةَ هي الفرع، وجعل حق الزوج على زوجته أوكد من حق الزوجة على زوجها، فقال :**{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [البقرة: ٢٢٨].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل أفضل متاعٍ في الدنيا، المرأةَ الصالحة، فروى مسلم أن الرسول قال:**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **أمانة الــزوج**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن من أكبر النعم التي أنعم الله بها على الإنسان هي: نعمة الزواج، فالزواج آية من آيات الله توجب التفكر والشكر.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الروم: 21].

وقال :**{والله جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ الله هُمْ يَكْفُرُونَ}** [النحل: ٧٢].

فالرجل منا لا يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا بدون زوجة، وكذلك المرأة لا تستطيع أن تعيش في الدنيا بدون زوج، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا شاذ، والعياذ بالله.

ولقد جعل الله الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين، فقال:**{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}** [الرعد: ٣٨].

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ:**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**.

وهذا سيدنا آدم عندما خلقه الله وتركه في الجنة وحيداً، استوحش الجنة؛ لأنه يعيش بدون زوجة، فخلق الله له حواء من ضلعه الأيسر، وهو نائم.

جاء في تفسير القرطبي: عن عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس أنهما قالا: لما أسكن الله آدم الجنة، مشي فيها مستوحشاً، فلما نام، خلقت

حواءُ من ضلعه من شقه الأيسر؛ ليسكنَ إليها، ويأنسَ بها، فلما انتبه رآها، فقال: من أنت؟ قالت: امرأة، خلقت من ضلعك؛ لتسكنَ إليَّ، وأسكنَ إليك، وهذا معنى قول الله :{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا الله رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 189].

وهذه النعمة لم تكن مقصورة على الإنسان فحسب، بل هي موجودة في كل المخلوقات، فقال :{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦].

وقال :{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٩].

ومن ثم يمكن القول: إنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالرهبانية، فالدين الإسلامي ليس فيه انعزال عن الحياة، وليس فيه انصراف عن المرأة.

الحقيقة الثانية: لقد وضع الدين الإسلامي عدة معايير عند إنشاء الحياة الزوجية، وألزم الجميع بها، وهذه المعايير ما يلي:

المعيار الأول: الدين:

ولقد أشار المولى إلى هذا المعيار، فقال:{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ الله مِنْ فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: ٣٢].

ولقد عدد الرسول الأسباب التي تنكح المرأة لأجلها، ثم أوصى بذات الدين، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ.**

ومع كثرة ما في هذه الدنيا من متاع وأنس، خص الرسول من بين متاعها وأنسها شيئاً واحداً، هو المرأة الصالحة، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:**مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى الله ، خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله.**

وعلى الرغم من كثرة الأمور التي يكنزها المرء استعداداً لكل أمر

مهم، أو حدث جلل، أوصى الرسول بادخار المرأة الصالحة، للعسر واليسر، فروى أبو داود أن الرسول قال لعمر بن الخطاب :**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ.**

وهذا المعيار كما ينطبق على المرأة، ينطبق أيضاً على الرجل، فعلى ولي المرأة أن يختار لها رجلاً ذا دين، روى الترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ.**

المعيار الثاني: أن تكون المرأة ولوداً ودوداً:

ويعرف ذلك من أهل بيتها، وإذا تيقن أن المرأة لا تلد بزواج سابق ونحوه، فإنه لا يتزوجها إلا من هو مثلها، روى أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى الرسول قال: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ :**لاَ**، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَة، فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَة، فَقَالَ :**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ.**

وروى البيهقي أن الرسول قال:**خَيْرُ نِسَائِكُمُ: الْوَدُودُ، الْوَلُودُ، الْمُوَاتِيَةُ، الْمُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ الله، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ: الْمُتَبَرِّجَاتُ، الْمُتَخَيِّلاَتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ، إِلاَّ مِثْلُ الْغُرَابِ الأَعْصَمِ.**

المعيار الثالث: الجمال:

فالجمال وحسن المظهر أمر فطر الله النفوس على الرغبة فيه، وهي رغبة شريفة لا يلام عليها الإنسان، وجاءت أصول الشرع الحنيف تؤيد هذا المعيار، فالله جميل يحب الجمال، ولم تشرع رؤية الرجل لمخطوبته إلا والتأكد من الجمال من أهم مقاصدها، روى مسلم أن الرسول قال لرجل تزوج امرأة من الأنصار:**هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ.**

لكن ينبغي التنبيه على أمر مهم، وهو: أن الجمال أمر نسبي، لا تترك النساء بسببه، وتختلف فيه وجهات النظر اختلافاً كثيراً.

المعيار الرابع: أن تكون المرأة بكراً:

والبكارة في المرأة إذا كان الشاب بكراً، روى البخاري أن جابر بن عبد الله قال: تزوجت امرأة في عهد الرسول ، فلقيت الرسول فقال:**يا جابر: تزوجت؟**، قلت: نعم، قال :**بكر أم ثيب؟** قلت: ثيب، قال:**فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك.**

وروى ابن ماجه أن الرسول قال:**عليكم بالأبكار؛ فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاماً، وأرضى باليسير.**

المعيار الخامس: اليسر وقلة المؤنة:

فالرسول حثنا جميعاً على عدم المغالاة في المهور، فروى أبو داود أن الرسول قال:**خير النكاح أيسره.**

وروى أحمد أن الرسول قال:**إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ: تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرُ رَحِمِهَا.**

فالواجب على كل المسلمين أن يلتزموا بهذه المعايير عند إنشاء الحياة الزوجية، حتى يكون الزواج منتجاً لآثاره الشرعية.

الحقيقة الثالثة: لقد جعل الشرع الحنيف للزوج مكانة عظيمة، وجعل حقه مقدماً على حق الوالدين، فحق الزوج على زوجته مقدم على حق الأب والأم، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البيهقي والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله: أَنَا فُلانَةُ بِنْتُ فُلانٍ، قَالَ:**قَدْ عَرَفْتُكِ، فَمَا حَاجَتُكِ؟** قَالَتْ: حَاجَتِي إِلَى ابْنِ عَمِّي فُلانٍ الْعَابِدِ، قَالَ:**قَدْ عَرَفْتُهُ**، قَالَتْ: يَخْطِبُنِي، فَأَخْبِرْنِي مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ؟ فَإِنْ كَانَ شَيْئًا أُطِيقُهُ تَزَوَّجْتُهُ، وَإِنْ لَمْ أُطِقْ لا أَتَزَوَّجُ، قَالَ:**مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ لَوْ سَالَ مَنْخِرَاهُ دَمًا وَقَيْحًا وَصَدِيدًا، فَلَحِسَتْهُ بِلِسَانِهَا، مَا أَدَّتْ حَقَّهُ، لَوْ كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا، لِمَا فَضَّلَهُ الله عَلَيْهَا**، قَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَتَزَوَّجُ مَا بَقِيتُ فِي الدُّنْيَا.

وقالت عائشة : " يا معشر النساء: لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها ".

ولنا في نساء النبي القدوة الطيبة، فقد قدمن طاعة الزوج على طاعة أبيها، فجاء في البداية والنهاية لابن كثير: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة، جاء إلى رسول الله وهو يريد غزو مكة، فكلَّمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يُقْبِل عليه رسول الله ، فقام، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلمّا ذهب ليجلس على فراش النبي طوته دونه.

فقال: يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ، وأنت امرؤ نَجِس مشرك، فلم أحب أن تجلس على فراشه، فقال: يا بنية: لقد أصابك بعدي شر.

فالواجب على كل زوجة أن تعلم هذه المكانة التي جعلها الشرع الحنيف للزوج، وأن تعمل قدر طاقتها للمحافظة على هذه المكانة، إرضاء لله ، وعليها أن تعلم في قرارة نفسها أنها مهما فعلت، فلن تستطيع أن توفي حق زوجها، فروى ابن حبان والبزار أن الرسول قال:**حق الزوج على زوجته: لو كانت به قرحة، فلحستها، أو انتثر منخراه صديداً أو دماً، ثم ابتلعته، ما أدت حقه.**

الحقيقة الرابعة: إن الزوجة لن تدخل الجنة إلا إذا أطاعت زوجها، كما أمر الله ، وكما أمر الرسول ، وكذلك رضي عنها زوجها.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى ابن ماجه والترمذي أن الرسول قال:**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجهَا رَاضٍ عَنْهَا، دَخَلَتْ الْجَنَّة.**

وروى أحمد والطبراني أن الرسول قال:**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ.**

وروى النسائي وصحح الحديث الشيخ الألباني أن رسول الله قال:**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها، ثم تقول: والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى.**

والعؤود: هي التي تعود على زوجها بالنفع.

فالزوج هو جنة الزوجة ونارها، فروى أحمد عَنِ الْحُصَيْنِ بْنِ

مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتْ النَّبِيَّ فِي حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ :أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ:كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟ قَالَتْ: مَا آلُوهُ - أي: لا أقصر في طاعته وخدمته - إلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ :فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ؟.

فزوج المرأة ستراً لها في هذه الدنيا، فروى الطبراني أن الرسول قال:**للمرأة ستران** قيل: ما هما؟ قال :**الزوج والقبر**.

فالواجب على الزوجة أن تعمل جاهداً لإرضاء زوجها، حتى تفوز بجنة ربها.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف حقوقاً متعددة للزوج على زوجته، وأمر الزوجة بالمحافظ على هذه الحقوق، وأدائها على الوجه الأكمل الذي يرضي الله ، ويرضي الرسول ، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الحقوق، والتي لو التزمت بها الزوجة، تكون أمينةً على زوجها.

الحق الأول: وجوب الطاعة:

إن طاعة الزوجة لزوجها هي أساس قوة الحياة الزوجية واستمرارها، ولقد أوجب الإسلام على المرأة طاعة زوجها في غير معصية، ولقد أشار المولى إلى هذا الواجب، فقال:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: ٣٤].

ففي هذه الآية جعل الله الرجل قوَّاماً على المرأة بالأمر والتوجيه والرعاية، بما خص الله به الرجل من خصائص جسمية وعقلية، وبما أوجب عليه من واجبات مالية، وطالما أن الرجل قائماً على أمر المرأة، لزم المرأة أن تطيع الرجل.

قال ابن تيمية: على المرأة وجوب طاعتها لزوجها مطلقًا، فإن المرأة

إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها أوجب.

ولقد أشارت السنة النبوية إلى هذا الواجب أيضاً، فروى أحمد والطبراني أن الرسول قال: **إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ.**

وروى أبو داود والبيهقي والترمذي عنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ الْحِيرَةَ، فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ، فَقُلْتُ: رَسُولُ الله أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ، فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ**، قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: **فَلاَ تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ الله لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ.**

وإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه الآن، نجد أن هناك إهمالاً إلى حد بعيد من بعض الزوجات في هذا الواجب، فنجد الزوجة تهمل أوامر زوجها، بل لا أبالغ إذا قلت: أن هناك من الزوجات من يضربن بأوامر أزواجهن عرض الحائط، مع أن هذا كله مخالف لشرع الله .

فالواجب على الزوجة أن تفهم أن طاعة الزوج هي أمر شرعي محض، وهي طاعة لله أولاً، وعليها أن تعلم أن طاعتها لزوجها، من طاعة الله .

وهناك من الزوجات من يقدمن طاعة الأم على طاعة الزوج، فتفسد الحياة الزوجية بسبب ذلك، ولقد حذر الشرع الحنيف المرأة التي تؤذي زوجها بعصيانه وعدم طاعته، فروى الترمذي أن الرسول: **ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ آذَانَهُمْ: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ.**

والمرأة التي تؤذي زوجها، ولا تطيع له أوامره، دعت عليها الحور العين، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال: **لاَ تُؤْذِى امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي**

الدُّنْيَا، إلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ الله، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا.

الحق الثاني: عدم خروجها من بيته إلا بإذنه:

وهذا الحق واجب على الزوجة لزوجها، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الحق، فقال :**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}** [الأحزاب: 33].

ففي الآية دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيت، منهياتٌ عن الخروج.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: معنى هذه الآية: الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ، فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى.

وقال الشافعية والحنابلة: ليس لها الخروج لعيادة أبيها المريض، إلا بإذن الزوج، وله منعها من ذلك؛ لأن طاعة الزوج واجبة، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب، فروى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك أن رجلاً خرج، وأمر امرأته ألا تخرج من بيتها، وكان أبوها في أسفل الدار، وكانت في أعلاها، فمرض أبوها، فأرسلت إلى النبي ، فذكرت له ذلك، فقال :**أطيعي زوجك**، فمات أبوها، فأرسلت إلى النبي ، فقال:**أطيعي زوجك**، فأرسل إليها النبي :**إن الله غفر لأبيها؛ بطاعتها لزوجها.**

والإسلام حينما جعل بيت المرأةِ قرارًا لها، وحذرها من الخروج منه، فإنه أباح لها الخروج عند الحاجة أو الضرورة، ومن ذلك الخروج لحضور صلاة الجماعة في المسجد، وكذا الخروج إلى مصلى العيد أو الجهاد أو ما إليه ضرورة.

كما أن الإسلام خاطب الرجل وقال له: نعم أنت لك الحق في منعها، ولكن استخدم هذا الحق بأسلوب سليم، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِذَا اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَا يَمْنَعْهَا.**

فيُفهم من الحديث: أنها إذا أرادت الخروج لابد أن تستأذن، كما يُفهمُ منه: أن للزوج منع زوجته من الخروج، إلا ما استثني شرعًا.

ومن هنا يمكن القول: إن خروج الزوجة من بيت زوجها بغير إذنه،

هـو عصـيان الله ، قبـل أن يكـون عصـياناً للـزوج، فـروى الـديلمي أن الرسول قال:**أيما امرأة خرجت من بيت زوجهـا بغـير إذنـه، لعنهـا كـل شيء طلعت عليه الشمس والقمر، إلا أن يرضى عنها زوجها.**

الحق الثالث: ألا تأذن لأحد بدخول بيته إلا بإذنه:

إن من حق الزوج على زوجتـه ألا تُـدْخِل بيتَـه أحداً بغير إذنـه، ولقد أشـار الرسـول إلـى هـذا الواجـب، فـروى البخـاري ومسلم أن الرسـول قال:**لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ.**

وقـد تكـون هـذه النقطـة هـي السـبب الرئيسـي للعديـد مـن المشـكلات الأسرية، فقد يكون الزوج يغار من شخص معين على زوجتـه، أو يعلم سوء خلق شخص معين، ولا يأتمنه على دخول بيته، أو علـى خـلاف مـع شخص معين، ثم يفاجأ بأن هذا الشخص دخل بيته، ويجعل الزوجة محل اتهام وشك، فالزوج هو قائد هذا البيت، وله الحق في تحديد من يدخل هذا البيت ومن لا يدخله.

فعلى الزوجة أن تلتزم بهذا الحق، ولا تـدخل أحداً بيت الزوجيـة إلا إذا أذن لها الزوج، ويكون في مأمن من الخلوة.

الحق الرابع: أن تصون نفسها عن غيره:

علـى المرأة أن تصـون نفسـها عـن غيـر زوجهـا، فتحـافظ علـى فـراش زوجهـا، ولا تتسـاهل فـي خلـوة أي أجنبـي بهـا، ولا سيما أقـارب الـزوج، وأقاربها الذين ليسوا بمحارم، وحقيقةً هذه النقطة من النقاط المهمة، والتي يجب أن تنتبه إليها المرأة، الزوج غيـر موجـود بـالمنزل، والمـرأة وحـدها بالمنزل، أو معها أطفال غير مميزين، يأتي قريب لها، أو قريب لزوجها، أو حتى أخو زوجها، فيدخل ويجلس ينتظر الـزوج، موقـف ربمـا يحـدث كثيـراً، ونحـن نعتبـره موقـف عـادي، مـع أن الرسـول حـذَّر مـن الخلـوة بـالمرأة بصـفة عامـة، وحـذر مـن الأقـارب غيـر المحـارم بصـفة خاصـة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قـال:**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَـاءِ، فَقَـالَ رَجُلٌ مِنْ الأنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ :الْـحَمْوُ الْمَوْتُ.**

والحمو هو قريب الزوج أخوه، أو ابن عمه.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**.

ولتحذر المرأة من خيانة زوجها، فهي مؤتمنة على كل أموره، ولتتذكر أن الله امتدح الحافظات فقال :**{فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ}** [النساء: 34].

وروى مسلم أن الرسول قال:**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**.

إخوة الإسلام:

ومن الحقوق الواجبة على الزوجة لزوجها: تمكين الزوج من الاستمتاع بها: فمن حق الزوج على زوجته تمكينه من الاستمتاع، إذا استوفى عقد النكاح شروطه ووقع صحيحاً، فإذا تزوج امرأة وكانت أهلاً للجماع، وجب تسليم نفسها إليه بالعقد إذا طلب، روى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ، فَلْتَأْتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ**.

وقَوْلُهُ :**إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ** أيْ: الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، كِنَايَةٌ عَنْ الْجِمَاعِ.

وقَوْلُهُ :**فَلْتَأْتِهِ** أيْ: لِتُجِبْ دَعْوَتَهُ.

وقَوْلُهُ :**وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ** أيْ: وَإِنْ كَانَتْ تَخْبِزُ عَلَى التَّنُّورِ، مَعَ أَنَّهُ شُغْلٌ شَاغِلٌ، لَا يُتَفَرَّغُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إلا بَعْدَ اِنْقِضَائِهِ، فَقَدْ رَضِيَ بِإِتْلافِ مَالِ نَفْسِهِ، وَتَلَفُ الْمَالِ أَسْهَلُ مِنْ وُقُوعِ الزَّوْجِ فِي الزِّنَا.

فالواجب على المرأة ألا تتعلل بانشغالها في واجباتها المنزلية؛ لتقصر في حق زوجها.

وإذا امتنعت الزوجة من إجابة زوجها في الجماع، وقعت في المحظور، وارتكبت كبيرة، إلا أن تكون معذورة بعذر شرعي: كالحيض، وصوم الفرض، والمرض وما شابه ذلك، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِذَا دعَا الرَّجُلُ امْرأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فلَمْ تَأْتِهِ، فَبَات غَضْبانَ عَلَيْهَا،**

لَعَنتهَا الملائكَةُ حَتَّى تُصْبحَ.

وروى مسلم عن أبي هريرة أن الرسول قال:وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا.

فعصيان الزوج في هذه الحالة من أكبر المعاصي، والواجب على الزوجة أن تفهم هذا الأمر تماماً، حتى لا تعرض نفسها لغضب الله .

الحق السادس: ألا تصوم صيام تطوع وزوجها موجود إلا بعد أن تستأذنه:

وهذا حق واجب أيضاً، أشار إليه الرسول ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.

والعلة في ذلك: أن صيام التطوع بغير إذنه، قد يضيع عليه كمال الاستمتاع، حتى لو كان ذلك تطوعاً بعبادة، والحديث دليل على أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير، فحقه واجب، والواجب مقدم على التطوع.

الحق السابع: أن تحفظ ماله ولا تفرط فيه:

فلا يجوز للزوجة أن تضيع مال زوجها الذي تعب في تحصيله وتحمل المشاق في جلبه وكسبه، سواءً كان ذلك نقودًا، أو طعامًا، أو ملابس، أو أثاثًا، أو غير ذلك، فليس لها أن تبذر إذا أنفقت منه؛ لأنه قد ائتمنها على ذلك، وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

وكذلك لا يجوز للمرأة أن تتصدق من مال زوجها إلا بإذنه، فروى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله يقول:لَا تُنْفِقُ امْرَأَةٌ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا، إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله: وَلا الطَّعَامُ؟ قَالَ:ذَاكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا.

وعليه فقد أجمع العلماء على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج شيئاً

من بيت زوجها، إلا بإذنه، فإن فعلت فهي مأزورة غير مأجورة، غير أن المتصَدَّقَ به إذا كان يسيرًا من عادة الزوج أن يسمح بمثله، فللزوجةِ التصدق به، ولو لم يأذن الزوج.

وإذا بذرت الزوجة في مال زوجها، فإن هذا خيانة، والخيانة من صفات المنافقين، وليس لها الحق في أن تتصرف بشيء من ماله دون إذنه ورضاه.

أما إذا كان الزوج حريصًا على المال حرصًا شديدًا، بحيث لا يوفر لها حتى النفقة على نفسها وأولادها، فيجوز لها حينئذ أن تأخذ ما يكفيها ويكفي أولادها بقدر الحاجة، فروى مسلم عن عائشة قالت: أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ: **خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ.**

الحق الثامن: التأديب:

للزوج تأديب زوجته عند عصيانها أمره بالمعروف لا بالمعصية؛ لأن الله يقول: **{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}** [النساء: ٣٤].

وقد ذكر الحنفية أربعة مواضع يجوز فيها للزوج تأديب زوجته بالضرب، منها: ترك الزينة، إذا أراد الزينة، ومنها: ترك الإجابة إذا دعاها إلى الفراش وهي طاهرة، ومنها: ترك الصلاة، ومنها: الخروج من البيت بغير إذنه.

وإذا أجاز الشرع للزوج أن يضرب زوجته، فإن الشرع وضع ضوابط لهذا الضرب، فينبغي أن يكون الضرب لا يسيل دمًا، ولا يكسر عظمًا، كأن يضربها بالسواك مثلاً، المهم أن تشعر بخطئها، روى البخاري أن الرسول قال: **عَلاَمَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، وَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ**

يَوْمِهِ.

ولا يكون الضرب في الوجه، روى أبو داود أن الرسول قال: **وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ.**

بعض الرجال يلجأ للضرب أولاً، وهذا خطأ، والبعض يضرب ضرباً شديداً يترك أثراً، وهذا خطأ.

الحق التاسع: الاعتراف بفضل الزوج عليها وعدم إنكار معروفه:

فالواجب على الزوجة أن لا تنكر ما قدمه لها، وأسداه إليها من معروف، فإن كثيرًا من النساء تجحد فضل زوجها عليها، وخاصة عندما تغضب، وذلك من أسباب دخولها النار، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بالله؟ قَالَ: **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ.**

الحق العاشر: أن تتزين لزوجها:

فالواجب على الزوجة أن تتزين لزوجها، وأن تبدو له في كل يوم كأنها عروس في ليلة زفافها، وقد عُرفت أنواع من الزينة على عهد النبي ، كالكحل، والحناء، والعطر، فروى الترمذي أن الرسول قال: **عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ؛ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ.**

وكانت النساء تتزين بالحلي، وترتدي الثياب المصبوغة بالعُصْفُر (وهو لون أحمر).

وقد أمر النبي أصحابه ألا يدخل أحدهم على زوجته فجأة عند عودته من السفر؛ حتى تتهيأ وتتزين له، فروى البخاري ومسلم أن الرسول نهى أن يَطْرُقَ الرجل أهله ليلاً.

ولا ينبغي للزوجة أن تظهر أمامه بمظهر ينفر منه، كأن تلبس ملابس سيئة المنظر، أو تقترب منه وبها روائح غير مناسبة من آثار الطبخ وغيره، فإن ذلك من شأنه أن يكرّه الزوج فيها، ويُنَفّره منها، وقد يعقبه بغض شديد لها، لاسيما إذا داومت على ذلك المظهر السيئ.

وكثير من النساء لا تعتني بمظهرها أمام زوجها، لا في ملبسها ولا

في نظافتها، وتعكس ذلك إذا خرجت في زيارة خارج المنزل، فتراها تعتني بنفسها وتلبس أجمل ثيابها وتتعطر، وهذا الفعل يعتبر من أسوأ الأفعال وأشنع الصفات التي تصدر من الزوجة مع زوجها، روى الحاكم أن
الرسول قال: أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ.

الحق الحادي عشر: أن تواسيه:

فعلى الزوجة أن تواسي زوجها عند الحاجة، وتعمل على فعل ما يُدْخِلُ عليه البهجة والسرور، وتزيل عنه الهمَّ والغم والتعب، وتهدئه في حال الغضب بالأساليب المناسبة، والرجل في حاجة إلى مواساة امرأته وتسكينها إياه في حالات الغضب، أو نزول حوادث محزنة، كموت ولدٍ، أو فقد مال، أو ما أشبه ذلك، ولقد ضربت أم سليم زوج أبي طلحة أفضل مثال في هذا، فروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: كَيْفَ الْغُلامُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ الله :لَعَلَّ الله أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا.

قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ.

الحق الثاني عشر: أن تقوم بالخدمة في بيته:

لا خلاف بين الفقهاء في أنّ الزّوجة يجوز لها أن تخدم زوجها في البيت، سواء أكانت ممّن تخدم نفسها أو ممّن لا تخدم نفسها، إلاّ أنّهم اختلفوا في وجوب هذه الخدمة.

فذهب الجمهور: الشّافعيّة والحنابلة وبعض المالكيّة إلى أنّ خدمة الزّوج لا تجب عليها، لكنّ الأولى لها فعل ما جرت العادة به.

وذهب الحنفيّة إلى وجوب خدمة المرأة لزوجها، فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة أنّ النّبيّ قسّم الأعمال بين عليّ وفاطمة ، فجعل عمل الدّاخل على فاطمة، وعمل الخارج على عليّ.

وعليه فقد ذهب جمهور المالكيّة إلى أنّ على المرأة خدمة زوجها في الأعمال الباطنة، الّتي جرت العادة بقيام الزّوجة بمثلها، ولأنّ النّبيّ كان يأمر نساءه بخدمته، فروى أبو داود وغيره أن الرسول كان يقول:**يا عائشة أطعمينا، يا عائشة هلمّي المدية واشحذيها بحجر.**

أما عن والدي الزوج: فالزوجة ليست ملزمة شرعاً بخدمة والدي زوجها، ولكنه بر وإحسان، يحسن ألا تتركه، وفيه من الألفة ونشر المودة بين الأسرة ما لا يخفى.

وعلى المرأة أن تصبر على ما قد تعانيه من تعب ومشقة، ولتجعل من فاطمة بنت رسول الله نموذجاً يحتذى به، فروى البخاري ومسلم عن عَلِي أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ:**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ.**

فخدمة الزوجة في بيت زوجها أمر لا ريب فيه، ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه فاطمة بنت رسول الله ، أشرف نساء العالمين، كانت تخدم زوجها، وجاءت الرسول تشكو إليه الخدمة، فلم يقبل شكايتها.

الحق الثالث عشر: ألا تسأل الزوجة الطلاق بدون سبب شرعي:

فالواجب على الزوجة ألا تطلب طلاقها من زوجها بلا سبب شرعي، فبعض النساء تسارع بطلب الطلاق من زوجها، ربما على سبيل التهديد، وربما على سبيل الدلال، وهذا أمر من أخطر الأمور، فربما يصل الحد بالرجل إلى عدم التحمل، فيتم الطلاق ويخرب البيت، ولقد حذر

الرسول الزوجة أن تطلب طلاقها من غير سبب شرعي، فروى أبو داود أن الرسول قال: **أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ.**

* * *

أمانة الزوجـــة

أسبـاب نـعيم القبـر

أمانة الزوجـــة

الحمد لله رب العالمين: المتوحد بإبداع المصنوعات، المتفرد باختراع المخلوقات، المخصوص بقدم الأسماء والصفات، المنزه عن التحيز والسكون والحركات، القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات.

سبحانه: بين مدى ارتباط كل من الزوجين بالآخر، وما ينبغي أن تكونَ العلاقةُ بينهما، فجعل الزوجَ لباساً لزوجته، كما جعل الزوجة لباساً لزوجها، فقال :**{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}** [البقرة: ١٨٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل الدينَ أساسَ الاختيار في الزواج، فقال :**{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ الله مِنْ فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** [النور: ٣٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل أفضل متاعٍ في الدنيا المرأةَ الصالحة، فروى مسلم أن الرسول قال:**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **أمانة الزوجـــة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن من أكبر النعم التي أنعم الله بها على الإنسان هي:

نعمة الزواج، فالزواج آية من آيات الله توجب التفكر والشكر.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الروم: 21].

وقال :**{والله جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ الله هُمْ يَكْفُرُونَ}** [النحل: ٧٢].

فالرجل منا لا يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا بدون زوجة، وكذلك المرأة لا تستطيع أن تعيش في الدنيا بدون زوج، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا شاذ، والعياذ بالله.

ولقد جعل الله الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين، فقال:**{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}** [الرعد: ٣٨].

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ:**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.**

وهذا سيدنا آدم عندما خلقه الله وتركه في الجنة وحيداً، استوحش الجنة؛ لأنه يعيش بدون زوجة، فخلق الله له حواء من ضلعه الأيسر، وهو نائم.

جاء في تفسير القرطبي: عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أنهما قالا: لما أسكن الله آدم الجنة، مشي فيها مستوحشاً، فلما نام، خلقت حواءُ من ضلعه من شقه الأيسر؛ ليسكنَ إليها، ويأنسَ بها، فلما انتبه

رآها، فقال: من أنت؟ قالت: امرأة، خلقت من ضلعك؛ لتسكنَ إليَّ، وأسكنَ إليك، وهذا معنى قول الله :{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الأعراف: 189].

وهذه النعمة لم تكن مقصورة على الإنسان فحسب، بل هي موجودة في كل المخلوقات، فقال :{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦].

وقال :{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٩].

ومن ثم يمكن القول: إنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالرهبانية، فالدين الإسلامي ليس فيه انعزال عن الحياة، وليس فيه انصراف عن المرأة.

الحقيقة الثانية: إن الشرع الحنيف جعل الزوجة أمانةً ملقاة على عاتق الرجل، وإن الرجل سيسأل يوم القيامة عن هذه الأمانة، هل فرط فيها، أم أداها على الوجه الأكمل؟.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

وروى مسلم وأبو داود والبيهقي وغيرهم أن الرسول قال:**اتَّقُوا الله فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ الله...** .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن الرسول قال:**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**

قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ رَسُولِ الله ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ قَالَ:**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**

وروى الترمذي وابن حبان أن الرسول قال:**إن الله سائل كلَّ ذي رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم، أم أضاعه، حتى إن الرجل ليُسأل عن أهل بيته.**

فالواجب على كل مسلم رزقه الله بالزوجة، أن يصونها، ويحافظ عليها، ويؤدي الحقوق الواجبة عليه لها، امتثالاً لأوامر الشرع الحنيف، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِنَّ أَحَقَّ الشَّرْطِ أَنْ يُوفَى بِهِ، مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ.**

الحقيقة الثالثة: إن الله جعل الرجلَ هو الأصل في الحياة الزوجية، والمرأةَ هي الفرع، وجعل حق الزوج على زوجته أوكد من حق الزوجة على زوجها.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [البقرة: ٢٢٨].

ومن أجل هذا جعل الله القوامة للرجل على زوجته، فقال : **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ الله وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ الله كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}** [النساء: ٣٤].

هذه القوامة يجب أن تُفْهَم فَهْماً صحيحاً، فهي لا تعني الاستعلاء، ولا الإرهاب، وإنما تعني المسؤولية، مسؤولية الراعي نحو رعيته، لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال:.... **وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.... .**

وإذا كان الشرع الحنيف جعل المرأة عند الرجل كالأسيرة، إلا أنه لا يجوز للزوج أن يستغل هذا، وإنما ينبغي أن يكون ممتثلاً لأوامر الشرع الحنيف، فروى الترمذي أن الرسول قال:**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ.**

عوان تعني: أسْرَى، فإذا كان النبي قد أمَرَ بالإحسان في معاملة الأسير وهو عدو، وقال :**{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}**

[الإنسان: ٨].

فكيف إذا كان الأسير حبيباً؟ فكيف إذا كان الأسير أماً لأولادك؟ فكيف إذا كان الأسير يعفك عن الحرام؟ فكيف إذا كان الأسير لباساً لك، وأنت لباس له، فمما لا شك فيه أنه تكون الأولى بالإحسان، فروى الترمذي والبيهقي أن الرسول قال: **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي.**

ولأجل هذا قال العلماء: إن المرأة هي الطرف الأضعف في الحياة الزوجية.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف حقوقاً متعددة للمحافظة على أمانة الزوجة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الحقوق، التي لو التزم بها الشخص، يكون أميناً على زوجته.

الحق الأول: المهـــر:

والمهر هو: المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها والدخول بها، أو بالموت، أو بالخلوة الحقيقية، ولقد جعله الشرع الحنيف حقاً واجباً على الزوج لزوجته، فقال : **{وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}** [النساء: ٤].

ويجب أن يعلم الجميع أن المهر حق الزوجة، وليس حق أبيها، وليس لأقرب الناس إليها أن يأخذ منه شيئاً، إلا في حالة الرضا والاختيار، فقال : **{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}** [النساء: ٤].

هذا المهر يُطيِّب نفسَ المرأة، ويُرضيها بقوامة الرجل عليها.

ولم يجعل الإسلام حداً لأقل المهر، ولا حداً لأكثره، بل وكلَّ ذلك للعرف الشائع بين الناس، إذ يختلف الناس في الغنى والفقر، ولكل جهة عاداتها وتقاليدها.

وإن تم الطلاق قبل الدخول فلها نصف المهر، كما حكم بذلك أحكم الحاكمين، فقال : **{وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ**

فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَـا فَرَضْـتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُـونَ أَوْ يَعْفُـوَ الَّـذِي بِيَـدِهِ عُقْـدَةُ النِّكَـاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْـلَ بَيْـنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِـمَا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ} [البقرة: ٢٣٧].

ولقد حذر الشرع الحنيف من عاقبة هضم حق المرأة في المهر، فقال : {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَـهُنَّ فَرِيضَـةً فَنِصْـفُ مَـا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْـوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٢٩].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَـاشِرُوهُنَّ بِالْمَـعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

وعلى الرغم من تحذير الشرع الحنيف من هضم حق المرأة في هذا الواجب، إلا أننا نرى للأسف الشديد كثيراً ممن سول لهم الشيطان التفريط في الحقوق الواجبة عليه تجاه زوجته، فيرفض أن يعطي المرأة حقها في هذا الواجب، أو يعطي وليها هذا الحق لو ماتت الزوجة، وهذا واضح كل الوضوح في الواقع الذي نعيش فيه.

فعندما يتم الدخول الحقيقي بين الزوج وزوجته، وبعد مرور فترة، أياً كانت مدتها، قد لا يكتب الله النجاح للحياة الزوجية، ويتم الطلاق بين الطرفين، فيقوم الزوج بعدم الوفاء بهذا الحق الواجب عليه لزوجته، ويقوم بحيل زينها له الشيطان، فيقوم بتبديل أعيان جهاز الزوجية بما هو أردأ، والذي هو بمثابة مهر الزوجة، أو يقوم بحيلة أخرى وهي النقصان منه، أو يرفض أن يسلم أعيان الجهاز كلية، بحجة أنه ليس له ذنب في الطلاق، أو هي التي ترفض العيش معه، وهي التي طلبت الطلاق، وبالتالي لا تستحق المهر، ويقول كما يقول الناس: أنا أكلت إيه علشان أشرب عليه ماءً!!.

فهذا كله مخالف لشرع الله ، وخيانة لهذه الأمانة الملقاة على عاتق الرجال، ويتحقق فيه ما قاله المولى :{وَمَـنْ يَتَعَـدَّ حُـدُودَ اللهِ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٢٩].

وروى الطبراني في الأوسط أن الرسول قال:**أيما رجل تزوج امرأة بما قلَّ من المهر أو كثر، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زان.**

الحق الثاني: النفقة:

والمقصود بالنفقة: توفير كل ما تحتاج إليه الزوجة من طعام ومسكن وكسوة، حتى وإن كانت غنية، ولقد أشار المولى إلى وجوب نفقة الزوجة على زوجها، فقال :**{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}** [الطلاق: ٦ - ٧].

ولقد أو جب الشرع النفقة على الزوج للزوجة بثلاثة أشياء: العقد، والحبس، والتمكين، فإذا اختل شيء من هذه الأشياء، فلا تجب النفقة.

وعلى الرغم من وجوب النفقة على الزوج لزوجته إلا أنه يؤجر على هذا الواجب، روى مسلم أن الرسول قال:**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا: الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً.**

فنفقتك على أهل بيتك، من أولاد وزوجة، إن صحت النية، فهي صدقة لك عند الله .

أما لو امتنع الزوج على الإنفاق على زوجته، فيكون خائناً للأمانة الملقاة على عاتقه، وأجاز الشرع للزوجة في هذه الحالة أن تأخذ من مال زوجها دون علمه، ولكن بشرط على قدر الضرورة، فروى مسلم عن عائشة قالت: أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ :**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ.**

الحق الثالث: العون على طاعة الله :

فالواجب على الزوج أن يعين زوجته على طاعة الله ، وطاعة الرسول ، ولقد أشار المولى إلى هذا الحق، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم: ٦].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:...**وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...** .

ولقد أمر المولى الرسول بالقيام بهذا الواجب مع زوجاته، فقال :**{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}** [طه: ١٣٢].

ولقد أثنى الرسول على من قام بهذا الواجب مع زوجته، فروى أبو داود والنسائي وابن ماجه أن الرسول قال:**رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ...** .

ولقد مدح الله سيدنا إسماعيل عندما قام بهذا الواجب مع أهل بيته، فقال :**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}** [مريم: ٥٤ - ٥٥].

أما إذا لم يقم الزوج بهذا الواجب فيكون خائناً للأمانة، وستتعلق الزوجة برقبته يوم القيامة، وتتهمه بالتقصير في حقها، فقال :**{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}** [عبس: ٣٤ - ٣٧].

ويجب أن يعلم الجميع أن سر الضنك الذي تحياه الآن كثير من البيوت المسلمة، هو البعد عن طاعة الله ، فقال :**{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}** [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

فكثير من بيوتنا لا تسمع فيها القرآن، كثير من بيوتنا لا تسمع فيها إلا مزمار الشيطان (الغناء)، وكثير من بيوتنا تعكف الأوقات الطويلة على مشاهدة الأفلام والمسلسلات في القنوات التي تعمل طول النهار والليل، والهدف من هذا كله: هدم كيان الأسرة بالكامل.

تجد الرجل يقيم الدنيا ولا يقعدها إن تأخرت زوجته في إعداد الطعام، ولا يفكر أن يسأل زوجته: هل صلت فرض الله أم لا؟

ترى كثيراً من الأزواج لا يفكر البتة أن يأمر زوجته بالحجاب الشرعي، وإنما تراه فخوراً سعيداً إذا خرجت معه امرأته بثياب متبرجة عارية.

وكل هذا يعتبر من خيانة حقوق الزوجة، ويعرض الزوج للعذاب يوم القيامة، فروى أحمد أن الرسول قال:**ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله الْجَنَّةَ عَلَيْهِمْ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ.**

الحق الرابع: حسن الخلق:

ولا أعني بذلك أن الرجل لا يشتم زوجته ولا يحقرها، فهذا أمر مفروغ منه أصلاً، ولا يصح بحال من الأحوال، إذ إنك مطالب به مع الغريب، فالمؤمن يجب أن يكون لسانه نظيفاً، لا يتكلم بالكلمات القبيحة، ولا يسب ولا يُقَبِّح، روى البيهقي وأبو يعلى أن الرسول قال:**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِاللِّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ.**

وإذا كنت حريصًا على أن تحترم الناس، وأن يحترمك الناس، فكيف بامرأة تشاركك الفراش؟! فكيف لا يكون هناك مثل هذا الأدب والاحترام المتبادل بينكما؟!.

فالواجب على الزوج لزوجته أن يكون حسن الخلق مع زوجته، ولقد أشار المولى إلى هذا الواجب، فقال:**{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** [النساء: ١٩].

وقال :**{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}** [البقرة: ٢٢٩].

وروى الترمذي أن الرسول قال:**أَكْمَل الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنهمْ خُلُقًا،**

وَخِيَارُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ.

والمراد بحسن الخلق هنا: هو تحمل الأذى من الزوجة.

وحسن الخلق من الإمساك بالمعروف، فالواجب على الزوج أن يكون رفيقاً رقيقاً مع زوجته، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا.**

وفي هذا إشارة إلى أن في خلق المرأة عوجاً طبيعياً، وأن محاولة إصلاحه غير ممكنة، وإنه كالضلع المتقوّس الذي لا يقبل التقويم، ومع ذلك فلابد من مصاحبتها على ما هي عليه، وذلك لا يمنع من تأديبها وإرشادها إلى الصواب، إذا اعوجت في أمر من الأمور.

ومن حسن الخلق: إلقاء السلام كلما دخلت عليها، قال :**{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [النور: ٦١].

وروى أحمد والترمذي أن الرسول قال:**يَا بُنَيَّ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ.**

وهناك نماذج من حياة الرسول ومن حياة سلفنا الصالح نتعلم منها حسن الخلق مع الزوجة.

النموذج الأول: نزول الرسول على مشورة نسائه، وهذا ما حدث في صلح الحديبية مع زوجته السيدة أم سلمة، فروى البخاري عن عمر بن الخطاب قال: أتيت نبي الله فقلت: ألستَّ نبيَّ الله حقاً؟ قال :بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال :بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال :**إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري**، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال :**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟** قال: قلت: لا، قال :**فإنك آتيه ومطوف به.**

قال عمر بن الخطاب : فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً، قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال:

بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله لأصحابه:**قوموا فانحروا، ثم احلقوا.**

قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يا نبيَّ الله: أتحب ذلك، اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم، حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل غماً.

النموذج الثاني: كانت أزواج الرسول تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل، وهو يصبر عليهن، فروى مسلم أن عمر بن الخطاب قال: تَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَ الله إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ الله ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ الله عَلَيْهَا، لِغَضَبِ رَسُولِهِ ، فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لاَ تُرَاجِعِي رَسُولَ الله وَلاَ تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ.

النموذج الثالث: وقع خلاف بين الرسول وبين السيدة عائشة ، واستدعى النبي أبا بكر ليحكم بينه وبين السيدة عائشة .

روى أحمد وابن حبان عن معمر عن الزهري عن يحيى بن سعيد بن العاص أن النبي استعذر أبا بكر من عائشة ، ولم يخش النبي أن ينالها أبو بكر بالذي نالها، قال: فرفع أبو بكر بيده، فلطم في صدر عائشة ،

فوجد من ذلك النبي ، وقال لأبي بكر :**ما أنا بِمُستَعْذِرُكَ منها بعد هذا أبداً.**

وفي رواية عبد الرزاق: أن النبي دعا أبا بكر ، فاستعذره من عائشة ، فبينما هما عنده، قالت: إنك لتقول: إنك نبي!، فقام إليها أبو بكر ، فضرب خدَّها، فقال الرسول :**مه يا أبا بكرٍ، ما لهذا دعوناك.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال لعائشة :**إِني لأعرف غَضَبَكِ مِن رِضَاكِ** قالت: وكيف تعرفه؟ قال :**إذا رضيت، قلت: لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت: لا وإله إبراهيم**، قالت: صدقت: إنما أهجر اسمك.

النمـــوذج الرابـــع: تحمل الرسول الأذى من بعض نسائه، فروى البخاري وغيره عنْ أَنَس بن مالك أَنَّ رَسُولَ الله كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، قَالَ: أَظُنُّهَا عَائِشَةَ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ لَهَا بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، قَالَ: فَضَرَبَتْ الأُخْرَى بِيَدِ الْخَادِمِ، فَكُسِرَتْ الْقَصْعَةُ نِصْفَيْنِ، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ الله يَقُولُ:**غَارَتْ أُمُّكُمْ**، قَالَ: وَأَخَذَ الْكَسْرَتَيْنِ فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى، فَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، ثُمَّ قَالَ:**كُلُوا**، فَأَكَلُوا، وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الرَّسُولِ، وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِهِ.

إخوة الإســلام:

ومن الحقوق الواجبة على الزوج لزوجته: **أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح:**

فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان النبي يمزح مع نسائه، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوماً وسبقها في بعض الأيام فقال لها:**هذه بتلك.**

وروى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ.

فعلى الرغم من كل مسئوليات رسول الله ، وأعباء الدعوة، وأعباء تأسيس الدولة الإسلامية وغير ذلك، إلا أن لديه وقتًا يقضيه مع عائشة في تسليتها.

بل وقد جعل النبي ذلك باب من أبواب التفاضل بين المسلمين، فروى الترمذي أن الرسول قال:**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**.

الحق السابع: حفظ السر:

فالواجب على الزوج أن يحافظ على سر زوجته، وأن لا يفشي سرها، وأن لا يذكر عيباً فيها، إذ هو الأمين عليها، والمطالب برعايتها، وإن أعظم المنكرات نشر ما يدور بين الرجل وزوجته، فروى مسلم أن الرسول قال:**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**.

ويروى أن رجلاً كان يريد طلاق زوجته، فسأله بعض الناس: لماذا تريد طلاقها؟ فقال الرجل: إن العاقل لا يهتك ستر بيته، فلما طلقها، وتزوجت، قالوا له: لماذا طلقتها؟ قال: مالي ولامرأة غيري.

الحق الثامن: مساعدة الزوجة في أعمال البيت:

فكان من هدي الرسول مساعدة نسائه في أعمال البيت، فروى البخاري أن عائشة سئلت: ما كان النبي يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

الحق التاسع: عدم طرد الزوج زوجته من منزل الزوجية:

فمهما حدث من خصام أو نزاع بين الرجل وزوجته، فلا يحق للزوج أن يطرد الزوجة من بيت الزوجية. قال :**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا الله رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}** [الطلاق: ١].

فإذا كان النشوز من المرأة فقط، ولم يخطئ الرجل في شيء، فله أن يؤدبها وأن يحملها على الطاعة قهراً، ولكن بالتدريج، فيبدأ بالوعظ أولاً، فإن لم يفلح الوعظ ولاها ظهره في المضجع، والهجر في المضجع له أصول، بعض الناس حينما يهجر زوجته في المضجع يترك الكلام معها فلا يكلمها، وهذا خطأ، فعليه أن يكلمها، فإذا جاء وقت النوم هجرها في المضجع، فإذا استمر ذلك ثلاث ليال دون جدوى، فله أن يلجأ إلى الوسيلة

الأخيرة للتأديب وهي الضرب، فقال :{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ الله وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ الله كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: ٣٤].

وإذا أجاز الشرع للزوج أن يضرب زوجته، فإن الشرع وضع ضوابط لهذا الضرب، فينبغي أن يكون الضرب لا يسيل دماً، ولا يكسر عظماً، كأن يضربها بالسواك مثلاً، المهم أن تشعر بخطئها، روى البخاري أن الرسول قال:عَلامَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، وَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ.

ولا يكون الضرب في الوجه، روى أبو داود أن الرسول قال:وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ.

بعض الرجال يلجأ للضرب أولاً وهذا خطأ، والبعض يضرب ضرباً شديداً، يترك أثراً، وهذا خطأ.

بعض النساء عند وجود خلاف تترك بيت الزوج، وتذهب إلى بيت أبيها، وهذا خطأ، المرأة لا تترك بيت زوجها تحت أي سبب من الأسباب، حتى إذا طلقها الزوج طلقة رجعية تقضي عدة الطلاق في بيت زوجها، لعل ذلك يعيد المياه إلى مجاريها، فإذا كانت المطلقة لا تترك بيت الزوج فكيف بغير المطلقة؟ قال :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا الله رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: ١].

* * *

أمـــانة المال

أمـــانة المال

أسبـاب نـعيم القبـر

أمـــانة المال

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال :**{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}** [النحل: **18**].

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :**{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}** [الحج: ٦٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن أكل المال عن طريق الباطل، ورتب العقاب الشديد على ذلك، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا}** [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن المسلم إذا أخذ المال من حله، بارك الله له فيه، وإذا أخذه من غير حله، لم يبارك الله له فيه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى.**

الإشراف: التطلع للشيء، وحديث النفس وتوقعه.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين، الذين كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال، مخافة الوقوع في الحرام.

أمـا بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **أمـــانة المـال**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن المال نعمة من الله ، فهو الذي يعطيه لمن يشاء، ويمنعه عمن يشاء، فالخير كله بيده، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْـمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْـخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْـحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْـحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [آل عمران: **26، 27**].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن المال في الدنيا ليس على درجة واحدة، بل على درجات متفاوتة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: جعل الله المال تارة زينة الحياة الدنيا: فقال: **{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}** [الكهف: ٤٦].

ثانياً: جعل الله المال نعمة عظيمة: تستحق شكر الواهب المنعم، فقال: **{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}** [الإسراء: ٦].

ثالثاً: جعل الله المال شهوة قد حببت إلى النفوس: فقال: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْـمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْـخَيْلِ الْـمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْـحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا والله عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** [آل عمران: ١٤].

رابعاً: جعل الله المال فتنة: فقال: **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ والله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}** [التغابن: ١٥].

وروى الترمذي أن الرسول قال: **إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**.

ولقائل يقول: كيف يكون المال فتنة، وهو في الأصل نعمة من الله ؟
أقول: إذا لم يلتزم الإنسان بمنهج الله في المال، فقدم حبَّ المال على حب الله وحبِّ الرسول ، وقدم حقَّ المال على حق الله وحق رسوله ،

فحينئذ يكون المال فتنة من أعظم الفتن على الإنسان في الدنيا والآخرة.

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْـخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩].

خامساً: جعل الله المالَ نقمةً عـلى مالكـه: وذلك حينما يأخذه من غير حله، ويصرفه في غير حله، ويظهر هذا جلياً عندما يقف العبد بين يدي الله يوم القيامة، ويُعطى كتابَه بشماله، فيندم على صنيعه في الدنيا، وأنى يُجدي الندم، فقال :{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ} [الحاقة: 25 - ٢٨].

ولا يظن أحد أن الغنى دليل على رضا الله ، ولا يظن أحد أن الفقر دليل على سخط المولى ، فالله لا يغني أحداً لأنه راض عنه، ولا يُفقِر شخصاً لأنه غضبان عليه، فقال :{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥].

وقال في شأن قارون:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْـحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْـمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ الله عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٧٩ - ٨٣].

وروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:إِنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ الله يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الله الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ.

الحقيقة الثانية: إن المال الذي في أيدي الإنسان ليس ملكه، وإنما المال مال الله ، وإنما جعل الله الإنسان مستخلَف فيه، أي: نائب عن الله في تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي الإنفاق منه، ولقد أشار المولى إلى هذه

الحقيقة، فقال :{آمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

فالمال أمانة في أيدي الإنسان، وإن الله سيسأله يوم القيامة عن هذه الأمانة، هل أداها على الوجه الأكمل، أم فرط فيها؟ فقال :{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٦].

وروى الترمذي والبزار والطبراني أن الرسول قال: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الله ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ.

فالإنسان ليس حر التصرف في المال المستخلف فيه، يفعل فيه ما يشاء، إنما هو مقيد بتوجيهات المالك الأصلي للمال، وهو الله .

فالواجب على كل مسلم أن يحافظ على هذه الأمانة ويصونها، ولا يفرط فيها، حتى لا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار.

الحقيقة الثالثة: إن الله فرض فرائض وأوجب الحفاظ عليها، وحد حدوداً ونهى عن تجاوزها، فقال :{تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء: ١٣، ١٤].

فالحلالُ ما أحلَّ اللهُ في كتابِه، والحرامُ ما حرَّمَ اللهُ في كتابِه، وليس لأحدٍ أيّاً كان أن يُحلّلَ شيئاً أو يُحرِّمَ شيئاً من تلقاءِ نفسِه، وعلى حسبِ هواه، بل لم يجعل الله ذلك لخيرِ خلقِه، وأعظمِهم منزلةً عنده، محمد ، حيثُ قالَ له مُعاتِباً:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ والله غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم: 1].

وفي نفس الوقت حذّرَنا المولى من التقوّلِ في الأمورِ التي شرعَها بغيرِ ما أنزلَ، فقالَ :{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ *مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل: 116، 117].

فلو اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرضِ على أن يُحلّوا شيئاً حرّمَه اللهُ لم

يُحَلْ أبداً، ولو اجتمعوا على أن يحرِّموا شيئاً أحلَّه اللهُ ، لم يحرُمْ أبداً؛ لأنَّ حكمَ اللهِ لا يتبدّلُ ولا يتغير.

وقد بيّنَ اللهُ أنّ مُطاوعة الذين يُحلّلون ما حرّمَ الله ، ويحرِّمون ما أحلَّ الله ، تدخلُ في بابِ الإشراكِ باللهِ ؛ حيثُ قالَ في أهلِ الكتابِ:{**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [التوبة: 31].

وعندما تلا رسولُ اللهِ هذه الآيةَ الكريمة على عديِّ بنِ حاتمٍ، وكان امرءًا تنصّرَ في الجاهليةِ؛ قالَ له: يا رسولَ اللهِ، إنهم لم يعبدوهم، فقالَ له رسولُ اللهِ :**أليسوا قد أحلُّوا لهم ما حرّمَ اللهُ ، وحرَّموا عليهم ما أحلَّ اللهُ ، فأطاعوهم**، قالَ له: بلى، فقال :**ذلك عبادتُهم لهم**.

وإن أهم مجال نظمه الشرع الحنيف هو: مجال المعاملات المالية، فلا يجوز لأي شخص مهما كان، أن يُحل أو يحرم في المعاملات المالية تلقاء نفسه، فإن ذلك يعرض صاحبه لغضب المنتقم الجبار.

ولقد جاء الإسلام بأحكام كثيرة تنظم المال، ومن أهم هذه الأحكام حكمان أساسيان: حكم يتعلق بجانب الأوامر، وحكم يتعلق بجانب النواهي.

أما الحكم الذي يتعلق بجانب الأوامر هو: الزكاة، فهذا في قمة الأوامر الإسلامية في المال، فالزكاة ركن من أركان الإسلام، وهي الدعامة الثالثة بعد الشهادتين وبعد إقامة الصلاة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.**

وأما الحكم الذي يتعلق بجانب النواهي والمحرمات: هو تحريم كسب المال بالباطل، أياً كان هذا الباطل، فقال :{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرًا**} [النساء: ٢٩، ٣٠].

إخوة الإســـلام:

إن المال مطلوب لكل إنسان، محبوب لجميع الناس، يقضون به مصالحهم، ويسيرون به أمورهم، ويصرفونه في شؤونهم، فالإنسان مفطور على حب المال، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد.

ولكن هل يترك الله عباده يطلبون المال ويجمعونه من كل سبيل؟ هل يجعل الله المال كالكلأ المباح لكل الناس؟.

إن الله لم يترك المال كالكلأ المباح لكل الناس، ولكن وضع ضوابط متعددة لكسب المال، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط، والتي لو التزم بها الإنسان يكون محافظاً على أمانة المال، وإذا لم يلتزم بها، فيكون خائناً لها.

الضابط الأول: طاعة الله وطاعة رسوله :

فالشرع الحنيف ألزم كل مسلم بطاعة الله وطاعة الرسول في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فطاعة الله وطاعة رسوله في كل مجالات الحياة أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ.

وهذه الضابط يرد على من يزعم أن له مطلق الحرية في جمع المال، فيفعل في سبيل جمعه ما يشاء، أو كما يروق له، ولكن الأمر ليس كذلك، فالمسلم فينا لا يكمل إيمانه ولا يصح، إلا إذا التزم بمنهج الله ومنهج الرسول في كسب ماله، فقال :{**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**} [الأحزاب: 36].

وقال :{**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [النور: 51].

وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام عند الرسول في شراج الحرة (مسايل الماء، والحرة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء) التي كانوا يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يَمُرُّ، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله .

فقال رسول الله للزبير:اسق يـا زبـير، ثـم أرسـل إلى جـارك، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كـان ابن عمتك!، فتلون وجه الرسول ثم قـال:يا زبير اسق، ثم احبس المـاء حتـى يرجـع إلى الجِـدْرِ، (وجمعه جُدر، والمراد به بالجدر أصل الحائط).

فقال الزبير : والله إني لأحسِب هذه الآية نزلت في ذلك:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء : 65].

ولقد جعل الشارع الحنيف الطاعة من مقتضيات الإيمان الكامل، فإيماننا لا يكمل، بل لا يصح إلا إذا حققنا منهج الطاعة لله ولرسوله ، في كل مجالات الحياة، وعلى وجه التحديد مجال المعاملات المالية، فقال : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 64، 65].

فالواجب على كل مسلم أن يلتزم بمنهج الله ومنهج الرسول في كسب المال، ويحقق في ماله منهج السمع والطاعة لله ولرسوله ، حتى يكون من الذين قال الله فيهم:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: 51].

الضابط الثاني: التقوى:

لقد جعل الشرع الحنيف التقوى من أهم ضوابط كسب المال، فقال : {وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٢، ٣].

لقد أصبح كثير من الناس يفهمون التقوى فهماً ضيقاً، ويحسبونها مجرد ركعات تصلى، وأيام تصام، ورسوم ظاهرة تؤدى، وطقوس تنظم وتقام، وكذلك تراهم مع صلاتهم وصيامهم من الحرام يعيشون، وبالربا يتعاملون، وللسرقة والغش والخيانة يفعلون، ولحقوق الناس يغتالون،

وبالكذب والنفاق والرياء وخراب الذمم يتعاملون، ومع ذلك يحسبون أنهم لمجرد صلاتهم أو صيامهم متقون ناجون.

ألا فليعلم هذا الصنف من الناس أنهم عن طريق النجاة حائدون، وعن سبيل الخير والفلاح ضالون، وفي شهواتهم وأهوائهم متورطون، وصدق الله إذ يقول:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

ليست التقوى كذلك أيها المسلم، بل التقوى عبادة ومعاملة، فالتقي يعبد الله عبادة صحيحة خالية من الرياء، بعيدة عن البدع والخرافات، لا دجل فيها، ولا شعوذة ولا تضليل، ثم بعد ذلك يعامل الناس معاملة حسنة، ومعاملة مبنية على الذمة والأمانة، وسلامة النية، وطهارة القلب، فلا يداهن، ولا يغش، ولا يخادع، ولا يمكر الناس.

ولقد أمرنا الرسول بالتقوى في كل الأحوال والظروف والمناسبات، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه:**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.**

الضابط الثالث: مراقبة الله :

فالشرع الحنيف جعل مراقبة الله أمراً مفروضاً على كل مسلم ومسلمة، فالكل سواء أمام هذا الواجب، وهذه الحقيقة ترد على من يتحايلون على شرع الله ، ويقومون بأعمال مشبوهةٍ شرعاً من أجل كسب المال، فروى مسلم أن الرسول قال:**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.**

فالواجب على كل مسلم أن يراقب المولى في السر والعلانية؛ لأن مراقبة الله تمنع الإنسان أن يخالف أمره، أو أن يشذ عن الحق، ولقد حثنا القرآن على مراقبة الله ، فقال :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

وقال :{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 16].

ولقد حقق سيدنا يوسف مراقبة الله على أكمل وجه، فكانت سبباً في نجاته من الوقوع في المعصية، اقرأ معي قول الله :{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 22 - 24].

ولقد طبق سلفنا الصالح مراقبة الله كما أمر الشرع الحنيف، فكانت لهم حرزاً من الوقوع في المعصية، فعاشوا في الدنيا سعداء، وماتوا كرماء، وأورثهم ربهم جنة عرضها السموات والأرض، يقول عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق (نزلنا للراحة) فانحدر علينا راعٍ من الجبل، فقال عمر بن الخطاب : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذا الغنم، فقال: إني مملوك، فقال له عمر بن الخطاب : قل لسيدك: أكلها الذئب، فقال العبد: فأين الله؟

فبكى عمر بن الخطاب ، وأخذ يقول: فأين الله ؟ ثم غدا إلى سيد الراعي، فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وأراد الإمام الشافعي (رحمه الله) أن يعلم تلاميذه كيفية مراقبة الله ، فأمر كل تلميذ من تلاميذه أن يُحضِر كل تلميذ دجاجة، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كل واحد منهم دجاجته، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لما لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما ارتحلت، وحيثما اتجهت، وجدت أن الله مطلع عليَّ ويراني.

ثم قرأ قول الله :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7].

واسمع معي إلى ما أعده الله لمن حقق مراقبته في السر والعلانية، فقال: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣١ - ٣٥].

فالواجب على كل مسلم يريد أن يجعل لنفسه حرزاً من المعصية، أن يراقب الله في السر والعلانية، ويكون في معية الله ؛ لأن الله جعل علينا شهوداً يشهدون على كل أفعالنا، ويراقبون كل تحركاتنا، وذلك على النحو التالي:

الشاهد الأول: الأرض: فهذه الأرض التي نعيش عليها، ونأكل من خيراتها، وننام عليها، ونطيع المولى عليها، ومنا من يعصي الله عليها، ستشهد لنا أو علينا يوم القيامة، فقال: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ١ - ٨].

الشاهد الثاني: الملائكة: فالملائكة الذين يكتبون علينا أعمالنا، ويسجلون علينا سيئاتنا وحسناتنا، يشهدون لنا أو علينا يوم القيامة، فقال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وقال: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠].

الشاهد الثالث: الجوارح: فالجوارح التي هي من نعم الله علينا، ستشهد على صاحبها يوم القيامة، فقال: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥].

وقال: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت: ١٩ - ٢٤].

الضابط الرابع: اتباع منهج الله ومنهج الرسول :

إن الله قد فرض علينا اتباع منهجه، ليس في مجال كسب المال فحسب، بل في كل مجالات الحياة، فقال :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

وبين الله النتيجة المترتبة على اتباع منهجه، فقال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123].

وإن المسلمين اليوم، بل العالم كله يعاني من أزمة مالية طاحنة؛ لأن الجميع لم يتبع منهج الله ومنهج الرسول في السياسة المالية.

فالواجب على كل مسلم أن يلتزم بالمنهج الرباني في كسب المال، ولا ينحرف عنه، فإن الانحراف عنه يعرِّض الإنسان لغضب المنتقم الجبار، والعقاب الشديد، فقال :{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

وقال :{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 124 - 127].

الضابط الخامس: الصدق:

فالواجب على كل مسلم أن يلتزم بالصدق في كسب المال، فالرسول أمرنا بالصدق في كل مجالات الحياة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.

وحذرنا النبي من الكذب في كسب المال، فروى أحمد والحاكم أن

الرسول قال:**إن التجار هم الفجار**، قيل: يا رسول الله: أليس الله قد أحل البيع؟ فقال الرسول :**بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون.**

وروى الترمذي أن الرسول قال:**يا معشر التجار**، فرفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال لهم:**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وصدق.**

وإن الإنسان إذا حقق الصدق في المعاملات المالية، بارك الله له في معاملاته، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا.**

الضابط السادس: التوكل على الله :

إن الله أمرنا بالتوكل عليه وحده، فقال :**{وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}** [إبراهيم: **11**].

ولقد بين لنا الله النتيجة المترتبة على الصدق في التوكل عليه، فقال : **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}** [الطلاق: **3**].

ولقد بين لنا الرسول أيضاً النتيجة المترتبة على الصدق في التوكل، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً.**

الضابط السابع: أن يكون كسب المال من طريق مباح:

فالمسلم فينا لا بد أن يبحث على طريق مباح لكسب منه المال، وذلك كالبيع، والشراء، والسلم، والمضاربة، والشركة، والإجارة، إلى غير ذلك من الطرق المباحة لكسب المال.

أما أن يهجر الإنسان منا الطرق المباحة لكسب المال، ويعتمد على طرق غير مشروعة، فهذا مخالف لشرع الله ، وذلك كطلب المال عن طريق المسألة، فالرسول حرم المسألة، فروى البخاري والبيهقي واللفظ له، أن الرسول قال:**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَسْتَغْنِيَ بِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ.**

ولقد بين لنا الرسول خطورة المسألة يوم القيامة، فروى مسلم أن الرسول قال: **لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**.

وروى أحمد وأبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: **أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟**، قَالَ: بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: **ائْتِنِي بِهِمَا**، فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ بِيَدِهِ، وَقَالَ: **مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟**، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: **مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟** مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَ، وَقَالَ: **اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا، فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا، فَأْتِنِي بِهِ**، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا**، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: **هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ**.

واسمع معي إلى هذا النموذج من حياة سلفنا الصالح، الذين كانوا يتحرون كسب المال من طريق مباح، روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ.

وروي أن عمر بن عبد العزيز حمل إليه مسك من الغنائم، فقبض على أنفه، وقال: إنما يُنتفَع من هذا، وإني أكره أن أجد ريحه دون المسلمين.

الضابط الثامن: أن يكون كسب المال عن طريق الرضا:

فلا يجوز أخذ مال الغير بدون رضاه، وإلا كان سحتاً، فقال : {يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وروى البيهقي وابن ماجه أن الرسول قال: إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف ضوابط لإنفاق المال، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط.

الضابط الأول: النهي عن الإسراف:

فالإسلام حرم الإسراف في المال، ولقد عد الله عدم الإسراف في المال من صفات عباد الرحمن، فقال: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧].

الضابط الثاني: النهي عن التبذير:

فالله قد نهى عن التبذير، وجعل المبذر قرين الشيطان، فقال: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: ٢٦، 27].

الضابط الثالث: الإنفاق في حقه:

فالواجب على المسلم أن ينفق المال في حقه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.

الضابط الرابع: أن يصل فيه رحمه، ويتقي فيه ربه:

روى الترمذي وأحمد والطبراني أن الرسول قال: إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقّاً، فَهذا بأفضل المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً، لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فَأجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلماً، فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْم، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ

عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ.

الضابط الخامس: أن يؤدي الحق الواجب فيه:

ومال الإنسان يجب فيه ما يأتي:

1 - الزكاة، فالله وإن اقتضت حكمته أن يكون هناك أغنياء وفقراء، إلا أنه لم يترك الفقراء حيارى مهملين، ولكن فرض لهم حقاً معلوماً يصرف لهم كل عام من أموال الأغنياء، وذلك عن طريق الزكاة، فقال : {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: 24، 25].

2 - النذور: فقال :{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان: ٧ - ١٠].

3 - الكفارات، وذلك: ككفارة اليمين، فقال :{لَا يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩].

وكفارة الظهار، فقال :{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة: ٣، ٤].

وكفارة القتل الخطأ، فقال :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ الله وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩٢].

الضابط السادس: أن يؤدي التطوع:

وذلك مثل الصدقة، فالله قد حثنا عليها قبل فوات الأوان، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: **254**].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: 9 - 11].

وجعل الإنفاق في سبيله من صفات المتقين، فقال :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: **133 - 136**].

فمال العبد الحقيقي الذي يمتلكه، هو ما قدمه لنفسه؛ ليكون ذخراً له بعد موته، وليس ماله ما جمعه، فاقتسمه الورثة بعد مماته، فروى البخاري وأحمد أن الرسول قال**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**، قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا مِنَّا أَحَدٌ إلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ :**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**.

وفي رواية البيهقي أن الرسول قال:**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟** قَالُوا: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ رَسُولُ الله : **اعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ.**

ومعناه: أن ما ينفقه الإنسان من ماله حال حياته في وجوه البر والإحسان، من صدقات، وإقامة المشاريع الخيرية، والأوقاف النافعة، وكفالة اليتيم، وإطعام الجائعين، وإعانة المعسرين، كل هذا يقدمه أمامه،

ويجد ثوابه مدخراً عند الله ، ومضاعفاً أضعافاً كثيرة، فهو مالـه الحقيقـي الذي يبقى لديه، ويجري نفعه عليه، وما عداه فإن ملكيته له محدودة بحال الصحة وسلامة فكره؛ لأنه إذا مرض مرض الموت، فإنـه يحجر عليـه، فلا يتصرف فيه بصدقة ولا هبة.

ففـي هذه الحالـة يُمنـع الإنسـان من التصـرف فـي مالـه، الـذي أتعب جسمه، وقضى عمره في جمعه؛ لأنه على وشك زوال ملكه عنه، وانتقاله إلى غيره من ورثته، وقد فرط في حال الصحة يوم أن كان ملكه عليه تاماً.

وروى الترمذي عن عائشة أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ :**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**، قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلا كَتِفُهَا، قَالَ :**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا.**

وروى مسلم وأحمد أن الرسول :**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِـنْ مَالِـهِ ثَلاَثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ.**

فالواجب على كل مسلم أن يعي هذه الحقيقة، وأن يضعها نصب عينيه، حتى يفوز بالآخرة برضا الله ، وينجو من عقاب الله ، ولقد أكد لنا الرسول هذه الحقيقة، وأن المال هو ما يدخره المسلم لنفسه يوم القيامة، فروى أحمد والبيهقي والطبراني أن الرسول قال:**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**، أَوْ قَالَ:**حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ.**

* * *

أمانـــة العلم

أسبـاب نـعيم القبـر

أمانـــة العلم

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي نطقـت بوحدانيتـه جميـعُ الكائنـات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته، وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحـار دائمـاً وأبداً تقول: سبحان من بمشيئته أجرانـي، وأسـال عيون مـائي لـروادي، والعـارف بـه دائمـاً وأبداً يقـول: سبحان من دلني عليه، وإليه مرجعي ومآبي، حتى العاصي يقول: سبحان من اطلع عليَّ في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلني وهداني.

سبحانه: امتن على نبيه محمدٍ بنعمة العلم، فقال: **{وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً}** [النساء: **113**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل العلم سبباً في الخشية منه ﷻ، فقال: **{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً}** [الإسراء: **107 - 109**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل العلم من الأمور التي ينتفع بها الإنسان بعد موته، فروى مسلم والبيهقي واللفظ له، أن الرسول قال: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.**

فاللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **أمانة العلم**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الاهتمام بقضية العلم لم يبدأ في أول لحظة من لحظات نزول القرآن الكريم فحسب، بل إن الاهتمام بقضية العلم بدأ منذ أن خلق الله سيدنا آدم .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}** [البقرة: **30 - 33**].

ولذا فليس بعجب أن تكون أول آية نزلت من كتاب الله تشير إلى العلم، والاهتمام به، فقال :**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}** [العلق: **1 - 5**].

ومن أجل هذا: أمر الله نبيه محمداً أن يطلب الزيادة من العلم، فقال :**{فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}** [طه: **114**].

قال القرطبي: فلو كان شيء أشرف من العلم، لأمر الله نبيه محمداً أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم.

ومن ثم يمكن القول: بأن العلم أفضل شيء في الدنيا؛ لأنه طريق المعرفة إلى الله ، وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه، ومجاورته في الآخرة، فروى أبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :**ما عُبِد الله بشيء أفضل من فقه في دين.**

قال أبو هريرة : لأن أتفقه ساعة، أحب إليَّ من أن أحيي ليلة أصليها

حتى أصبح، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة، ودعامة الدين الفقه.

فالواجب على الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تتبوأ مكانتها الطبيعية بين الأمم، وإذا أرادت أن تكون لها الريادة على سائر الأمم، فعليها أن تهتم بالعلم؛ لأنها بدون العلم لا تساوي شيئاً.

فمكانة الأمة مرهونة بالعلم، فبالعلم فُضِل آدم على الملائكة، وبالعلم أُمرت الملائكة بالسجود لأدم ، فقال :{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ} [البقرة: **32 - 34**].

الحقيقة الثانية: إن الله رفع قدر العلم وأهله، وبين ذلك في قرآنه، وعلى لسان نبيه محمدٍ ، وذلك على النحو التالي:

أولاً: استشهدهم الله ، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة:

فقال :{شَهِدَ الله أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [آل عمران: **18**].

قال القرطبي: هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء، لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته، كما قرن العلماء.

ثانياً: أمر الله بطاعة العلماء:

وذلك لبيان قدرهم، وعلو منزلتهم، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: **59**].

قال الرازي: والمراد من أولي الأمر: العلماء في أصح الأقوال؛ لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء، ولا ينعكس.

ثالثاً: الرفعـــة:

فـالله رفـع درجـات أهـل العلـم والإيمـان خاصـة، فقـال :{يَرْفَـعِ

الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّـذِينَ أُوتُـوا العِلْـمَ دَرَجَـاتٍ والله بِـمَا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرٌ} [المجادلة: 11].

رابعاً: العلماء ورثة الأنبياء:

فروى أبو داود والترمذي وغيرهما أن الرسول قال:...**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**.

فالعلماء ورثوا عن نوح صبره على دعوته، وتحمله الإيذاء في سبيل الله ، من غير ضجر، ولا ملل، ولا قنوط، ولا يأس.

العلماء ورثوا عن خليل الرحمن إبراهيم شجاعته وصموده أمام عدوان الباطل، ورثوا عنه التضحية بالروح والجسد، في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

العلماء ورثوا عن موسى أمانته وعفته، ورثوا عنه جهاده في سبيل أن يخرج الناس من ظلم الحكام إلى عدل الرحمن، ومن عبادة الطواغيت إلى عبادة رب الأرض والسماء.

العلماء ورثوا عن عيسى زهده ورحمته، ورثوا عنه سمو النفس، ورفعة الروح، وحبه لجميع الخلق.

العلماء ورثوا عن الرسول صبره وحلمه، ورثوا عنه جهاده ونضاله، ورثوا عنه الفضائل الحميدة، والأخلاق الكريمة، فصاروا بذلك أئمة الهدى، ومصابيح الدجى.

خامساً: العلم طريق إلى الجنة:

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا، سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.**

سادساً: الاستغفار للعالم:

فأهل السموات السبع والأرضين السبع يستغفرون لطالب العلم، فروى أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي أن الرسول قال:...**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ**.

سابعاً: العالم أفضل من العابد:

وذلـك لتشـجيع النـاس علـى العلـم، فـروى أبـو داود والترمـذي أن الرسول قال: **وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَـدْرِ عَـلَى سَـائِرِ الْكَوَاكِبِ.**

ثامناً: عدم قطع عمل العالم بموته:

فروى مسلم والبيهقي واللفظ له، أن الرسول قـال: **إِذَا مَـاتَ الإِنْسَـانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَـةٍ، أَوْ عِلْـمٍ يُنْتَفَـعُ بِـهِ، أَوْ وَلَـدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.**

تاسعاً: الخيرية:

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قـال: **مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَـيْرًا، يُفَقِّهْـهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ والله يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّـةُ قَائِمَـةً عَـلَى أَمْـرِ الله، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله.**

الحقيقة الثالثة: إن العلم أمانـة ألقاها الله علـى عـاتق العلمـاء، ومـن ثـم فيجـب علـى كـل صـاحب علـم أن يصـون هـذه الأمانـة، ويحـافظ عليهـا، ويؤديها على الوجه الأكمل، الذي يرضي الله ، ويرضي الرسول .

فما من صاحب علم إلا وسيسأل يوم القيامة عن هذه الأمانة، التي وكل بحفظها وصيانتها، هل أداها على الوجه الأكمل، أم قصر في حفظها؟.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: **{فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَـيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}** [الأعراف: **6**].

وقال : **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الحجر: **92، 93**].

وأشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى الترمذي والطبراني أن الرسول قال: **لا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَـنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَـبَهُ وَفِـيمَا أَنْفَقَـهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟.**

فالواجب على كل صاحب علم أن يعد للسؤال جواباً من الآن، هل صان أمانة العلم، وحافظ عليها، أم ضيعها؟ حتى لا يكون عرضة لعذاب

الله يوم القيامة.

إخوة الإســـلام:

إن المحافظة على أمانة العلم ليس بالأمر السهل أو الهين، بل من الصعوبة بمكان؛ لأنه ما من صاحب علم إلا وسيتعرض لصعوبات كثيرة، فلو لم يكن أهلاً لتحمل هذه الأمانة، فإنه سيضيعها، وبالتالي يكون خائناً لهذه الأمانة العظيمة.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، فقلد تعرض لمحن كثيرة، وشدائد متنوعة، في أداء الأمانة، فلقد اتهمه قومه بالسحر والجنون، فقال :{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: **52 - 55**].

إلا أنه لم يبال بهذا كله، وأدى الأمانة على الوجه الأكمل.

ولقد وضع الشرع الحنيف ضوابط متعددة للمحافظة على أمانة العلم، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط، التي لو التزم بها العالم، يكون أميناً على العلم.

الضابط الأول: الإخلاص:

والإخلاص في العلم معناه: أن يبتغي العالم بعلمه وجه الله ، فلا يقصد بالعلم التوصل إلى غرض دنيوي، كتحصيل مال، أو جاه، أو شهرة، أو سمعة، أو تميزاً عن الأفراد.

فالواجب على العالم حتى يكون أميناً على العلم، أن يبتغي بعلمه وجه الله ؛ لأن الله أوجب على الجميع ضرورة الإخلاص له وحده، فقال :{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ} [البينة: 5].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله الرسول بضرورة الإخلاص له، فقال :{تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ الله العَزِيزِ الحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالِصُ} [الزمر: 1 - 3].

وقال :{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي} [الزمر: 11 - 14]

بل جعل الله الإخلاص شرطاً في قبول الأعمال، فقال :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110].

أما لو ابتغى العالم بعلمه غير وجه الله ، بأن ابتغى بعلمه الشهرة، أو السمعة، أو الجاه، فإن ذلك يكون خيانة لأمانة العلم، ويتعرض لغضب المنتقم الجبار، فلقد بين لنا الشرع عقوبة عدم إخلاص العالم في علمه، وذلك على النحو التالي:

أولاً: عدم قبول العمل وإحباطه مطلقاً: فقال :{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً} [الفرقان: 23].

أي: أنه أحبط أعمالهم من أجل الرياء، حتى صارت بمنزلة الهباء.

ثانياً: الفضيحة في الدنيا: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللهُ بِهِ.**

ثالثاً: الفضيحة في الآخرة: روى الترمذي وابن حبان أن الرسول قال:**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك.**

رابعاً: المرائي أول من تسعر به النار يوم القيامة: روى مسلم والنسائي أن الرسول قال:**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،**

وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَـالِ كُلِّـهِ، فَـأُتِيَ بِـهِ فَعَرَّفَـهُ نِعَمَـهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَـقَ فِيهَـا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

ولقـد حـذرنا الرسـول مـن الريـاء فـي العلـم، فـروى ابـن ماجـه أن الرسول قـال:لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِـتُمَارُوا بِـهِ السُّـفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ.

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه أن الرسول قال:مَنْ تَعَلَّمَ عِلْـمًا مِمَّـا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله ، لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْـجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَعْنِي: رِيحَهَا.

الضابط الثاني: العمل بالعلم:

فالعالم قبل أن يأمر الناس ويعلمهم، عليه أن يعلم نفسه، ويعمل بما يقوله، فليس من المعقول أن يعلم العالم الناس الخير ولا يعمل به، فمن الأمانة على العالم أن يعلّم نفسه أولاً، قبل أن يعلم غيره، ويعمل بعلمه قبل أن يأمر الناس بالعمل.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فكان يعمل بما علم، فروى أحمد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ، فَقَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ".

أما لو خلف هذا الأمر، فيكون خائناً لأمانة العلم؛ لأنه من العار والعيب على العالم أن يخالف فعلُه قولَه، وما أكثر هذا النوع من العلماء في هذه الأيام.

فكم من عالم أمر غيره بصلة الأرحام، وهو يقطع أرحامه، وكم من عالم يأمر الناس بحسن الجوار، وهو يسيء إلى جيرانه، وكم من عالم ينهى الناس عن التدخين، ويبين لهم آثاره السلبية على الفرد والجماعة، وهو يقوم بالتدخين، بل لا يستحي من الله ، ويحمل علبة السجائر في جيبه، وهو واقف بين يدي الله في الصلاة.

وكم من عالم يأمر غيره بالإحسان إلى الزوجة، وهو يسيء معاملة زوجته، وكم من عالم يأمر غيره ببر الوالدين، وهو يعق والديه، وكم من عالم ينهى الناس عن التعامل بالربا، وهو يتعامل بها، وكم من عالم ينهى الناس عن أكل أموال الناس بالباطل، وهو يعتدي على أموال الناس، وكم من عالم ينهى غيره عن أكل الحرام، وهو يأكل سحتاً والعياذ بالله، وكم من عالم يأمر الناس بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وهو لا يحافظ عليها.

وكم من عالم يأمر الناس بالنهي عن المنكر، وهو لا يقوم بهذا الواجب العظيم، فيرى المنكر أمامه، ولا يُحرِّك ساكناً، وكم من عالم يأمر الناس بالتواضع، وهو يتكبر عليهم، وكم من عالم يأمر الناس أن يتخلقوا بخلق العفو، وهو لا يعفو عمن ظلمه، بل يريد الانتقام ممن ظلمه.

فمن فعل هذا كله، وخالف فعلُه قولَه، فإنه يكون خائنا لأمانة العلم، والعياذ بالله.

ولقد ذم الله هذا الصنف من العلماء، فقال :{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: 2، 3].

ولقد بين لنا الرسول العقابَ الذي أُعِد لمن خالف فعلُه قولَه، فروى مسلم وأحمد أن الرسول قال:يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ.

الضابط الثالث: التواضع بالعلم:

والتواضع بالعلم معناه: انكسار القلب، وخفض الجناح والرحمة للخلق.

وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: يخضعُ للحقِّ، وينقادُ له، ويقبلُهُ ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله.

انطلاقاً من قول الرسول في الحديث الذي رواه ابن ماجه

وغيره:الحكمة ضالة المؤمن، أني وجدها فهو أحق بها.

ويقول الرسول :خذ الحكمة من أي وعاء خرجت، ولا يضرك من أي وعاء خرجت.

ولقد أوجب الله علينا التواضع، وأمرنا به في قرآنه فقال :{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ} [لقمان: 18، 19].

وقال :{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} [الإسراء: 37، 38].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل نجد أن الله أمر نبيه محمداً بالتواضع، فقال :{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215].

ولقد طبق الرسول التواضع بالعلم، فروى البخاري ومسلم عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ لأُبَيٍّ: (إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:{لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة: 1].

وقال الفضيل بن عياض: إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله، ورثه الحكمة.

فالواجب على العالم أن يتواضع بعلمه، ولا يتكبر به، فالتكبر بالعلم خيانة له، ويعرض صاحبه لغضب المنتقم الجبار، والعذاب الأليم، فروى مسلم أن الرسول قال:لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر، فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال :إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق – دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس.

الضابط الرابع: عدم كتمان العلم:

فالواجب على العالم أن يبين للناس العلم الذي يعلمه، فالله قد أخذ العهد والميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا العلم للناس، ولا يكتمونه، فقال :{وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: 187].

قال القرطبي: هذا متصل بذكر اليهود، فإنهم أمروا بالايمان بمحمد ، وبيان أمره، فكتموا نعته، فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم، فإنه هلكة.

وأمرنا الرسول بتبليغ العلم، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.**

وروى البخاري أن الرسول قال:**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ.**

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ.**

ولقد نهانا الله عن كتمان العلم، فقال :{وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 2].

فإذا كتم العالم العلم يكون خائناً لأمانة العلم، ويستحق عقاب الله ، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالـهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 159، 160].

وقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ الله مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 174].

فروى الترمذي وأحمد أن الرسول قال:**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ.**

الضابط الخامس: الموضوعية في الفتوى:

ومعنى هذا: أن الفتوى لا تخضع لهوى، أو لتحقيق أغراض

شخصية، فينبغي أن تكون الفتوى لله ، ومن هنا فإنه يجب على كل عالم يتصدى للفتوى، أن يلتزم بالموضوعية في فتواه، ولا يخضع الفتوى للهوى، أو لتحقيق غرض معين، فلقد حذرنا الله من اتباع الهوى، فقال :{وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ} [المؤمنون: **71**].

فمن أخضع الفتوى لهوى في نفسه، أو لتحقيق غرض معين هو يريده، فقد خان أمانة العلم.

ولقد قام عدد كبير ممن ينتسبون إلى العلم في هذه الأيام بإخضاع الفتوى للهوى، أو لتحقيق عرض معين في نفسه.

فكم من عالم أحل فوائد البنوك والتعامل بالربا؛ لهوى معين، أو إرضاء للسلطة الحاكمة، وكم من عالم حرَّم الختان؛ إرضاء للسلطة، وكم من عالم حرَّم الزواج إلا بعد بلوغ سن معينة؛ إرضاء للسلطة، وكم من عالم حرَّم النقاب؛ إرضاء للسلطة.

وكم من عالم حرم التلفاز في بداية الأمر، ثم بعد ما انتشرت الفضائيات وبدأ الظهور فيها، أحل التلفاز؛ لأنه بدأ الظهور فيه، فأين الموضوعية في هذا؟

وكم من علماء حرموا التصاوير، وعندما قاموا بالترشيح للمجالس النيابة، أباحوها.

وكم من علماء أفتوا بأن صوت المرأة عورة، وأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، ولا ينبغي لها العمل في مجال السياسة، وعندما تقدموا للترشيح للمجالس النيابية، أباحوا للمرأة أن تترشح معهم، بل ووضعوها في قائمتهم، فأين الموضوعية في فتواهم؟

الضابط السادس: ألا يخاف إلا من الله :

فالواجب على كل عالم ألا يخاف من أحد إلا من الله ، فلا يخاف من ذي سلطان، أو من صاحب جاه، أو من صاحب سطوة.

فقال :{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ} [المائدة: 44].

ولقد مدح الله عباده الذين لا يخافون في الله ﷻ لومة لائم، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: 54].

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، فكان لا يخشى إلا الله ، فروي أن قريشاً ذهبت في نفر منها إلى أبي طالب عم الرسول ؛ يشكون له الرسول ، فقالوا: يا أبا طالب: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه؛ فنكفيكه!

فقال لهم أبو طالب قولاً وفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله على ما هو عليه، يظهر دين الله ، ويدعو إليه، ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعدوا وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله وتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضاً عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنا؛ وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله، وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله لهم، ولا خذلانه، فبعث أبو طالب إلى رسول الله فقال له: يا بن أخي: إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي: كذا وكذا (للذي كانوا قالوا له) فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته، والقيام معه، فقال رسول الله :**يا عم: والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته.**

ولقد حدث للإمام أحمد بن حنبل موقف صعب للغاية، ولكنه تمسك بقوله، ولم يخف إلا من الله ، وذلك في قضية خلق القرآن الكريم.

فلقد تكلم المعتزلة وغيرهم في قضية خلق القرآن، إلا أن الإمام أحمد بن حنبل ظل متمسكاً بأن القرآن قديم، قدم الله ، وحبس وضرب وعذب، حتى كاد أن يموت، ورغم كل هذا ظل ثابتاً على الحق، حتى انتصر على كل من قالوا بخلق القرآن الكريم.

الضابط السابع: أن يصون العلم كما صانه علماء السلف:

فمن الأمانة الملقاة على عاتق العالم أن يصون العلم، كما صانه سلفنا الصالح، فيقوم له بما جعله الله له من العزة والشرف، فلا يدنسه بالأطماع، ولا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا، من غير ضرورة أو حاجة أكيدة، ولا إلى من يتعلمه منه منهم، وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه.

قال الزهري: هو أن بالعلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم.

وقال مالك بن أنس للمهدي وقد استدعاه لولديه يعلمهما: العلم أولى أن يوقر ويؤتى.

وفي رواية: العلم يزار ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي.

وفي رواية: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون.

ويروى عنه أيضاً أنه قال: دخلت على هارون الرشيد، فقال: يا أبا عبد الله: ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت: أعزك الله إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذلَّ، والعلم يؤتى ولا يأتي، فقال: صدقت، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا من سمع الناس.

* * *

العـدل

أسبـاب نـعيم القبـر

العـدل

الحمد لله رب العالمين: الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعلنا ولله الحمد خير أمة أخرجت للناس، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} [آل عمران: 110].

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: 138].

وقال :{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمرنا بالعدل، ونهانا عن الظلم، فقال :{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: **90**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن من اتصف بالعدل في الدنيا، سيجلس يوم القيامة على منبر من نور عن يمين الله ، فروى مسلم أن الرسول قال:**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **العـدل**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقـة الأولى: إن الله جعل العدل صفة من صفاته المقدسة، فقال :

{وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: 49].

وقال: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47].

فقال: {أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ} [التين: 8].

وقال: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراًّ يَرَهُ} [الزلزلة: 7، 8].

فلو لم يكن العدل صفة من صفات الله ، لاختل نظام الكون كله؛ لأن الله لما خلق السموات والأرض خلقهما بالعدل، وأقام الدنيا كلها على أساس واحد، ألا وهو: العدل، فقال: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: 27].

وروى أحمد والبيهقي أَنَّ رَسُولَ الله كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ الله بْنَ رَوَاحَةَ فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودَ، قَالَ: فَجَمَعُوا لَهُ حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ، وَخَفِّفْ عَنَّا، وَتَجَاوَزْ فِي الْقَسْمِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، والله إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ الله إِلَيَّ، وَمَا ذَلِكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا الَّذِي عَرَّضْتُمْ مِنَ الرِّشْوَةِ، فَإِنَّهَا سُحْتٌ، وَإِنَّا لاَ نَأْكُلُهَا، قَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

فإذا لم يتصف الله بالعدل المطلق، وقع الخلل في الكون كله، ولذلك يقال: العدل أساس الملك.

وكان العدل صفة أصيلة من صفات الأنبياء أيضاً، فقال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: 25].

فما من نبي إلا وقد أمره الله بالعدل، فهذا سيدنا داود قال الله في شأنه: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ

تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: **21 - 27**].

وقال في شأن الرسول :{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ} [الشورى: **15**].

ولقد اتصف سيدنا يوسف بالعدل، فقال :{قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ} [يوسف: **78**، **79**].

الحقيقة الثانية: إن الله جعل العدل أمراً مفروضاً على كل المسلمين، دون تفرقة بين مسلم ومسلم، ولا بين ذكر وأنثى، ولا بين متعلم وغير متعلم، فالكل سواء أمام فريضة العدل، ولا يوجد عذر البتة لأي إنسان مهما كان في ترك العدل.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [النساء: **58**].

وقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: **152**].

وقال :{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].

بل الأعجب من هذا كله: أن العدل مطلوب مع الأعداء أيضاً، فقال : {لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: 8].

وقال :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} [المائدة: 49].

ولقد طبق الرسول العدل مع أعداء الله ، فحينما انتصر المسلمون في غزوة بدر، فقتلوا من قتلوا، وأسروا من أسروا، وكان من بين الأسرى عم الرسول العباس بن عبد المطلب، وكان الرسول قد أمر بالأسرى فشدوا وثاقهم، حتى يأتي أهلهم بالفداء، وبينما الرسول قائم في خيمته ليلاً يصلي، إذ بعمر بن الخطاب يدخل عليه، فيجده يبكي، فقال عمر بن الخطاب : ما يبكيك يا رسول الله، وقد نصرك الله على أعدائك؟ فقال :**يا عمر: أبكاني أنين عمي العباس في جوف الليل؛ لثقل القيد على قدميه.**

فخرج عمر بن الخطاب وأرخى قيد العباس ، فسكت أنينه، فقال له الرسول :**يا عمر: ماذا فعلت؟**، فقال عمر : يا رسول الله أرخيت قيده، فقال الرسول :**إن من العدل أن تفعل ذلك بجميع الأسرى**، فقام عمر بن الخطاب ، وأرخى قيودهم جميعاً.

فالواجب على كل مسلم يريد الفوز برضا الله عنه في الدنيا والآخرة، أن يحقق العدل في كل مجالات الحياة؛ لأن ما من شخص إلا وهو سيسأل يوم القيامة عما استرعاه الله ، فقال :{فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: 6].

روى البخاري أن رسول الله قال:**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ:وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**

الحقيقة الثالثة: إن الله حرر دستور العدل من كل شائبة تتعلق به، فالله يريد من العدل أن يكون عدلاً مطلقاً، عدلاً لا يخضع لتهديد، ولا يتأثر بأهواء النفس، ولا بأحوال الرضا والغضب، ولا بالفقر ولا بالغنى، ولا بالقرابة ولا البعد، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياًّ أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعْدِلُوا}** [النساء: **135**].

وفي نفس الوقت ينهى الله المؤمنين ألا يدفعهم كرههم لبعض الناس إلى التخلي عن العدل، مهما عظمت أسباب الكراهية، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا}** [المائدة: **8**].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل بين الله أن العدل ليس مطلوباً من أجل إيصال الحقوق إلى أصحابها فحسب؛ بل لأنه أقرب إلى رضوان الله ، فقال ﷻ:**{اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** [المائدة: **8**].

فإقامة العدل يجب أن تكون حسبة لله ، وتجرداً من كل ميل، ومن كل مصلحة، ومن كل اعتبار، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله}** [النساء: **135**].

وقال في حق إقامة الشهادة:**{وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً}** [الطلاق: **2**].

وفي النهاية يهدد الله من انحرف عن هذا التوجيه الإلهي، فيقول:**{وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}** [النساء: **135**].

ولقائل يقول: لماذا أمرنا الله بالعدل؟ أقول: أمرنا الله بالعدل لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن الحياة لن تستقيم، ولن يكون لها أي طعم، إلا إذا تحقق العدل التام في كل مجالات الحياة، فالعدل أساس عمارة الكون كله.

السبب الثاني: العدل يدعو إلى الألفة والمودة بين البشر، ويبعث على الطاعة، وتُعمَر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به

السلطان.

السبب الثالث: إن الإنسان في ظل العدل يعيش آمناً في سربه، مطمئناً على أهله وأولاده، عابداً ربه في هدوء نفس وراحة بال، مؤدياً شعائر دينه بحرية تامة، يعطي ما عليه كاملاً، ويأخذ ما له وفياً، وبالتالي يعيش الجميع في سعادة حقيقية لا تدانيها سعادة.

السبب الرابع: العدل يجعل الإنسان يشعر بالانتماء الحقيقي لمجتمعه الذي يعيش فيه، وفي ظل هذا الانتماء يعيش المجتمع متيناً متماسكاً، شديداً على الأعداء، عصياً على المتربصين، لا يستطيع النيلَ منه بسهولة.

ومن هنا يجب على كل مسلم أن يحذر الظلم في أي مجال من مجالات الحياة؛ لأن عاقبته وخيمة، قال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: **93**].

وقال :{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: **42، 43**].

الحقيقة الرابعة: ما هو العدل؟ العدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه، من غير تفرقة بين شخص وشخص، ومحاسبة المسيء أو المقصر على قدر إساءته وتقصيره، من غير إعنات أو محاباة.

فالعدل عبارة عن معادلة مكونة من شطرين: الشطر الأول: إعطاء كل ذي حق حقه، الشطر الثاني: محاسبة المقصر على تقصيره.

قال :{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً} [الكهف: **86 - 89**].

إخوة الإســـلام:

لقد جعل الشرع الحنيف العدل متعدد المجالات، فتعالوا معي لنتعرف

على هذه المجالات:

أولاً: العدل بين الرعية:

إن الإسلام اهتم اهتماماً بالغاً بضرورة تطبيق العدل بين الرعية، ودعا الحاكم أو الإمام أو رئيس الدولة أن يلتزم بالعدل التام بين الناس، وألا يظلم أحداً منهم.

فالإمام العادل هو زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقِوَام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده.

واسمع معي إلى هذا التوجيه الإلهي لسيدنا داود حينما أمره المولى بإقامة العدل، فقال: **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}** [ص: **26**].

قال ابن كثير: هذه وصية من الله لولاة الأمور، أن يحكموا بين الناس بالحق المنزَّل من عنده، ولا يعدلوا عنه؛ فيضلوا عن سبيله، وقد توعد من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد، والعذاب الشديد.

واسمع إلى ما قاله المولى للرسول: **{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}** [الشورى: **15**].

ولقد أخبر الرسول بأن الإمام إذا طبق العدل، كما أمر الله، فإنه يكون في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.**

وأخبر الرسول أن الإمام العادل لا تُرد دعوته، فروى أحمد والبيهقي والترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.**

وفي نفس الوقت حذر الرسول الإمامَ من الظلم، وبين عاقبته الوخيمة، فروى أبو نعيم وأبو يعلى والطبراني أن الرسول قال:**أشد الناس يوم القيامة عذاباً، إمام جائر.**

وروى النسائي والبيهقي أن الرسول قال:**أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاَّف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر.**

ولقد ضرب لنا رسول الله والخلفاء الراشدون أروع الأمثلة في تطبيق العدل المطلق بين الرعية، وهناك نماذج من حياة الرسول ومن حياة الخلفاء الراشدين على تطبيق العدل بين الرعية، وهي ما يأتي:

النموذج الأول: روي أن النبي كان يعدل صفوف المسلمين في بدر، وفي يده قدح يعدل به الصفوف، فمر بسواد بن غزية، وهو ناتيء في الصف، فطعنه بالقدح، وقال:**استو يا سواد**، فقال يا رسول الله: أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق، فأقدني، أي: دعني أقتص منك.

فكشف الرسول عن بطنه، وقال:**استقد يا سواد**، فعانقه سواد، وقبَّل بطنه، فقال الرسول :**ما حملك على هذا يا سواد؟**، قال سواد: يا رسول الله، حضر ما ترى، فلم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له الرسول بخير.

النموذج الثاني: روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط عَنِ الْفَضْلِ بن عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ الله فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ، فَقَالَ:**خُذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ**، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:**صِحْ فِي النَّاسِ**، فَصِحْتُ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:**أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَهُ فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدَّ مِنْهُ، أَلا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدَّ مِنْهُ، أَلَا لا يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِّي أَخْشَى**

الشَّحْناءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ الله ، أَلا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلا مِنْ شَأْنِي، أَلا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ الله وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلا وَإِنِّي لا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي، حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا.

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ وَلا يَقُولُ فُضُوحَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلاثَةَ دَرَاهِمَ، قَالَ: أَمَا إِنَّا لا نُكَذِّبُ قَائِلاً، وَلا نَسْتَحْلِفُهُ، فَبِمَ صَارَتْ لَكَ عِنْدِي؟، قَالَ: تَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ مِسْكِينٌ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيْهِ يَا فَضْلُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: عِنْدِي ثَلاثَةُ دَرَاهِمَ كُنْتُ غَلَلْتُهَا فِي سَبِيلِ الله، قَالَ: وَلِمَ غَلَلْتَهَا؟، قَالَ: كُنْتُ إِلَيْهَا مُحْتَاجًا، قَالَ: خُذْهَا يَا فَضْلُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُو لَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَكَذَّابٌ، وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وَإِنِّي لَنَؤُومٌ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا، وَإِيمَانًا، وَأَذْهِبْ عَنْهُ النَّوْمَ إِذَا أَرَادَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَكَذَّابٌ، وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وَمَا شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلا وَقَدْ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا هَذَا، فَضَحْتَ نَفْسَكَ، فَقَالَ: مَهْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فُضُوحُ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا، وَإِيمَانًا، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى خَيْرٍ، فَكَلَّمَهُمْ عُمَرُ بِكَلِمَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله : عُمَرُ مَعِي وَأَنَا مَعَهُ، وَالْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ.

النموذج الثالث: روى البخاري ومسلم عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ الله وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله فَكَلَّمَ رَسُولَ الله ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا.

النموذج الرابع: روي أن سيدنا عمر بن الخطاب جاءه ذات مرة فتى من مصر مكروب، وهو يقول: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، ويقول له: إن محمد بن عمرو بن العاص قد أوجعه ضرباً؛ لأنه سابقه،

فسبقه، فعلا ظهره بالسوط، وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين.

وأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعو عمرو بن العاص وابنه محمداً، قال أنس بن مالك : فوالله إنا لجلوس عند عمر ، وإذ عمرو بن العاص يقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت باحثاً عن ابنه محمد، فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين، فقال عمر : خذ الدرة واضرب بها ابن الأكرمين، يقول أنس: فضربه حتى أثخنه، ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع، من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال عمر بن الخطاب: أجلها على صلعة عمرو، فو الله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت، واشتفيت، وضربت من ضربني، فقال عمر بن الخطاب: أما والله لو ضربته، ما حلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعه.

ثم التفت إلى عمرو بن العاص، وقال: يا عمرو متى تعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ والتفت إلى المصري، وقال له: انصرف راشداً، فإن رابك، فاكتب إلي.

هذا هو العدل مع الرعية، فهذا عمرو بن العاص صحابي من شيوخ الصحابة، وحاكم إقليم من أكبر أقاليم الفتح الإسلامي، ولا ينجو ولدُه من العقوبة، بل كادت العقوبة تدرك عمرو بن العاص نفسه، لولا عفو صاحب الحق.

وبهذا العدل المطلق بين الرعية استطاع المسلمون الأوائل أن يقهروا أعظم قوتين في الأرض آنذاك، قوة الفرس وقوة الروم.

النموذج الخامس: روي أن عليّ بن أبي طالب افتقد درعًا له، ثم ما لبث أن وجدها عند رجل من أهل الذمة يبيعها في السوق، فلما رآها علي عرفها، وقال: هذه درعي سقطت عن جمل لي، في ليلة كذا، فقال الذمي: بل هي درعي، وفي يدي يا أمير المؤمنين.

فقال علي بن أبي طالب : إنما هي درعي لم أبعها، ولم أهبها لأحد، فقال الذمي: بيني وبينك القضاء، فقال علي بن أبي طالب أنصفتَّ، فهلم

إليه.

فذهبا إلى شريح القاضي، فقال له: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال علي ابن أبي طالب : لقد وجدتُّ درعي هذه مع هذا الرجل، وقد سقطت مني في ليلة كذا، أو في مكان كذا، وهي لم تصل إليه لا ببيع ولا هبة، فقال شريح: وماذا تقول أيها الرجل؟ قال الرجل: الدرع درعي، وهي في يدي، ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب، فقال شريح لعلي : لكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه، والحسن ابنه، وشهدا بأنها درعه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها، فقال علي ابن أبي طالب : يا سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله :**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**.

فقال شريح: اللهم نعم، غير أني لا أجيز شهادة الولد لوالده، عند ذلك التفت علي إلى الذمي، وقال: خذها، فليس عندي شاهد غيرهما.

فقال الذمي: ولكني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين، ثم قال: يا الله!! أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه، وقاضيه يقضي لي عليه، أشهد أن هذا الدين يأمر بالحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

* * *

العدل بين الأولاد

أسبـاب نـعيم القبـر

العــدل بـين الأولاد

الحمد لله رب العالمين: خلق الإنسان من سلالة من طين، وجعله بقدرته نطفةً في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة، فخلق العلقة مضغة، فخلق المضغة عظاماً، فكسا العظام باللحم والجلد المتين، وجعل وجهه إلى ظهر أمه، يتنفس ما بين الركبتين والقلب الحنون، وجعل شهوته إلى قلبها، فإذا اشتهى شيئاً، وصل إليه بلا معين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

سبحانه: جعل الدنيا دارَ متاعٍ قليل، وجعل الآخرةَ دار القرار، فقال : **{يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ}** [غافر: 39].

وقال :**{وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}** [العنكبوت: **64**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمرنا بالعدل المطلق، فقال : **{إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالـمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل: **90**].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن من اتصف بالعدل في الدنيا، سيجلس يوم القيامة على منبر من نور عن يمين الله ، فروى مسلم أن الرسول قال: **(إِنَّ الـمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الـرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا)**.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **العدل بين الأولاد،** فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على

بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الله الذي يعطى الذرية لمن يشاء من عباده الذكور فقط، كما يعطى الذرية لمن يشاء من عباده الإناث فقط، وقد يخلط بين النوعين، وقد يمنعُ الإنجابَ على الإطلاق، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى: **49، 50**].

ولقد جعل الأولاد تارة زينة الحياة الدنيا، فقال :{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} [الكهف: **46**].

وكما جعلهم تارة أخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم، فقال :{وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً} [الإسراء: **6**].

وجعلهم تارة أخرى قرة أعين؛ إذا كانوا سالكين مسلك المتقين، فقال : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} [الفرقان: **74**].

وكما جعلهم تارة أخرى فتنة وابتلاءً، وحذرنا منها، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواًّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن: **14**].

ولا يغيب عن الجميع ما فعله الخضر في الغلام الذي قتله، واستنكر عليه سيدنا موسى هذا العمل، فقال :{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً} [الكهف: **74**].

فأراد الخضر أن يبين له حقيقة هذا الغلام، وأنه لا يستحق الحياة؛ لأنه سيكون فتنة لوالديه، وسيكون سبباً في كفرهم بالله ، فقال :{وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً} [الكهف: **80، 81**].

الحقيقة الثانية: إن الشرع الحنيف حمَّل الأب والأم المسئولية الكاملة عن الأولاد، فالأولاد أيا كان نوعهم مسؤولية كبيرة، وأمانة عظيمة، سَيُسْأَلُ العبدُ عنها يوم القيامة، هل فرَّط فيها، أم أداها كاملة، ولقد أشار

المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: **6**].

وأشار الرسول أيضاً إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن الرسول قال:**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ رَسُولِ الله وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ قَالَ:**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**.

وروى الترمذي وابن حبان أن الرسول قال:**إن الله سائل كل ذي رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم، أم أضاعه، حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته**.

فالواجب على كل مسلم أن يراعي هذه الأمانة، ويقوم بأدائها على أكمل وجه، وإن التفريط في هذه الأمانة يعرض الإنسان إلى العذاب الأليم يوم القيامة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ما مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**.

فإياك أخي المسلم أن تكون من الذين فرضوا في هذه المسؤولية الموكلة إليهم، وخانوا هذه الأمانة وضيعوها، فإن ذلك يعرضك لغضب المنتقم الجبار.

الحقيقة الثالثة: إن الشرع الحنيف ألزم كل مسلم بطاعة الله وطاعة الرسول في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فطاعة الله وطاعة رسوله في كل مجالات الحياة أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ.

وهذه الحقيقة ترد على من يزعم أن له مطلق الحرية في ماله وأولاده، فيفعل فيهما ما يشاء، أو كما يروق له، ولكن الأمر ليس كذلك، فالمسلم فينا لا يكمل إيمانه ولا يصح، إلا إذا التزم بمنهج الله ومنهج الرسول في ماله وأولاده.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

وقال :{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} [النور: 51].

وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام عند الرسول في شراج الحرة (مسايل الماء، والحرة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء) التي كانوا يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يَمُرُّ، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله .

فقال رسول الله للزبير:**اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك**، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك!، فتلون وجه الرسول ثم قال:**يا زبير اسق، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجِدْرِ**، (وجمعه جُدر، والمراد به بالجدر أصل الحائط).

فقال الزبير : والله إني لأحسِب هذه الآية نزلت في ذلك:{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء65].

فلقد جعل الشارع الحنيف الطاعة من مقتضيات الإيمان الكامل، فإيماننا لا يكمل بل لا يصح إلا إذا حققنا منهج الطاعة لله ولرسوله ، فقال :{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 64، 65].

فالواجب على كل أب أن يلتزم بمنهج الله ومنهج الرسول ، في معاملته لأولاده، ويحقق فيهم منهج السمع والطاعة.

الحقيقة الرابعة: إن الشرع الحنيف جعل مراقبة الله أمراً مفروضاً على كل مسلم ومسلمة، فالكل سواء أمام هذا الواجب، وهذه الحقيقة ترد

على الآباء الذين يتحايلون على شرع الله ، ويقومون بأعمال مشبوهةٍ شرعاً، من أجل إعطاء أحد أبنائه عطية دون غيره، فيعطي الأبُ أحدَ أبنائه عطية في صورة بيع، وهي ليست بيعاً في الحقيقة، وذلك كالهبة المستترة.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم أن الرسول قال:**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.**

فالواجب على كل مسلم أن يراقب المولى في السر والعلانية؛ لأن مراقبة الله تمنع الإنسان أن يخالف أمره، أو أن يشذ عن الحق، ولقد حثنا القرآن على مراقبة الله ، فقال :**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}** [النساء: 1].

وقال :**{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}** [لقمان: 16].

ولقد حقق سيدنا يوسف مراقبة الله على أكمل وجه، فكانت سبباً في نجاته من الوقع في المعصية، اقرأ معي قول الله :**{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}** [يوسف: 22 - 24].

ولقد طبق سلفنا الصالح مراقبة الله كما أمر الشرع الحنيف، فكانت لهم حرزاً من الوقع في المعصية، فعاشوا في الدنيا سعداء، وماتوا كرماء، وأورثهم ربهم جنة عرضها السموات والأرض، يقول عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق - نزلنا للراحة - فانحدر علينا راع من الجبل، فقال عمر بن الخطاب : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذا الغنم، فقال: إني مملوك، فقال له عمر بن الخطاب : قل لسيدك أكلها الذئب، فقال العبد: فأين الله؟

فبكى عمر بن الخطاب ، وأخذ يقول: فأين الله ؟ ثم غدا إلى سيد

الراعي، فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمـة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وأراد أحد سلفنا الصالح أن يعلم تلاميذه كيفية مراقبة الله ، فـأمر كل تلميذ من تلاميذه أن يُحضِر دجاجة، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كل واحد منهم دجاجتـه، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لما لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما ارتحلت، وحيثما اتجهت وجدت أن الله مطلع عليَّ ويراني.

ثم قرأ قول الله : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7].

فالواجب على كل مسلم يريد أن يجعل لنفسه حرزاً من المعصية، أن يراقب الله في السر والعلانية، حتى يبتعد عن المعصية، وبكون في معية الله .

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الشرع الحنيف اهتماماً بالغاً بضرورة العدل بين الأولاد، فلقد وضع الشرع الحنيف ضوابط متعددة لتحقيق العدل بين الأولاد، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط.

أولاً: وجوب العدل بين الأولاد في كل شيء:

فالله جعل العدل بين الأولاد أمراً واجباً، وفريضة محتمة، وجعله غير مقصور على جانب واحد، وبين ذلك في قرآنه، فقال : {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152].

وقال : {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: **90**].

ولقد بين لنا الرسول أيضاً أن العدل بين الأولاد أمراً واجباً، فروى البيهقي والطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:**سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَدًا، لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ**.

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا أن الرسول قال:**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي النُّحْلِ، كَمَا تُحِبُّون أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ**.

وروي أن الحسن قال: بينما رسول الله يحدث أصحابه حديثاً، إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه، وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها، وأقعدها في الأرض، فقال الرسول :**فهلا على فخذك الأخرى**.

ففي هذا التوجيه من رسول الله دلالة واضحة إلى وجوب العدل بين الأولاد في كل شيء، حتى ولو كان هذا الشيء من الأمور اليسيرة.

ثانياً: القرن بين التقوى والتسوية بين الأولاد:

فالرسول قرن في الأمر بين تقوى الله وبين التسوية بين الأولاد، وذلك ليدل على أهمية العدل بين الأولاد، وأن المسلم لا يستطيع أن يحقق التقوى كاملة، إلا إذا حقق العدل بين الأولاد، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي قال:**اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم**.

ثالثاً: النهي عن الشهادة في العطية الجور:

فالرسول أعطى لنا أروع الأمثلة في عدم الشهادة على العطية التي فيها جور، فقد رفض أن يشهد على عطية أحد الآباء لأبنائه، ورفضه لهذه الشهادة دليل على اهتمام الشرع الحنيف بوجوب العدل بين الأولاد في العطية، فروى البخاري ومسلم عن النعمان بن البشير قال: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَا لَهُ، فَوَهَبَهَا لِي، وَإِنَّهَا قَالَتْ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله عَلَى مَا وَهَبْتَّ لاِبْنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلاَمٌ، فَأَتَى بِي النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أُمَّ هَذَا ابْنَةُ رَوَاحَةَ قَاتَلَتْنِي مُنْذُ سَنَةً عَلَى بَعْضِ الْمَوْهِبَةِ لاِبْنِي هَذَا، وَقَدْ بَدَا لِي، فَوَهَبْتُهَا لَهُ، وَقَدْ أَعْجَبَهَا أَنْ تُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَقَالَ:**يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى وَلَدِكَ هَذَا؟**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ :**فَلاَ تُشْهِدْنِي**، أَوْ قَالَ:**لاَ أَشْهَدُ عَلَى**

جَوْرٍ.

وفي رواية أحمد في المسند أن الرسول قال: **إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم، فلا تشهدني على جور، أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟** قال: بلى، قال: **فلا إذاً.**

وفي رواية أبي داود أن الرسول قال: **إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك.**

فالرسول اعتبر ما فعله والد النعمان من باب الظلم، وإن الشهادة عليه يعتبر من باب شهادة الزور، ولقد حذرنا الشرع منها، فالقرآن الكريم جعلها تساوي الشرك بالله في الإثم، فقال: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}** [الحج: 30].

ففي هذه الآية قرن الله شهادة الزور بعبادة الأوثان، وذلك دلالة على خطورة شهادة الزور، وكذلك سوى الرسول بين شهادة الزور والشرك بالله، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال: **أيها الناس: عَدَلَت شهادةُ الزور إشراكاً بالله**، ثم قرأ الرسول قول الله: **{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}** [الحج: 30].

وبين الرسول أن شهادة الزور من أكبر الكبائر، فروى البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: كنا عند رسول الله فقال: **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر،** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: **ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور**، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

وتعتبر الشهادة على هذا الصنيع من باب إعانة الظالم على ظلمه، ولقد حذرنا المولى من ذلك، فقال: **{وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}** [هود: 113].

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال: **مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ.**

ويعتبر هذا العمل من باب التعاون على الإثم والعدوان، وقد حذرنا الله منه، فقال: **{وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ**

العِقَابِ} [المائدة: 2].

وقال العلماء: يجب الإنكار على من خالف، ففضل بعض أولاده على بعضهم في الهبة؛ لأنه حيف وظلم، وتأسياً بما فعله الرسول مع والد النعمان.

رابعاً: جواز التفضيل في العطية لمسوغ شرعي:

فإذا كان التفضيل له مسوغ شرعي كأن تقوم حاجة الأولاد لم تقم بالآخرين، كمرض، أو ديْن عليه، أو مكافأة له على حفظه للقرآن مثلاً، أو طالب علم متفرغ، فلا حرج في ذلك، ولكن على الوالد أن ينوي إذا أعطى أحداً من أولاده لسبب شرعي، أنه لو قام بولد آخر مثل حاجة الذي أعطاه، أنه سيعطيه كما أعطى الأول.

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق مع السيدة عائشة فروى عروة عن عائشة قالت: كان أبو بكر نحلني جذاذ عشرين وسقا من ماله.

وفعل ذلك عمر بن الخطاب مع ابنه عاصم، وفعل عبد الرحمن بن عوف مع ابن له من أم كلثوم، وفعل ذلك عبد الله بن عمر مع ابن له.

خامساً: جعل الشرع فرقاً بين النفقة والعطية:

فهناك فرق بين الإنفاق والعطية، فالإنفاق واجب على الوالد تجاه أولاده، وليس بشرط أن يعدل بينهم في الإنفاق، فقد يحتاج أحدهم إلى أكثر مما يحتاجه الآخرين، فمثلاً قد يكون أحدهم طالباً في الجامعة، والآخرين في الابتدائي، أو التعليم المتوسط، فلا شك أن طالب الجامعة يحتاج من المصاريف أكثر مما يحتاجه من هو أقل منه تعليماً، وقد يكون أحدهم طويلاً والآخر قصيراً، فيحتاج الطويل إلى أكثر مما يحتاجه القصير، فلا يلزم التسوية بينهم في ذلك؛ لأن هذا من قبيل الإنفاق، وليس من جهة العطية والهبة.

سادساً: أباح الشرع للوالد الرجوع في العطية:

فعلى الأب الذي خص بعض أولاده بعطية أن يرجع في عطيته، ولا يعتبر في هذه الحالة داخلاً في النهي عن استرداد العطية، وتشبيه الفاعل بالكلب يعود في قيئه؛ لما رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه أن الرسول

قال: **لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً، أَوْ يَهَبَ هِبَةً، فَيَرْجِعَ فِيهَا، إِلاَّ الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا، كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ، فَإِذَا شَبِعَ قَاءَ، ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ.**

وهذا ما فعله أبو بكر مع السيدة عائشة وذلك حين حضرت الوفاة أبا بكر قال لعائشة (رضي الله عهنا): يا بنية، إن أحب الناس غنى بعدى لأنت، وإن أعز الناس عليَّ فقراً بعدى لأنت، وأني كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقاً من مالي، ووددت أنك جذذته وحزته، وإنما هو اليوم مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، قالت: هذان أخواي، فمن أختاي، قال: ذو بطن بنت خارجه، فإني أظنها جارية.

سابعاً: أمر الله الآباء بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار:

وهذا لن يتأتى إلا بأمور كثيرة، من أهمها: تحقيق العدل المطلق بين الأولاد، فقال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم: 6].

ثامناً: وجوب المحبة بين الأولاد:

وهذا لن يتأتى إلا بالعدل في العطية بينهم، فالعدل في العطية من شأنه أن يحقق الأخوة والتعاون والمحبة بين الأولاد، أما الجور في العطية يكون سبباً في الهجر والشقاق بين الأولاد، وهذا منهي عنه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ.**

إخوة الإسـلام:

تعالوا معي لنتعرف على الدوافع التي تدفع الوالدين أو أحدَهَما إلى عدم العدل في العطية بين الأولاد، فهناك دوافع كثيرة تحمل على هذا العمل البغيض، منها ما يلي:

أولاً: اتباع الهـوى:

فالأب الذي لا يعدل بين أولاده في العطية قد اتبع هواه، وانحرف عن منهج الله ، والله قد حذرنا من اتباع الهوى؛ لأن اتباع الهوى يؤدي

بالإنسان إلى الانحراف عن منهج الله ، فقال:{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ} [المؤمنون: **71**].

وقال :{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ الله أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: **23**].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل بين الله العذاب الذي أعده لمن انحرف عن المنهج واتبع هواه، فقال :{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 123 - 127].

وقال :{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: 15، 16].

وقال :{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [النساء: 115].

ثانياً: معصية الله :

فعدم الطاعة لأوامر الله ، سبب في عدم العدل في العطية بين الأولاد، ولقد حذرنا الله من معصيته ، فقال:{وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14].

وقال ﷻ:{وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [الجن: 23].

ولقد وجه الله إنذاراً شديدَ اللهجة لكل من تُسول له نفسُه الانحرافَ عن طاعة الله ورسوله ، فقال :{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا الله يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا

قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَـاتٍ لِّيُخْـرِجَ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِـالله وَيَعْمَـلْ صَـالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَـنَ الله لَـهُ رِزْقـاً} [الطلاق: 8 - 11].

ثالثاً: عدم مراقبة الله :

فالإنسان إذا غفل عن مراقبة الله يعمل ما يحلو له، ولا يهمه هل ما فعله موافق لشرع الله أم لا؟ فماذا يقول الغافل عن مراقبة الله ، حينما يسأله المولى عن سبب عدم العدل في العطية بين أولاده؟

فإذا أنكر الظالم ما فعله، أمر الله الشهود لتشهد عليه، **وأول شـاهد يشهد على الإنسان يوم القيامة هو:** الأرض، التي نمشي عليها، ونأكل منها، وننام عليها، فقال :{إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَـهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَـهَا * وَقَـالَ الإِنسَـانُ مَـا لَــهَا * يَوْمَئِـذٍ تُحَـدِّثُ أَخْبَارَهَـا * بِـأَنَّ رَبَّـكَ أَوْحَـى لَـهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَـهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَـيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ} [الزلزلة: **1 - 8**].

وأما الشاهد الثاني هو: الملائكة، الذين يكتبون علـى الجميع أعمـالهم، ويسجلون على الكل الحسنات والسيئات، فقال :{أَمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّـا لاَ نَسْـمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: **80**].

وقـال :{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامـاً كَـاتِبِينَ * يَعْلَمُـونَ مَـا تَفْعَلُـونَ} [الانفطار: **10 - 12**].

وأما الشاهد الثالث هو: الجوارح، التي هي من نعم الله على الجميع، فقال :{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْـدِيهِمْ وَتَشْـهَدُ أَرْجُلُهُـم بِـمَا كَـانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: **65**].

وقال :{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا الله الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُـمْ فَأَصْـبَحْتُم مِّـنَ الخَـاسِرِينَ * فَـإِن

يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت: 20 - 24].

وأما الشاهد الرابع هو: الله ، فقال :{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].

رابعاً: العقوق للوالدين:

فعندما يقوم الابن منا بعقوق والديه، يقوم الأب بمعاقبة ابنه العاق، فيحرمه من العطية، بحجة أنه عاق له، فالعقوق لا يُجَوِّز الجور في العطية بين الأولاد، فقال :{آبَاؤُكُمْ وَأَبنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 11].

ولذلك يقال: العقوق لا يمنع الحقوق.

خامساً: الاستهانة بعقوبة الله للظالم:

فالإنسان منا عندما يستهين بعقاب الله ، يفعل ما يروق له، حتى ولو كان هذا الفعل مخالفاً لمنهج الله ، ومنهج الرسول ، فالله لا يغفل البتة عما يعمله الظالم، وليس مهمِلاً له، وليس تاركاً لعقابه، بل يحصي ذلك عليه ويعده عداً، انطلاقاً من قوله :{فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم: 84].

واسمع معي إلى ما أعده الله من عذاب للظالم، فقال:{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم: 42 - 50].

وقال :{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: 13].

وقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ

الْـحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93].

سادساً: أن يكون الولد من غير الجنس المرغوب فيه:

وذلك بأن يكون أنثى، فلا يحب الذكر دون الأنثى، وما ذنب الولد إذا جاء أنثى، هل كونه أنثى يبيح للأب أن يحيف في عطيته للأولاد، ويتحجج الأب بحجج واهية، فإذا عتبت على أي إنسان يفعل هذا العمل القبيح، بادرك بالقول: كيف أجمع المال وأتعب فيه، ويأتي رجل ليس من جنسي ويأخذ هذا المال؟ فيقوم هذا الأب بظلم ابنته.

وقد يكون ظلم البنت في العطية سبباً في طلاقها، وقد يكون سبباً في وجود الخلاف والنزاع والشقاق بين الأخت وأخواتها الذكور، وهذا واضح كل الوضوح والواقع الذي نعيش فيه.

وإذا نظرنا إلى الشرع الحنيف نجد أن الرسول أوصانا بالبنات، فروى البخاري وأحمد واللفظ له، أن الرسول قال:**مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ سِتْرًا لَهُ مِنْ النَّارِ**.

وروى البيهقي والطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:**سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَدًا، لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ**.

وروى أحمد وأبو داود أن الرسول قال:**مَنْ عَالَ ثَلاَثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْـجَنَّةُ**.

فالواجب على كل مسلم أن يعدل بين أولاده، ولا يتحجج بحجج واهية، فإن هذا لا ينفعه يوم القيامة، اقرأ معي قول الله :**{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَـهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَـهُمْ سُوءُ الدَّارِ}** [غافر: **52**].

* * *

الصبر على الابتلاء

أسبـاب نـعيم القبـر

الصبر على الابتلاء

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :**{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِالله}** [النحل: 127]

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لنا في قرآنه أن الابتلاء في الدنيا أمر محتوم، فقال :**{الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ}** [العنكبوت: 1 - 3]

وأشهد أن سيدنا محمداً بين لنا فضل الصبر على الابتلاء، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ما يُصيبُ المؤمنُ من وصَب** (المرض) **ولا نَصَب** (التعب) **ولا سقَم** (الآلام) **ولا حزن، حتى الهمَّ يَهُمُّهُ إلا كفر به من سيئاته.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً مع الدرس الثاني من الدروس المستفادة من الصوم، ألا وهو الصبر، وكنا في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصبر على الطاعة، واليوم نكمل المسيرة ولكن مع مجال آخر من مجالات الصبر، ألا وهو: الصبر على الابتلاء.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا عرضة للابتلاء والاختبار، عرضة لنوازل الدهر وهجوم الأحداث، عرضة للفقر والمرض، عرضة للهم والحزن والتعب، عرضة لنقص في الأموال والأنفس والثمرات.

فهذا هو شأن الدنيا وحالها، لا تعطي إلا لتأخذ، ولا تلمع فيها بوارق الأمل لحظة إلا وتتبعها سحب الآلام والأسقام، إن أضحكت يوماً أبكت أياماً، وإن أحسنت ساعة أساءت ساعات، فما أكثر همومها وشقاءها، وما أعظم كروبها وبلاؤها.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**}[البقرة: 155].

وقال :{**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**} [محمد: 31].

فالابتلاء في الدنيا أمر محتوم، فكل إنسان في هذه الحياة معرض للابتلاء لا محالة، فلا راحة من الابتلاء إلا إذا منَّ الله عليك بدخول الجنة، وصدق الله إذ يقول:{**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ**} [العنكبوت: 1 - 3].

قال ابن القيم: سأل رجلٌ الشافعي، فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يُمكَّنَ فيَشكرَ الله ، أو يُبتلى بالشر فيصبر؟ فقال الشافعي: لا يُمكنُ حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً فلما صبروا مكنهم الله ، فلا يظن أحدٌ أن يَخْلُصَ من الألم البتة.

الحقيقة الثانية: إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، فروى مسلم أن الرسول قال:**كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء.**

وقال :{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 22، 23].

وما دام الأمر كذلك، ولا يستطيع أي فرد فينا أن يغير شيئاً من قدر الله ، فلا بد من الصبر حلواً كان أو مراً؛ ليبقى لك الثواب.

فكل إنسان فينا في حاجة شديدة إلى الصبر؛ ليتسلح به ويحميَه عند النوازل، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [آل عمران: 186].

يقول الغزالي: إن الصبر خاصيةُ الإنسان، ولا يتصور ذلك في البهائم ولا في الملائكة، أما البهائم فلنقصانها، أما الملائكة فلكمالها.

فالصبر على الابتلاء رحمةٌ من الله أنزله الله في قلوب أهل الإيمان، فهو مفتاح كل خير، ودواء لكل داء، ولولاه لهلك الناس جميعاً، واختلطت الأعمال، وخربت الدنيا، وهان على الناس التخلص من الحياة، واعترضوا على القضاء، وتبرموا من القدر، وكفروا برب العالمين.

واسمع معي إلى المولى وهو يشير إلى هذا فيقول في الحديث القدسي:**ثلاث أشياء وسعت بها عليكم أرزاقكم: الأولى سلطت السوس على الحب، ولولا ذلك لكنزه الأغنياء عنكم، والثانية: سلطت العفن على أجسادكم، ولولا ذلك ما دفن حبيب حبيبه، ولا ألو رحم رحمه، والثالثة: سلطت الصبر، ولولا أني أنسي أهل الأحزان أحزانهم، ما نسوا من بكوا عليهم** فالصبر نعمة من الله لعباده، ينعم الله به على من شاء من عباده.

الحقيقة الثالثة: إن الصبر على الابتلاء من أعلى مقامات الصبر، قال ابن عباس : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله ، فله ثلاثمائة درجة، وصبر عن محارم الله ، فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، فله تسعمائة درجة.

وإنما كان الصبر على الابتلاء من أعلى مقامات الصبر؛ لأنه شديد على النفس، فلا يقدر عليه إلا الأنبياء ومن نهج نهجهم، ولأنه بضاعة

الصديقين، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري دخل على رسول الله وهو موعوك (محموم) عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشد حُمَّاك يا رسول الله؟! قال :**إنا كذلك يُشدد علينا البلاءُ، ويُضاعف لنا الأجر** ثم قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال :**الأنبياء** قال: ثم من؟ قال :**العلماء** قال: ثم من؟ قال :**الصالحون، وكان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله، ويُبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء.**

ولذلك كان الرسول يدعو الله أن يرزقه الصبر على الابتلاء، فروى الترمذي والنسائي والحاكم، أن الرسول قال:**أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا.**

الحقيقة الرابعة: ما هو الصبر على الابتلاء؟ الصبر هو: أن يرضى الإنسان بقضاء الله وقدره، دون سخط أو اعتراض أو تذمر.

وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله ؛ فالشكوى لله لا تتعارض مع الصبر، لأن الله أثنى على عبده أيوب بالصبر، فقال :**{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص44].

مع أنه دعا ربه أن يكشف عنه الضر، فقال :**{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** [الأنبياء: 83].

فيفهم من هذا: أن العبد إذا دعا الله في كشف الضر عنه، لا يقدح في صبره.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الصبر على الابتلاء.

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بالصبر على الابتلاء، وحثنا عليه جميعاً؛ لأن الحياة لن يكون لها طعم إلا بالصبر على الابتلاء، ولا يشعر الإنسان بالسعادة في الدنيا إلا به.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله أمرنا أن نتخلق بخلق

الصبر عند الابتلاء.

ففي سورة البقرة نجد أن الله يأمرنا بالصبر على الابتلاء قبل وقوعه، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 153 - 157].

ويقول :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200].

وفي آية أخرى يبين الله أن الجنة لن يدخلها إلا من تخلق بخلق الصبر على الابتلاء، فقال :{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلاَ إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} [البقرة: 214].

ويقول :{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 142].

وفي آية أخرى يبن الله أن من يصبر على الابتلاء لا يضره شيء، فقال :{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: 120].

ولم يكن الصبر على الابتلاء مفروضاً على أمة الرسول فقط، بل فرضه الله على كل الأمم، وعلى الأنبياء والمرسلين.

فهذا سيدنا إسماعيل تخلق بخلق الصبر وبالتحديد في أصعب المواقف، فقال :{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: 102].

وهذا سيدنا يعقوب قال الله في شأنه:{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

[يوسف: 18].

وهذا سيدنا موسى يأمر قومه بالصبر، فقال :{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128].

وهذا سيدنا أيوب قال الله في شأنه:{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 44].

وهذا سيدنا محمدٌ أمره الله بالصبر، فقال :{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ} [الأحقاف: 35].

وقال :{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} [القلم: 48] إلى غير ذلك من الآيات التي تحثنا جميعاً على الصبر.

وجاءت السنة النبوية تحثنا جميعاً على الصبر، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء فشكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر، كان خيراً له.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من سيرة الرسول ومن حياة سلفنا الصلح لنتعلم كيف يكون الصبر على الابتلاء.

النموذج الأول: رزق الله سيدنا الرسول إبراهيم بعد شوق طويل إلى الولد، ففرح به أعظم الفرح، ووجد فيه الرسول عوضاً عمن فقده، وتمنى الرسول أن يبقيه الله ليسعد به في شيخوخته، وليكون له عَقِباً وذكرى.

ولكن إبراهيم لم يبلغ ستة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، حتى مرض، فلما كان في الاحتضار أُخْبِر الرسول فاعتمد على عبد الرحمن ابن عوف لشدة ألمه، فقام الرسول ومشي حتى رأى إبراهيم في حجر أمه، وهو يُصَعِّدُ آخر أنفاسه، فوضعه في حجره، والحزن يعتصر قلبه

العظيم، وقال:**إنا يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً** ثم صمت وبكى، فلما أيقن الرسول أن إبراهيم قد ودع الحياة، سال الدمع من عينيه وهو يقول:**يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وإن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزِنا عليك أشد من هذا.**

فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله؟ فقال :**يا ابن عوف: إنها رحمة** ثم أتبعها عبد الرحمن بن عوف بأخرى، فقال الرسول :**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون.**

فالرسول كان قد بلغ الستين من عمره وهو يشيع ابنه الحبيب، شاعراً بفداحة الخطب، لكنه راضٍ بقضاء الله ، صابر لما أراد، حتى أن الرسول قال للجبل الذي دفن فيه ولده:**يا جبل: لو كان بك مثل ما بي لهدك، ولكن: إنا لله وإنا إليه راجعون.**

فالواجب على المسلم أن يتأسى بالرسول عند الابتلاء، وبالأخص عند فقد الولد، أو عزيز لديه، وعلى المسلم أن يلتزم بهدي الرسول عند الابتلاء، فروى أبو داود عن أم سلمة قالت: سمعت الرسول يقول:**ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها.**

وروى الترمذي أن الرسول قال:**إذا مات ولدُ العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول : ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه: بيت الحمد.**

النموذج الثاني: وهو لسيدنا عروة بن الزبير، قال ابن القيم: قدم عروة ابن الزبير على الوليد بن عبد الملك، ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهاً، فدخل يوماً على الوليد في ثياب وشي (أي معلمة ومخططة) وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعانه (أي حسده) فخرج من عنده، فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة،

فبعث الوليد إليه بالأطباء، فقالوا: إن لم نقطعها سرتْ إلى باقي الجسد فتهلك، فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة، وضع رأسه على الوسادة، فغُشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدَّر على وجهه، وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقبلها في يده، ثم قال: أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم إني ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضي
الله ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قضيفة، ثم بُعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة، تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه، فجعل يقول كما قال المولى :{لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً} [الكهف: 62] ولم يزد، ثم أنه قال: إن سلبتَ فلطالما أعطيتَ، وإن أخذتَ فطالما أبقيتَ، وأبقيتَ لنا فيك الأملَ، يا برُ يا وصولُ.

النموذج الثالث: روى البخاري عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت الرسول فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال :**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك.**

فقالت: أصبر، ولكني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها الرسول بذلك.

فاقتد بهم أخي المسلم واصبر على الابتلاء، فإن الفرج من الله ، ولله در من قال:

يا صاحب الهم، إن الهم منفرج	:::	**أبشر بقرب فإن الفارج الله**
إذا بليت فثق بالله وارض به	:::	**إن الذي يكشف البلوى هو الله**
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته	:::	**ما لمرء حيلة فيما قضى الله**
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	:::	**لا تجزعن فإن الكافي الله**
والله مالك غير الله من أحد	:::	**فقل بقلب سليم حسبي الله**

والصبر على الابتلاء يكون عند الصدمة الأولى، روى البخاري وأحمد عن أنس بن مالك : أن الرسول أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها:**اتقي الله واصبري** فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب، قيل

لها: إنه رسول الله ، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: يا سول الله لم أعرفك، فقال :**إنما الصبر عند الصدمة الأولى.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على الصبر على الابتلاء:

أولاً: الرحمة والهداية من الله :

قال :{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ * أُوْلَئِـكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 156، 157].

ثانياً: البشرى من الله :

قال :{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّـنْ بَهِيمَـةِ الأَنْعَامِ فَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْـمُقِيمِي الصَّـلاةِ وَمِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ يُنفِقُـونَ} [الحج: 34، 35].

ثالثاً: عدم إضاعة العمل:

قال :{قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنـتُمْ جَـاهِلُونَ * قَـالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ الله عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 89، 90].

رابعاً: المعية:

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّـابِرِينَ} [البقرة: **153**] وهذه المعية منه تتضمن حفظهم ورعايتهم، وتأييدهم بنصره، وحمايته لهم.

خامساً: نيل الأجر بلا حدود:

قال :{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

سادساً: تسليم الملائكة عليهم في الجنة:

قال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْـحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَـهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم

مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 22 - 24].

سابعاً: نيل الدرجات العلا في الجنة:

قال : {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً} [الإنسان: 12 - 24].

ثامناً: محبة الله لهم:

قال : {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146].

* * *

الصبر على الطاعة

أسبـاب نـعيم القبـر

الصبر على الطاعة

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

سبحانه: جعل الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال :{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بين لنا في قرآنه ما أعده للصابرين، فقال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 22 - 24]

وأشهد أن سيدنا محمداً بين لنا أن الصوم نصف الصبر، فروى الترمذي أن الرسول قال:التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والصوم نصف الصبر، والطهور نصف الإيمان.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم مع الدرس الثاني المستفاد من الصيام، هذا الدرس الذي معنا اليوم، لن يستطيع الإنسان أن يحقق العبادة لله إلا به، أتدرون ما هو هذا الدرس الذي نعيش معه اليوم؟ إنه الصبر، هذا الدرس مستفاد من قول الرسول :... والصوم نصف الصبر.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: لماذا خلقنا الله ؟ هل خلقنا لنأكل ونشرب وفقط؟ هل خلقنا لنبحث عن المجد والشهرة والمال؟ هل خلقنا لنلعب ونلهو؟ هل خلقنا لنتمتع بزينة الدنيا وفقط؟ أم خلقنا بدون هدف، كما يخيل لبعض الناس، قال :**{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}** [المؤمنون: 115، 116] لا والله، إن الله خلقنا لغاية واحدة، ألا وهي تحقيق العبودية لله ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}** [الذاريات: 56 - 58].

وقال الله في الحديث القدسي:**يا عبادي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولأستعين بكم على عمل عجزت عن فعله، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولكن خلقتكم كي تعبدوني طويلا، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرة وأصيلا.**

الحقيقة الثانية: إن الإنسان العاقل هو الذي يعلم أن عمره في الدنيا محدود، وأنفاسه في هذه الدار معدودة، وعمله محسوب له أو عليه، وأن الموت نهايته، وأن القبر بيته، وأنه يوجد هناك سؤال منكر ومنكير، وأن القيامة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجميع يعرض على الله للحساب، وأن هناك جنة أو نار كما يريد الواحد القهار، فما النجاة من هذه الأهوال كلها؟

النجاة تكمن أو تتمثل في طاعة الله وطاعة رسوله ، فالسعيد من أطاع الله ورسوله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال : **{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** [النساء: 13].

وقال :**{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [النور: 55].

وقال في الحديث القدسي:**يا عبادي إني أتممت عليكم نعمتي، وأرسلت إليكم الرسل الكرام لتعرفوا أحكام شريعتي، فلماذا تعرضون عني وأنا الغني الكريم، فوعزتي وجلالي لو أطعتموني لنصرتكم على أعدائكم، ولو استعنتم بي في الشدائد لأعنتكم، ولكنكم عصيتموني فأعرضت عنكم، فوقعتم في الذل والعذاب المهين.**

الحقيقة الثالثة: ما هو الصبر على الطاعة؟ الصبر على الطاعة يعني: الاستقامة على شرع الله ، والمثابرة الدائمة على العبادات المالية والبدنية والقلبية، ومواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء وصنوف المحن، اسمع معي لسيدنا لقمان وهو يأمر ابنه بالصبر في الطاعة، فقال :**{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}** [لقمان: 17].

أو بمعنى آخر: أن يؤدي المسلم العبادة على الوجه الأكمل، الذي يرضي الله ويرضي رسوله .

والصبر في العبادة كان مفروضاً على كل الأنبياء، فهذا سيدنا إسماعيل تخلق بخلق الصبر وبالتحديد في أصعب المواقف، فقال : **{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}** [الصافات: 102].

وهذا سيدنا موسى يأمر قومه بالصبر، فقال :**{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [الأعراف: 128].

وهذا سيدنا محمد أمره الله بالصبر، فقال :**{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}** [الأحقاف: 35].

وقال :**{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}** [القلم: 48].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف لماذا يحتاج المسلم الصبر في الطاعة؟ وكيف يحققه؟.

قد يندهش البعض ويقول: هل العبادة تحتاج إلى الصبر؟ أقول: نعم، إن العبادة تحتاج إلى الصبر للأسباب الآتية:

السبب الأول: إن العبادات التي فرضها الله على عباده فيها كلفة ومشقة، فتكليف الله لعباده معناه: القيام بما يشق بالنسبة إلى عدمه، فالقيام بأداء الصلوات الخمس مع تحقق الشرائط والأركان، فيه نوع مشقة بالنسبة لعدم الإتيان بها، وامتثال الإنسان في صوم رمضان، فيه نوع مشقة بالنسبة لعدم الصوم، وكذلك الحج فيه نوع مشقة بالنسبة إلى عدمه، فالإنسان يترك أهله وماله في سبيل أداء فريضة الحج، وهكذا فكل أنواع العبادة فيها مشقة، وبالتالي تحتاج إلى صبر.

السبب الثاني: إن النفس البشرية بطبيعتها تنفر عن العبودية، وتشتهي الربوبية، يقول الغزالي: قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهر فرعون من قوله:{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النازعات: 24].

لكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً، فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه، وكل من تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعاً من إظهاره.

السبب الثالث: من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

ولقد أشار المولى في قرآنه أن العبادة تحتاج إلى صبر، فقال : {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} [البقرة: 45].

وقال :{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ الله وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ} [يونس: 109].

وقال :{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود: 114، 115].

وقال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى} [الرعد: 22].

وقال :{رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياًّ} [مريم: 65].

وقال :{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} [الإنسان: 23 - 25].

ولقد أقسم المولى أن الناجين هم من تحقق فيهم صفات أربع: الإيمان، والعمل الصالح، والنصح للأمة، ثم الصبر على ذلك، فقال : {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 1 - 3].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يحقق المسلم الصبر على الطاعة.

أولاً: الصبر قبل الطاعة:

ويتحقق ذلك بتصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء، ودواعي الآفات وعقد العزم على الإخلاص والوفاء، وهذا النوع من الصبر شديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس، ولقد نبه الله إلى هذا فقال:{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5].

وروى البخاري أن الرسول قال:**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى... .**

ولأهمية الصبر قبل الإقدام على الطاعة، نجد أن الله قدمه على العمل، فقال :{إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود: 11].

وقال :{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: **22**].

ثانياً: الصبر حال العمل:

وذلك حتى لا يغفل الإنسان عن الله في أثناء عمله، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الرغبة، وهذا أيضا من شدائد الصبر، هذا النوع أشار إليه المولى فقال:{**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} [العنكبوت: 58، 59] أي: صبروا إلى تمام العمل.

ثالثاً: الصبر بعد الفراغ من العمل:

فالإنسان يحتاج إلى الصبر بعد الفراغ من العبادة، عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العجب، وعن كل ما يحبط عمله ويحبط أثره، ولقد أشار المولى إلى هذا النوع من الصبر في الطاعة، فقال :{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**} [محمد: 33].

وقال :{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**} [البقرة: 264].

فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى، فقد أبطل عمله، ويجب أن يعلم الجميع أن النفل مثل الفرض محتاج إلى الصبر، وقد جمعهما الله في قوله:{**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**} [النحل: 90].

فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة الرسول ومن حياة سلفنا الصالح لنتعلم كيف يكون الصبر على الطاعة.

النموذج الأول: أخرج البزار والطبراني عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله في المسجد، وأبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة،

وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، ورجلان آخران كانوا سبعة وهم في الحجر، ورسول الله يصلي، فلما سجد أطال السجود، فقال أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتنا بفرثها (مكان في الكرش) فنكفؤه على محمد؟

فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط، فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ساجد، قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندي منعة تمنعني، فأنا أذهب إذ سمعتْ فاطمة بنت رسول الله فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه، ثم استقبلت قريشاً تسبهم، فلم يرجعوا إليها شيئاً.

ورفع الرسول رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود، فلما قضى رسول الله صلاته:**اللهم عليك بقريش** (ثلاثاً) **عليك بعتبة، وعقبة، وأبي جهل، وشيبة** ثم خرج من المسجد فلقيه أبو البختري بسوط يتخصر به (أي يشد على خاصرته) فلما رأى النبي أنكر وجهه، فقال: مالك؟ فقال الرسول :**خل عني** قال: علماً لله لا أخلي عنك، أو تخبرني ما شأنك، فلقد أصابك شيء، فلما علم النبي أنه غير مخلٍّ عنه أخبره، فقال:**إن أبا جهل أمر فطرح على فرث** فقال أبو البختري: هلم إليَّ المسجد، فأتى الرسول وأبو البختري فدخلا المسجد، ثم أقبل أبو البختري إلى أبي جهل، فقال: يا أبا الحكم: أنت الذي أمرت بمحمد فطُرح عليه الفرث؟ فقال: نعم، فقال: فرفع السوط فضرب به رأسه، قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم، هي له، إنما أراد محمدٌ أن يُلقي بيننا العداوة، وينجو هو وأصحابه، ورغم كل هذا صبر الرسول في طاعته لله .

النموذج الثاني: جاء في البداية والنهاية: عن عائشة قالت: لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر على رسول الله في الظهور، فقال الرسول :**يا أبا بكر إنا قليل** فلم يزل أبو بكر يلح، حتى ظهر رسول الله وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته.

وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر،

وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر، حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: أنظري أن تطعميه شيئاً، أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ، فقالت: والله مالي علم بصاحبك، فقال أبو بكر : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم، فمضت معها، حتى وجدت أبا بكر صريعاً فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ، قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله .

قال: فأكب عليه رسول الله فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس، إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بوالدها، وأنت مبارك، ادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ودعاها إلى الله فأسلمت.

النموذج الثالث: أخرج ابن سعد: أنه لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن ملة

آبائك إلى دين مُحْدَث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان : والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه، تركه.

فياليتنا نتأسى بهم جميعاً ونحقق الصبر في الطاعة، لأننا وصل بنا الحال إلى أنه انعدم الصبر على الطاعة، فعلى سبيل المثال: إذا مكث الخطيب يخطب وأطال في الخطبة، ثار عليه الناس، كأنهم يجلسون في سجن ضيق، وتكثر الشكوى من الأمراض، في الوقت ذاته نمكث بالساعات الطوال أمام التلفاز لمشاهدة ما لا يسمن ولا يغني من جوع، وساعتها لا نشكو من طول المكث، ولا نشكو من أي مرض.

وكذلك إذا أطال الإمام في صلاة الجماعة، تحجج الجميع بحجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان، في الوقت ذاته عندنا استعداد أن نمكث فترة طويلة في أي طابور يتعلق بأي مصلحة دنيوية، كطابور الخبز، أو طابور صرف المرتبات أو المعاش، أو نوع آخر من أنواع الطوابير.

فهل أن الأوان لنا جميعاً أن نحقق الصبر في العبادة؛ لأن العبادة لن يقبلها الله إلا إذا حققنا فيها الصبر ابتغاء مرضاته، فالله قدم الصبر على العمل، فقال :{إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود: 11].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على التخلق بخلق الصبر في الطاعة.

أولاً: معية الله مع الصابرين:

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: **153**] وهذه المعية منه تتضمن حفظهم ورعايتهم، وتأييدهم بنصره، وحمايته لهم.

ثانياً: محبة الله لهم:

قال :{وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: **146**].

ثالثاً: أن الله يحفظهم من كيد الأعداء:

قال : {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: **120**].

رابعاً: نيل الدرجات العلا في الجنة:

قال : {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً *إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً} [الإنسان: **12 - 24**].

خامساً: تسليم الملائكة عليهم في الجنة:

قال : {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: **22 - 24**].

سادساً: الحصول على درجة الإمامة في الدين:

قال : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24].

* * *

الصـدق

الصـدق

أسبـاب نـعيم القبـر

الصـدق

الحمـد لله رب العـالمين، الـذي نطقـت بوحدانيتـه جميـعُ الكائنـات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحـار دائمـاً وأبداً تقول: سبحان من بمشيئته أجرانـي، وأسـال عيون مـائي لـروادي، والعـارف بـه دائمـاً وأبـداً يقـول: سبحان من دلني عليه، وإليه مرجعي ومآبي، حتى العاصي يقول: سبحان من اطلع علي في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلني وهداني.

سبحانه: جعل الصدق معياراً من معايير الرجولة الكاملة، فقال : **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}** [الأحزاب: 23، 24].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: رتب صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب على الصدق في القول، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}** [الأحزاب: 70، 71].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل الصدق سبباً من أسباب دخول الفرد الجنة، فروى أحمد والحاكم والبيهقي أن الرسول قال:**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الصـدق**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم

ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله جعل الصدق صفة من صفاته المقدسة، فقال : {**اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً**} [النساء: 87].

وقال :{**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ الله حَقاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً**} [النساء: 122].

وكان الصدق صفة أصيلة من صفات الأنبياء، فهذا سيدنا إبراهيم وصفه الله بالصدق، فقال :{**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ**} [مريم: 41].

وهذا سيدنا إسماعيل وصفه الله بالصدق، فقال :{**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ**} [مريم: 54].

وهذا سيدنا إدريس وصفه الله بهذا الخلق العظيم، فقال : {**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ**} [مريم: 56].

ووصف الله سيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب بالصدق، فقال :{**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِياًّ * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياًّ**} [مريم: 49، 50].

ولقد كان الصدق صفة أصيلة من صفات الرسول ، فروى مسلم أن الرسول لما نزل عليه جبريل أول مرة في غار حراء، وقرأ عليه قول الله :{**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**} [العلق: 1 - 5].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَة،

فَقَالَ :زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ:أَي خَدِيجَةُ: مَا لِي، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ :لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَ الله لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدًا؛ والله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النَّبِيُّ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ :أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا، قَالَ :فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: 1 - 5].

الحقيقة الثانية: إن الله خلق السموات والأرض بالحق، وأشار إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال :{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: 85].

ومن أجل أن يستمر هذا الحق في الكون كله، أمرنا الله بالصدق، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

وأمرنا الرسول بالصدق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقاً.**

وعليكم أسلوب إلزام وحتم، ثم استخدم الرسول أسلوب الإغراء؛ ليشجع الناس على الصدق، فقال:**فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى**

الجنة.

فالواجب على كل مسلم أن يبني حياتَه كلها على الصدق، فلا يقول إلا صدقاً، ولا يعمل إلا صدقاً، فالصدق خلقٌ عظيم، يجمع بين خصال الخير كلها، وهو بناء الدين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان.

وإن من أجلِّ نعم الله على العبد المسلم، أن يحبب إليه الصدق، فلا ترتاح نفسُ المسلم، ولا يهدأ ضميرُه إلا بالصدق، فإذا تردد المسلم في أمر، آثر الصمت على أن يقول قولاً لا يدري أفي حق هو أم في باطل، فروى البيهقي والحاكم والطبراني والترمذي أن الرسول قال:**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**.

ولقائل يقول: لماذا أمرنا الله بالصدق؟ أقول: أمرنا الله بالصدق لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن الحياة لن تستقيم ولن يكون لها أي طعم، إلا إذا التزم كل إنسان فينا بالصدق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**فإن الصدق يهدي إلى البر**، والبر هو: خصال الخير كلها.

واقرأ معي قول الله :**{لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ}** [البقرة: 177].

السبب الثاني: لأن الكذب ينزع الثقة بين الناس، وينشر الفوضى، ويمزق الأواصر بين الناس، ويرد الأقوياء ضعفاء واهنين، وبالتالي لا يأمن الإنسان على نفسه، ولا على ماله، ولا عرضه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**وَإِنَّ الْكَذِبَ يهدي إلى الفجور**.

السبب الثالث: لأن الصدق فيه النجاة في الدنيا والآخرة، فقال : **{قَالَ الله هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}** [المائدة: 119].

وروى ابن أبي الدنيا أن الرسول قال:**تحروا الصدق، وإن رأيتم فيه**

الهلكة، فإن فيه النجاة.

وروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟ فقال الرسول :**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.**

السبب الرابـع: لأن إسلام الفرد منا لا يكمل ولا يصح إلا إذا التزم بالصدق، فروى البخاري أن الرسول قال:**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.**

السبب الخامس: لأن استقامة الأعضاء متوقفةٌ على استقامة اللسان، وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

وروى أحمد أن الرسول قال:**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.**

السبب السادس: لأن الكذب لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الإيمان في قلب العبد خرج الكذب، وإذا وجد الكذب خرج الإيمان، فقال : **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ}** [النحل: 105].

وروى مالك عن صفوان بن سليم: أنه قيل لرسول الله : أيكون المؤمن جباناً؟ قال :**نعم**، قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال :**نعم**، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال :**لا**.

السبب السابع: لأن الإنسان منا سيحاسب على كل كلمة تخرج من لسانه، إن كانت خيراً فخيراً، وإن كانت شراً فشراً، فروى الترمذي أن معاذ بن جبل قال للرسول : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال الرسول :**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُ الناسَ في النار على وجوهم، إلا حصائدُ ألسنتهم.**

وفي رواية:**على مناخرهم.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً.**

الحقيقة الثالثة: إن الحيرة التي يقع فيها البشر الآن، ترجع إلى أنهم ابتعدوا عن هذا الأصل العظيم (الصدق)، وامتلأت نفوسُهم وعقولُهم بأوهام وأكاذيب، فأصبح كثير من الناس يكذبون على أنفسهم، بل أصبحت الأمة الآن لا تحقق الصدق الحقيقي، فاختفى الصدقُ من معظم مجالات الحياة، إن لم يكن كلها.

اختفى الصدق من مجال السياسة، وادعت الأمة أن السياسة لا تصلح إلا بالكذب، واختفى الصدق من مجال الاقتصاد، وأوهمنا أنفسنا أن الصدق لا ينفع في مجال الاقتصاد، مع أن الرسول أمرنا بالصدق في مجال الاقتصاد، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا.**

بل اختفى الصدق من مجال الأسرة، فأصبح يكذب بعضنا على بعض داخل نطاق الأسرة الواحدة.

فما من مجال إلا وقد دخله الكذب، فكان نتيجة لهذا كله أن تفرقت الأمة إلى فرق ومذاهب شتى، ففعلت هذه التفرقة الأفاعيل في الأمة، مما جعلت الأمة لقمةً سائغةً لأعداء الله ﷻ، وجعلت الأمة تخضع لأذل أمم الأرض، أليس بنو إسرائيل قد كتب الله ﷻ عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله ؟

إن أغلب المسلمين الآن من هذه الأمة أذل من إخوان القردة والخنازير، لماذا؟ لأن أولئك ضيعوا التوراة فأذلهم الله ، والمسلمين ضيعوا أعظم من التوراة، فأذلهم الله .

فالواجب على كل المسلمين إذا أرادوا أن يخرجوا من هذه الدوامة التي تمر بها الأمة الإسلامية الآن، أن يحققوا الصدق في كل مجالات الحياة، وإلا فإن الأمر سيزداد شدة على شدة، ومرارة على مرارة، ونحن قد لمسنا هذا بأيدنا، فماذا نريد بعد هذا؟

اقرأ معي قـول الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَـوْلاً سَـدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

وقال :{فمن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَـى وَقَـدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَـى * وَكَـذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 123 - 127].

الحقيقة الخامسة: ما هو الصدق؟ الصدق هو: مطابقة الخبر للواقع.

وقيل هـو: اسـتواء السـر والعلانيـة، والظـاهر والبـاطن، بـألا تُكـذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

إخوة الإسـلام:

إن الصدق ليس مجرد كلمة يرددها المسلم، وليس خلقاً يأتي بالتمني، فكل فرد فينا يتمنى في قرارة نفسه أن يكون صـادقاً؛ لأن الصـدق يوافق الفطرةَ السليمة.

ولكن من منا من سأل نفسه: كيف أحقق الصدق؟ أو بمعنى آخر: مـا الأمـور التـي تعـين الإنسـان علـى الصـدق؟ فتعـالوا معـي لنتعـرف علـى الأمور التي تعين الإنسان على الصدق.

أولاً: الخوف من الله : فالمسلم الذي يريد أن يتصف بالصدق لا بد أولاً أن يحقق الخوف من الله ، فإذا خـاف المسلم مـن الله ، اسـتطاع أن يحقـق بالصدق، فلا يكذب أبداً.

ولقد بين الله ما أعده لمن حقق الخوف منه، فقال :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَـامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: 46].

وقـال :{إِنَّ الَّـذِينَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُـم بِالْغَيْـبِ لَـهُم مَّغْفِـرَةٌ وَأَجْـرٌ كَبِـيرٌ} [الملك: 12].

ولقد بين الرسول نتيجة الخوف من الله يوم القيامة، وروى البخاري ومسلم أن الرسول قـال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِـلَّ إِلَّا ظِلُّـهُ: الْإِمَـامُ

الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

ثانياً: اتباع منهج الله : فاتباع منهج الله يعين الإنسان على الصدق، قال:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمدٍ :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

وقال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى} [طه: 123].

وروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ الرسول قول الله : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

ثالثاً: الرغبة في النجاة من أهوال يوم القيامة: فعلى المسلم أن يعلم علم اليقين أن الله قد حكم أنه لا ينفع ولا ينجي من أهوال يوم القيامة إلا الصدق، فقال :{قَالَ الله هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} [المائدة: 119].

فما هو الجزاء، قال :{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [المائدة: 119].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أعطاهم الله ما هو أعظم من الجنة، فقال :{رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [المائدة: 119].

رابعاً: مصاحبة الصادقين: فعلى المسلم الذي يريد أن يحقق الصدق عليه أن يصاحب الصادقين، قال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

وروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ.

خامساً: أن يتذكر الإنسان آثار الصدق وثمراته: فالصدق يهدي إلى البر، والبر هو جماع الخير والطاعة لله ، والبر يهدي إلى الجنة، وهي أقصى ما يتمناه المرء، فروى البخاري ومسلم والترمذي وأحمد أن الرسول قال:**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.**

بل إن النبي ضمن الجنة لمن ضمن له ستاً، فروى أحمد والحاكم والبيهقي أن الرسول قال:**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.**

سادساً: الدعاء: فالمسلم الذي يريد أن يتصف بالصدق، عليه أن يدعو الله أن يرزقه الصدق، فإذا قام العبد وسأل الله أن يرزقه الصدق بصدق، فإن الله يوفقه إلى ذلك، فقال :**{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** [غافر: 60].

وقال :**{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ}** [البقرة: 186].

سابعاً: الخوف من النفاق: فالمسلم الذي يخاف من النفاق يحرص على الصدق؛ لأنه لو كذب يكون منافقاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ.**

ثامناً: الخوف من الفضيحة يوم القيامة: فالله كتب الفضيحة للكذاب على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فقال :**{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** [هود: 18].

فأي حسرة بعد هذه الحسرة؟ وأي ندامة بعد ما فضحوا في الآخرة، ونادى كلُ الخلائق عليهم بالإشارة: هؤلاء هم الذين كانوا يكذبون في الدنيا على الله وعلى عباده.

تاسعاً: الخوف من سواد الوجه يوم القيامة: فالكذاب يسود وجه يوم القيامة، قال : {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 60].

عاشراً: أن يستحضر المسلم الوعيد الذي أعده الله للكذاب: فقال : {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً * يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً} [المزمل: 11 - 14].

حادي عشر: الخوف من عذاب القبر: ومما يعين المسلم على الصدق الخوف من عذاب القبر الذي أعده الله للكذاب، فروى البخاري ومسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ:هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لا، قَالَ:لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ... قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثاني عشر: البعد عن صحبة السوء: فالمسلم الذي يريد أن يتصف بالصدق عليه أن يبتعد عن الرفقة السيئة، فإذا صاحب المسلم كاذباً فإنه يتوعد على الكذب مثله، ويندم في يوم لا ينفع فيه الندم، فقال : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: 27 - 29].

* * *

الصدق مع الله ﷻ

أسباب نعيم القبر

الصدق مع الله

الحمد لله رب العالمين، الذي نطقت بوحدانيته جميعُ الكائنات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحار دائماً وأبداً تقول: سبحان من بمشيئته أجراني، وأسال عيون مائي لروادي، والعارف به دائماً وأبداً يقول: سبحان من دلني عليه، وإليه مرجعي ومآبي، حتى العاصي يقول: سبحان من اطلع عليَّ في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلني وهداني.

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :**{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}** [الحج: **26**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل الصدق معه معياراً من معايير الرجولة الكاملة، فقال :**{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}** [الأحزاب: 23، 24].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : أمرنا بالصدق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقاً.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الصدق مع الله** .

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: لا يوجد إنسانٌ على وجه الأرض إلا وهو يبحث عن السعادة، فهي غاية يتفق فيها البشر على اختلاف عقائدهم وعقولهم ومبادئهم وغاياتهم.

فلو سألت أي إنسان عن أي شيء تبحث عنه؟ لأجابك على الفور: أبحث عن السعادة، فكل الناس يريدون السعادة، ولكن الكثير من الناس يخطئ الطريق الموصل للسعادة!

فكثير من الناس يظن أن السعادة في جمع المال! وهذا ليس بحقيقة، فربما يكون المال سبباً من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة، إذا لم يدرك صاحب المال غايته، وكلنا نعلم قصة قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض، فقال :**{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}** [القصص: **81**].

وقد يظن بعض الناس أن السعادة في الشهرة، وقد يظن البعض الآخر أن السعادة في الجاه والمنصب، وقد يظن البعض الآخر أن السعادة في الأولاد والزوجة، وكل هذا وهم خاطئ واعتقاد باطل.

ولكن أين توجد السعادة الحقيقية؟ إن السعادة الحقيقة في الدنيا والآخرة تكمن في الصدق مع الله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ}** [محمد: **21**].

ولقد أكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، فروى أحمد والحاكم والطبراني أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، وَقَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى النَّبِيُّ بِهِ أَصْحَابَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ حُنَيْنٍ، غَنِمَ رَسُولُ الله شَيْئًا، فَقَسَمَهُ، وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَسَمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ، فَأَخَذَهُ، فَجَاءَ بِهِ النَّبِيَّ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا هَذَا؟

قَـالَ :**قَسَـــمٌ قَسَـــمْتُهُ لَــكَ**، قَـالَ: مَـا عَلَـى هَـذَا اتَّبَعْتُـكَ، وَلَكِنِّـي اتَّبَعْتُـكَ عَلَـى أَنْ أُرْمَـى هَهُنَـا بِسَـهْمٍ، وَأَشَـارَ إِلَـى حَلْقِـهِ، فَـأَمُوتُ فَأَدْخُـلُ الْجَنَّـةَ، فَقَالَ :**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**، فَلَبِثُوا قَلِيلا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ :أَهُوَ هُوَ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ :**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**.

فَكَفَّنَهُ النَّبِيُّ فِي جُبَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وقـال:**اللَّهُـمَّ هَـذَا عَبْـدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ**.

فالواجب علينا جميعاً إذا كنا نريد السعادة الحقيقيـة، فعلينـا أن نحقق الصـدق مـع الله أولاً، قـولاً وفعـلاً، ظـاهراً وباطنـاً، قصـداً وإرادةً، وأن نسيِّر حياتنـا ومناهجنـا وتصـرفاتنا علـى المـنهج الـذي ارتضـاه الله لنـا؛ لنفوز بالسعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ولنبوء بـالمغفرة والرضـوان فـي الآخرة.

الحقيقة الثانية: إن الصدق مع الله هو الذي يجعل المسلم فينا يضـحي بكل غالٍ ورخيص في سبيل رضـوان الله ومحبتـه ونصـرة دينـه، مهمـا كانت التضحية، ومهما كان الثمن غالياً.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِـنْهُم مَّـن يَنتَظِـرُ وَمَـا بَـدَّلُوا تَبْـدِيلاً}** [الأحزاب: **23**].

ولقـد أشـارت السـيرة النبويـة إلـى هـذه الحقيقـة، فهـذا طلحـة بـن عبد الله صدقه مع الله هو الذي دفعه أن يقـي رسـول الله فـي أحد حتـى شُلَّت يده .

والصدق مع الله هو الذي دفع بسعد بن أبي وقاص أن يقاتل بين يدي رسول الله في أُحُد، وكان يناوله النبل ويقول:**ارم يا سعد، فداك أبي وأمي**.

وروى أحمد أن علياً بن أبي طالب قال: ما سمعت النبي يجمع أباه وأمه لأحد غير سعد بن أبـي وقـاص، فـإني سمعته يقول يوم أحد:**ارم يـا سعد فداك أبي وأمي**.

والصـدق مـع الله هـو الـذي جعـل أبـا طلحـة يستبسـل فـي الـدفاع عن

رسول الله والمشركون محيطون به وأبو طلحة يقول: "يا نبيَّ الله، بأبي أنت لا تشرف إلى القوم ألا يصيبك منهم سهم، نحري دون نحرك"

أي: جعل الله نحري دون نحرك.

وهذا الشأن هو الذي دفع بنَسِيبة بنت كعب في أُحُد أن تذُبَّ عن رسول الله بالسيف، وترمى بالقوس، وتُصاب بجراح كثيرة.

والصدق مع الله ، هو الذي جعل أبا دُجانة يُترِّس بنفسه دون رسول الله حتى يقع النبل في ظهره، وهو منحنٍ على رسول الله حتى كثر فيه النَّبل.

أما الآن فقد تبدلت الأحوال وانقلبت الأوضاع، فنجد بعض المسلمين اليوم حينما تعرض عليه مصالح دنيوية، أو منافع ذاتية، تجده يسير وراءها لاهثاً، ويندفع نحوها مسرعاً، ويضحي بكل غال ورخيص، ولو كان ذلك على حساب دينه ومخالفة أمر الله .

هذا الصنف من الناس لم يحقق الصدق مع الله ، فحرصوا على الدنيا، وانطبق عليهم قول الله :**{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ}** [المجادلة: **19**].

الحقيقة الثالثة: إن الأمة المسلمة اليوم وهي تحيط بها الفتن من كل جانب، وتعلو حياتَها المصائبُ من كل حدبٍ، في أمسِّ الحاجة للصدق مع الله ، صدق الإيمان والطاعة، صدق التوجه والإرادة، صدق العمل والاتباع في كل شأن، وفي جميع مجالات الحياة.

فإذا كانت الأمة تريد فعلاً الإصلاح والعافية، وإذا كانت الأمة تريد التقدم والازدهار، وإذا كانت الأمة تريد التمكين في الأرض، فعليها أن تحقق الصدق مع الله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}** [النور: **55**].

فكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية يحتاج إلى الصدق مع الله ،

فالحاكم في حاجة إلى الصدق مع الله في سياسة الرعية، ومراعاة مصالحهم، والقيام على تحقيق شؤونهم.

والرعية في حاجة إلى الصدق مع الله في طاعة الحاكم على المنهج الإسلامي الذي جاء به الشرع المطهَّر؛ لتحقيق مجتمع فاضل، تتحقق فيه الحياة الطيبة والعيشة الرضية.

والقاضي لا يوفق إلى الصواب إلا بصدق تام مع الله .

والمفتي لا يهتدي إلى ما فيه براءة ذمته، إلا إذا كان صادقاً مع الله ظاهراً وباطناً.

والتاجر في تجارته، والعامل في صنعته، والكاتب في كتابته، والإعلامي في إعلامه.

فكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية لا يستقيم منهجه، ولا يصلح عمله، ولا يفلح سعيه، إلا إذا صدق مع الله ، وصدق في المنهج الشرعي الذي تقوم عليه أصول مسؤوليته، وكان ذلك كله ابتغاء رضوان الله ، واسمع معي إلى ما قاله :{لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: **22**].

الحقيقة الرابعة: ما معنى الصدق مع الله ؟

الصدق مع الله هو: أن يحقق الإنسان العبودية الكاملة لله ، وأن يشعر الإنسان بالنقص أمام الله ، وأن يعلم الإنسان علم اليقين أنه فقير إلى الله .

إخوة الإسلام:

إن الصدق مع الله ليس شعاراً يردده المسلم وفقط، بل لا بد وأن يتحقق على أرض الواقع، فالصدق مع الله يتطلب من كل مسلم أن يلتزم بعدة أمور، من خلال هذه الأمور يستطيع الإنسان أن يحقق الصدق مع الله ، فتعالوا معي لنتعرف على الأمور التي بها يحقق الإنسان الصدق مع

الله .

الأمر الأول: أن يعرف العبد الله معرفة حقيقية:

فالواجب على كل مسلم يريد أن يحقق الصدق مع الله أن يعرف الله حق المعرفة، وإذا سألت إي إنسان ماذا تعرف عن الله؟ وقف صامتاً ولا يستطيع أن يقول شيئاً، في الوقت ذاته لو سألت أي إنسان ماذا تعرف عن لاعب كرة أو فلان الممثل، لأخذ يسرد لك كل كبيرة وصغيرة تتعلق بحياته، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فمن هو الله ؟

الله : هذا الاسم الكريم الذي يطلق على الذات المقدسة، التي نؤمن بها، ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا، وإليها مصيرنا.

الله : هو قبلُ كلِ شيء، وآخر كل شيء، وهو وارثُ كلِ شيء، أحاط بعلمه كلَ شيء، ولا يتوارى عنه شيءٌ، ولا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

الله : هو أول من شهد لنفسه بالوحدانية، فقال :**{شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}** [آل عمران: **18**].

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به فقيرٌ إلا أغناه الله .

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به مريضٌ إلا شفاه الله وعفاه.

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به ذليلٌ إلا أعزه الله وكفاه.

الله : هو الاسم الذي تقال به العثرات، وتستجاب به الدعوات، وتستدر به الرحمات.

الله : هو الاسم الذي به ولأجله قامت الأرض والسموات.

الله : أعلن عن نفسه فقال:**{اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ}** [البقرة: **255**].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ الله الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [الحشر: 22 - 24].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ * الله الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 1 - 4].

الله : الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، روى مسلم أن الرسول قال:إِنَّ الله لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ.

الله : اسمع معي وهو يقول:{ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: 26].

الأمر الثاني: أن يتقي المسلم ربه حق التقوى:

فالواجب على كل مسلم يبحث عن الصدق ويتمناه، أن يتخلق بخلق التقوى، فالله أمرنا جميعاً أن نتخلق بخلق التقوى، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: 70، 71].

وقال :{وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: 2، 3].

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري : أن رجلاً جاءه، فقال: أوصني، فقال أبو سعيد الخدري : سألتَ عما سألتُ عنه رسول الله من قبلك، فقال :أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض.

وأوصى رسول الله أبا ذر، فقال له:أوصيك بتقوى الله في سرائك

وعلانيتك.

فاستمسك بها أخي المسلم، واجعلها نصب عينيك حتى تحقق الصدق مع الله ، اجعل التقوى مالك إن كنت فقيراً، اجعلها جندك إن كنت ضعيفاً، اجعلها حارساً أميناً لنعمتك إن كنت ذا نعمة، اجعلها بركة دارك وأهلك إن كنت ذا مال وعيال، اجعلها ذخراً لعقبك إن كان لك عقب وذرية، اجعلها أنيسك إن كنت غريباً، اجعلها جليسك إن كنت وحيداً، اجعلها دواءك إن كنت مريضاً عليلاً، ازرعها في أولادك وأحبائك، وحض عليها أصحابك وأتباعك، وأوصي بها أهلك وذويك؛ لتحقق الصدق مع الله .

فما من أمر أمرنا به الله ، أو نهي نهانا عنه الله ، إلا من أجل أن يحقق المسلم فينا تقوى الله .

الأمر الثالث: أن يعبد المسلم الله حق العبادة:

فالواجب على كل مسلم إذا أراد أن يحقق الصدق مع الله ، أن يحقق العبادة الكاملة له ، وأن يسلم حياته كلها لله ، مصداقاً لقوله : **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}** [الأنعام: **162 - 164**].

وقال : **{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ}** [الذاريات: **56، 57**].

وقال : **{وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}** [النور: **55**].

الأمر الرابع: أن يطيع المسلم ربه قدر الاستطاعة:

فإذا أراد المسلم أن يحقق الصدق مع الله فعليه بالطاعة قدر الاستطاعة، فقال : **{فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [التغابن: **16**].

وقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: **59**].

فلقد جعل الشارع الحنيف الطاعة من مقتضيات الإيمان الكامل، فإيماننا لا يكمل، بل لا يصح إلا إذا حققنا منهج الطاعة لله ولرسوله ، فقال : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَّحِيماً * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: **64**، **65**].

فكل فرد فينا يقول: أنا مؤمن، ولكن من منا سأل نفسه ما علامة هذا الإيمان؟

إنها الطاعة بلا انحراف وتردد، اقرأ معي قول الله : {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: **51**، **52**].

فهذا هو شعار المسلم: طاعة بلا انحراف، وسمع بلا تردد.

أخي المسلم:

اعرض نفسك على أوامر الله ، وأوامر رسول الله ، واسأل نفسك: هل امتثلت لأوامر الله ، وأوامر رسوله ؟ هل وقفت عند حدود الله ، وحدود رسوله ؟.

فإن كنت ممن سمع الأمر وامتثل، والنهي فاجتنب، والحد فوقف عنده، فأنت مطيع لله ﷻ ولرسوله ، وقد حققت الصدق مع الله ، وينطبق عليك قول الله : {تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} [النساء: **13**].

وإن كنت ممن سمع الأمر ولم يمتثل، والنهي فلم ينته، والحد فلم يقف، فاعلم أنك عاص لله ﷻ ولرسوله ، ولم تحقق الصدق مع الله ، وينطبق عليك قول الله ﷻ :{وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً

خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14].

الأمر الخامس: أن يتبع الإنسان منهج الله :

فالواجب على المسلم الذي يريد أن يحقق الصدق مع الله أن يتبع منهجه ، قال:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمدٍ :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

واسمع إلى ما قاله المولى إلى رسوله ، فقال :{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ الله شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ والله وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية: 18، 19].

وقال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى} [طه: 123].

وروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال:هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ الرسول قول الله : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

أما لو اتبع الإنسان منهجاً خلاف منهج الله ، فلا يكون صادقاً مع الله ، وهو وحده يتحمل نتيجة ذلك، فقال :{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 124 - 127].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على مجالات الصدق مع الله .

المجال الأول: الصدق في التوبة إلى الله :

ويتحقق الصدق في التوبة بأن تكون متوافرة الشروط التي يجب أن

تتوافر فيها، من أن تكون توبة نصوحاً، وأن يصاحبها ندم على تقصير في جنب الله ، والاعتراف بالذنب، والإقبال على الله وحده لا شريك له، ورد المظالم إلى أهلها إن وجدت.

ولقد طلب الله الصدق في التوبة من عباده، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: **8**].

وهناك نماذج من حياة سلفنا الصالح تؤكد على ضرورة الصدق في التوبة، والأثر المترتب عليه.

النموذج الأول: الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلهم من الأنصار، وقد قال الله فيهم:{وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: **118**].

روى البخاري وغيره أن كعب قال في الحديث الطويل: فَوَ اللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا.

فهؤلاء الثلاثة صدقوا في توبتهم، فقبلها الله منهم، ولذلك يقول بعد قبول توبتهم:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: **119**].

النموذج الثاني: روى مسلم جَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَ اللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ :إِمَّا لاَ فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي.

فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ :اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ، حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ

خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ الله قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ الله سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ :**مَهْلاً يَا خَالِدُ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ** ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.

والمكس: الضريبة والعشور، التي تأخذ على خلاف حكم الشرع.

وروى مسلم أن عمر بن الخطاب قال: يَا رَسُولَ الله أَتُصَلِّى عَلَيْهَا، وَقَدْ زَنَتْ، فَقَالَ :**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا.**

النموذج الثالث: روى البيهقي وأبو داود أن الرسول أَمَرَ بِرَجْمِ ماعزاً، فَرُجِمَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ الله عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ، فَسَارَ رَسُولُ الله شَيْئًا، ثُمَّ مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ فَقَالَ:**أَيْنَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، قُومَا فَانْزِلاَ فَكُلاَ مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ.**

قَالاَ: غَفَرَ الله لَكَ يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يُؤْكَلُ مِثْلُ هَذَا ؟، قَالَ :**فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا شَرٌّ مِنْ هَذَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَتَغَمَّسُ فِيهَا.**

المجال الثاني: الصدق في محبة الله :

إن الشرع الحنيف قد ربط قضية الإيمان بمحبة الله ، فالفرد منا لا يؤمن ولا يصح إيمانه، إلا إذا حقق الحب الحقيقي لله .

ولقد أشار الرسول إلى هذا، فروى أحمد أن الرسول قال:**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا.**

والفرد منا لا يستطيع أن يتذوق حلاوة الإيمان إلا إذا كان صادقاً في حبه لله ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ.**

فحب الله فرض عين على كل مسلم؛ لأن العبودية معقودةٌ بها، فقال :{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

ولقد مدح القرآن الكريم المؤمنين الذين حققوا الحب الحقيقي لله ، فقال :{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لله} [البقرة: 165].

ولقد حقق الصحابة الحب الحقيقي لله ، ففضلوا حب الله على الآباء، والأبناء، والإخوة، والعشيرة، فقال :{لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: 22].

ويمكن أن يقال في تعريف محبة الله : إسلام الوجه لله ، والتفاني في طاعته، والبعد عن معصيته، وأن يعتقد الكمال الذاتي لله ، وأن ينسب النعم كلها لله .

وفي هذا يقول المولى :{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 162 - 164]

وهذا سيدنا سليمان أحب الله بصدق، ففاق حبه لله كل شيء، فنراه يترك كل شيء من أجل حب الله ، بل يقوم بذبح الخيل التي شغلته عن صلاة العصر، كما قال بعض المفسرين، فقال :{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ} [ص: 30 - 33].

أخي المسلم:

اسأل نفسك الآن: هل أنت صادق في حبك لله ، أم لا؟ فإذا كنت صادقاً في حبك لله ، فما الدليل على هذا الصدق في الحب؟ هل التزمت بقول الله :{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 13، 14].

وإذا كنت لا تحب الله كما ينبغي، فعليك أن تجتهد وتدعوا الله أن يرزقك محبته .

الأمر الثالث: الصدق في التوكل على الله :

إن الله أمرنا بالتوكل عليه وحده، فقال :{وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [إبراهيم: 11].

ولقد أمر الله نبيه محمداً بالتوكل عليه، فقال :{وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً} [الفرقان: 58].

ولقد بين لنا الله النتيجة المترتبة على الصدق في التوكل عليه، فقال :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: 3].

ولقد بين لنا الرسول أيضاً النتيجة المترتبة على الصدق في التوكل، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً.**

ولقد ذكر القرآن الكريم ما كان من صحابة رسول الله في حمراء الأسد، وذلك صبيحة يوم أحد، فقال :{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: 173، 174].

إنهم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، تلك الكلمة العظيمة التي تدل على صدق التوكل على الله ، وروى البخاري وغيره عن ابن عباس قال:{حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا

مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أما الأمة الآن لم تصدق مع الله في التوكل عليه، بل وثقت الأمة بما في أيدي أعدائها أكثر من ثقتها بما عند الله ، فقال :**{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ}** [المائدة: **52**].

فالواجب علينا جميعاً إذا أردنا أن نعود لقيادة البشرية، فعلينا أن نصدق مع الله في التوكل عليه، فقال :**{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}** [الطلاق: **3**].

* * *

الإحسان إلــى الجار

أسبـاب نـعيم القبـر

الإحسان إلى الجار

الحمد لله رب العالمين: أنزل الكتاب المكنون، وأرسل السحاب المتون، تكونت بقدرته الأشياء، وتوالت برحمته الآلاء، وانشقت بحكمته الأرض والسماء، وكتب بمشيئته السعادة والهناء، فيرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

سبحانه: جعل أذية الجار أذيةً له ولرسوله ، روى أبو الشيخ ابن حبان أن الرسول قال:**من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله** .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جمع بين حقه وبين حق الجار في الأمر، فقال :**{وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}** [النساء: 36] وفي هذا تأكيد على حق الجار.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ، بين لنا أن أذية الجار سببٌ في دخول الإنسان النار، فروى أحمد والبخاري في الأدب، والحاكم، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يُذكرُ من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال :**هي في النار.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**لا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقَه.**

وفي نفس الوقت بين لنا الرسول أن أول خصمين يُقْضَى بينهما يومَ القيامةِ، جاران آذى أحدُهما صاحبَه، فروى أحمد والطبراني في معجمه الكبير، أن الرسول قال:**أولُ خَصمين يوم القيامة جاران** وفي هذا دليل على أهمية حق الجوار الذي حث الشارع عليه.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب نعيم القبر، ألا وهو:

الإحسان إلى الجار، انطلاقاً من قول الرسول في الحديث الذي رواه أحمد والبخاري في الأدب، والحاكم، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانةً يُذكرُ من قلة صلاتها وصيامها وصدقتها، وإنها تتصدق بالأثوار من الأقِطِ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال :**هي في الجنة**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا يمكنه أن يتغلب بمفرده على مشقات الحياة وصعابها، مهما كان وضعه، ومهما كان غناه.

فالإنسان منا في حاجة دائمة إلى معينٍ يعينه، وناصرٍ ينصره، وإنسانٍ يأخذُ بيده كلما كثرت مشاكلُ الحياة، وازدادت صعوبتُها.

فإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد من المستحيل أن يعيشَ شخصٌ في معزل عن غيره، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستغني عن غيره.

فالإنسان مهما بلغ فلن يستطيع أن يعيشَ وحده، وما سُمِي الإنسانُ إنساناً؛ إلا لأنه يأنس بغيره وغيره يأنس به، وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**} [الزخرف: 32] وفي هذا دليل على عدم استغناء الإنسان عن غيره مهما بلغ.

الحقيقة الثانية: إن أولى الناس بك في الحياة الدنيا هو جارك، الذي ربط الله بينك وبينه برباط وثيق وبرباط متين، جارُك هو أحق الناس بإسداء الخير، وأولاهم بالمعروف والإحسان، فجارك أيها المسلم جزء

منك وأنت جزء منه.

جارك إذا أحسنت العلاقة بينك وبينه كما أمر الله وكما أمر الرسول يكون أول شخص يعينك إذا استعنت، ويغيثك إذا استغثت، ويلبي نداءك وقت الشدة إذا ناديت، وينهض لإزالة ما بك من أوجاع وآلام إذا توجعت أو تألمت، جارك يحمي بيتك في الغيبة، ويثور ويغضب إذا مست كرامتك وشرفك بسوء، جارك يحزن لحزنك ويفرح لفرحك، وصدق من قال:

فهو الصديق وإن نبا بـك منـزل ::: وأخوك وإن ضاقت بـك الأرجـاء

يرعى الجميل ولا يضن لحادث ::: عند الشدائد والرخاء سواء

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري في الأدب عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي بثلاث:**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ مُجَدَّعِ الْأَطْرَافِ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَإِذَا وَجَدْتَ الْإِمَامَ قَدْ صَلَّى فَقَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا فَهِيَ نَافِلَةٌ.**

وروى مسلم عن أبي ذر أن الرسول قال له:**إذا طبخت اللحم فأكثر المرق، وتعاهد جيرانك.**

الحقيقة الثالثة: إن الإحسان إلى الجار واجبٌ على كل مسلم، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}** [النساء: 36].

وأشار الرسول إلى ذلك، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه.**

فالمجتمع المسلم لا يكون مجتمعاً قوياً متعاوناً إلا إذا التزم كل مسلم فينا بحقوق الجار، وعمل كل مسلم فينا جاهداً لتنفيذ وصية جبريل للرسول .

وإذا نظرنا إلى الشرع الحنيف نجد أنه اهتم اهتماماً بالغاً بالإحسان

إلى الجار، فنجد الرسول علق الإيمان بالله واليوم الآخر على الإحسان إلى الجار، فروى مسلم أن الرسول قال:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره.**

وفي نفس الوقت نفى الرسولُ الإيمانَ عن الشخص الذي يشبع وجارُه جائعٌ، فروى الطبراني وأبو يعلى والحاكم أن الرسول قال:**ليس المؤمن الذي يشبع، وجارُه جائعٌ.**

الحقيقة الرابعة: لا يوجد عذر البتة لأي إنسان في مقاطعة جيرانه، ويقول: إنهم يسيئون إليَّ ويتمنون ليَّ الشر، ويدبرون ليَّ المكائد.

فالإنسان منا يستطيع أن يضم جيرانه إلى صفوفه بإحسانه وكرم أخلاقه، فإذا كان جيرانك أشراراً فكن أنت خيراً منهم، وإذا كانوا مسيئين فكن أنت محسناً، وتودد إليهم وإن تباعدوا، وعاملهم باللطف وإن جهلوا، وصل حبل المودة والسلام وإن قطعوه، فإن فعلت ذلك لانت قلوبهم وظهرت محبتهم، وزال بغضهم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :**{خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ}** [الأعراف: 199].

وقال :**{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}** [المؤمنون: 96].

وقال الله :**{وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}** [فصلت: 34].

قال الحافظ ابن كثير: فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنساني والإحسان إليه؛ ليرده عنه طبعه الأصلي إلى الموالاة والمصافاة.

وروي أن رجلا جاء إلى ابن مسعود فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي، فقال ابن مسعود : اذهب فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف ضوابط للإحسان إلى الجار، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط.

أولاً: أن يعلم المسلم أن الإحسان إلى الجار من أخص صفات المؤمن: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره.**

وروى الترمذي أن الرسول قال: **من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن** فقال أبو هريرة : أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي، فعد خمساً، فقال: **اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسمه لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر من الضحك، فإن كثرة الضحك تُميتُ القلبَ.**

ثانياً: الإخلاص لله : فعلى الإنسان منا عند إحسانه إلى جاره عليه أن يستصحب الإخلاص لله في كل عمل يقوم به؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

قال : **{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** [البينة: 5].

وقال : **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}** [الأنعام: 162، 163].

أما لو انعدم الإخلاص في الإحسان إلى الجار فيكون غير مقبول، روى مسلم أن الله يقول في الحديث القدسي: **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.**

ثالثاً: العفو والمسامحة: انطلاقاً من قول الله : **{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}** [الشورى: 40].

وروى أحمد أن الرسول قال: **وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله ، إِلَّا زَادَهُ الله بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة قالت: إنه كانت ليلتي منه فطحنت شيئاً من شعير، فجعلت له قُرصاً، فدخل فَرَدَّ البابَ، ودخل إلى المسجد، وكان إذا

أراد أن ينام أغلق الباب، وأوكأ القربة، وأكفأ القدح، وأطفأ المصباح، فانتظرته أن ينصرف فأطعمه القرص، فلم ينصرف، حتى غلبني النوم، وأوجعه البرد، فأتاني فأقامني، ثم قال:**أدفئيني، أدفئيني** فقلت: له إني حائض، فقال:**وإن اكشفي عن فخذيك** فكشفت له عن فخذي، فوضع خده ورأسه على فخذي، حتى دفئ، فأقبلتْ شاةٌ لجارنا داجنة (الداجن: كل ما ألِف البيوت وأقام بها من حيوان وطير) فدخلتْ ثم عمدتْ إلى القرص فأخذته، ثم أدبرت به، قالت: وقلقت عنه، واستيقظ النبي فبادرتها إلى الباب، فقال النبي :**خذي ما أدركت من قرصك ولا تؤذى جارك في شاته.**

رابعاً: أن تؤمن أن جيرانك أولى الناس بك وأحقهم بعطفك وخيرك: روى مسلم أن الرسول قال لأبي ذر:**يا أبا ذر: إذا طبخـتَّ مرقـةً، فأكثر ماءَها، وتعاهد جيرانك.**

وروى البخاري أن عائشة قالت: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أُهدي؟ قال :**إلى أقربهما منك باباً.**

وروى أبو داود عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه ذبحت له شاةٌ فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي؟ أهديت لجارنا اليهودي؟ فإني سمعت الرسول يقول:**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أن سيورثه.**

خامساً: أن تكون قدوة حسنة: وذلك في جميع أعمالك وتصرفاتك وأخلاقياتك مع جيرانك وجميع الناس.

فلا يليق بمسلم أن لا يكون قدوة لجريانه، فقال :**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [البقرة: 44].

ويقول :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}** [الصف: 3، 4].

سادساً: أن تحب لجارك ما تحبه لنفسك: روى الترمذي أن الرسول قال:**وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مسلماً.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَ لجاره، أو قال: لأخيه، ما يحبُ لنفسه.**

وقد اشتكى أحد سلفنا الصالح من كثرة الفئران في بيته، فقيل له: لو اقتنيت هراً؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر، فيهرب إلى دور الجيران، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

سابعاً: الصبر على آذاه: روى الطبراني في المعجم الكبير، أن أبا ذر قال: قال الرسول قال:**إِنَّ الله يُحِبُّ ثَلاثَةً: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ الله صَابِراً مُحْتَسِباً، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ورَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارُ سُوءٍ يُؤْذِيهِ، فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ، حَتَّى يَكْفِيَهُ الله إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، وِرَجُلٌ سَافَرَ مَعَ قَوْمٍ، فَارْتَحَلُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْكَرَى، أَوِ النُّعَاسُ، فَنَزَلُوا، فَضَرَبُوا بِرُءُوسِهِمْ، ثُمَّ قَامَ، فَتَطَهَّرَ، وَصَلَّى رَغْبَةً لله ، وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ.**

وروي أنه كان لمالك بن دينار جار يهودي، فحول اليهودي مستحمه إلى جوار بيت مالك، وكان الجدار متهدماً، فكانت تدخل منه النجاسات، ومالك يقوم على تنظيف هذه النجاسات، وهو صابر على هذا الإيذاء، وطالت المدة، حتى أن اليهودي ضاق صدره من صبر مالك حتى قال له: يا مالك، لقد آذيتك كثيراً، وأنت صابر، فما الذي حملك على هذا؟

فقال مالك بن دينار: قال الرسول :**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أن سيورثه** فندم اليهودي وأسلم، وحسن إسلامه.

وروي أن سهل بن عبد الله كان له جار ذمي، وكان هذا الذمي يرمي في دار سهل بالقاذورات، وكان سهل يجمع له هذه القاذورات، فمكث رحمه الله زماناً طويلاً على هذه الحالة، إلى أن حضرت سهلاً الوفاةُ، فدعا جاره الذمي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل الذمي فرأى القاذورات التي كان يرميها عليه، فقال له: ما هذا؟ فقال سهيل: هذا منذ زمن طويل يسقط من دارك إلى داري، ولولا أن حضرني أجلي، وأنا أخاف ألا تتسع أخلاقُ غيري لذلك، فافعل ما ترى، فقال الذمي: أيها الشيخ تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن بعيد، وأنا مقيمٌ على كفري، مد يدك،

فأن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهيل رحمه الله .

ثامنــاً: الالتــزام بالأســلوب الحســن: وذلـك يكـون بـالكلام الطيـب، والابتسـامة، والبشاشـة عنـد لقيـاهم، والـدعاء لهـم، فالكلمـة الطيبـة صـدقة، وتبسمك في وجـه أخيك صـدقة، وطلاقـة الوجـه صـدقة، روى ابـن حبـان عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ :**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ.**

وروى مسلم عنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لي النبـي :**لاَ تَحْقِـرَنَّ مِـنَ الْمَـعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ.**

واسمع معي إلى التوجيه الإلهي للرسول ، فقد حذره مـن القسـوة فـي المعاملة، فقـال :**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَـهُمْ وَلَـوْ كُنـتَ فَظـاًّ غَلِـيظَ القَلْـبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159].

تاسعاً: الاهتمام بالمناسبات الدينيـة: والتـي يحـث عليهـا الـدين الإسـلامي وإحيائها، مثل: الأعياد، وقدوم مولود جديد، والعقيقة، والزواج، والوفاة.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف حقوقاً للجار، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الحقوق.

الحق الأول: السلام عليـه: فالواجـب علـى المسلم أن يسلم علـى جـاره أينما لقيه، لأن السلام يعمق جذور الحب بين المسلمين، ويدخل الطمأنينـة في قلوب المسلمين، روى مسلم أن الرسـول قـال:**لا تـدخلوا الجنـة حتـى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.**

وروى الترمذي أن الرسول قـال:**أيها الناس: أفشوا السـلام، وأطعمـوا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**

وروى البخـاري ومسلم أن رجـلاً سـأل الرسـول : أيُّ الإسـلام خيـر، قال :**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.**

وقد يقول قائل: أنا ألقى السلام على جاري ولا يرد علـي، أقـول لـيس هـذا مانعـاً فـي عـدم إلقـاء السـلام، روى البـزار والطبرانـي أن الرسـول قال:**السلام اسم من أسـماء الله ، وضـعه الله في الأرض، فأفشـوه بيـنكم، فـإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه، كان له عليهم فضل درجـة**

بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم.

الحق الثاني: إذا مرض عدته: وعيادة المريض أي زيارته، وزيارة المريض لها ثواب عظيم من الله ، روى أبو داود والترمذي أن الرسول قال:**ما من مسلم يعود مسلماً غدوة، إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان في خريف الجنة.**

وروى مسلم أن الله يقول في الحديث القدسي:**يا بن آدم: مرضت فلم تعدني، قال: يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته، لوجدتني عنده.**

وروى ابن حبان أن الرسول قال:**خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضاً، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة.**

وإن كان جارك يهودياً أو نصرانياً، فلا بأس بعيادته إذا رجوت ذلك مصلحة للإسلام، فروى البخاري عن أنس بن مالك قال: كان غلام يهودي يخدم الرسول فمرض، فأتاه الرسول يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له:**أسلم** فنظر إلى أبيه، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي وهو يقول:**الحمد لله الذي أنقذه من النار.**

الحق الثالث: اتباع جنازته: يعني السير مع جنازته، إكراما له وتوديعاً كتوديع الضيف، واتباع الجنائز له ثواب عظيم حثنا عليه الرسول ، فروى أحمد والنسائي أن الرسول قال:**من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً، فصلى عليها، وأقام حتى تدفن رجع بقيراطين من الأجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ورجع قبل أن تدفن، فإنه يرجع بقيراط.**

الحق الرابع: إذا دعاك أجبته: وإجابة الدعوة فرض عين، إن لم يكن لديه عذر، والعذر نحو: إطفاء حريق، أو حضور صلاة الجماعة، أو دفن ميت، أو مرض، أو نحو ذلك، لما روى مسلم وأبو داود أن الرسول قال:**إذا دعا أحدكم أخاه فليجبه، عرساً كان أو نحوه.**

وروى أبو داود أن الرسول قال: **من دعي فلم يجب، فقد عصى الله**

ورسوله.

الحق الخامس: إذا استنصحك فانصح له: أي إذا طلب منك الرأي والمشورة، فأرشده إلى ما تراه صواباً، وانصحه فيما يغلب على ظنك أن فيه الخير له ولأسرته.

فروى مسلم أن الرسول قال:**الدين النصيحة قلنا لمن يا** رسول الله؟ قال :**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.**

الحق السادس: وداعه إذا كان مسافراً والدعاء له: فيستحب للمسلم أن يودع جاره إذا علم أنه مسافر، لما رواه الترمذي أن عبد الله بن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني حتى أودعك، كما كان الرسول يودعنا، فيقول:**أستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك.**

الحق السابع: أن يصلح ذات البين إن وُجِدَ بينهما شقاقٌ: فإصلاح ذات البين أفضل عند الله من درجة الصيام النفل والصلاة النفل والصدقة كذلك، روى أحمد والترمذي أن الرسول قال:**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**) قالوا: بلى، قال :**إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا.**

الحق الثامن: ألا يهجره فوق ثلاث: لأن الهجر يولد الشقاق والبغضاء والأحقاد، وإذا نظرنا إلى حالنا اليوم فإنه يوجد الخصام بين الجار لمدة طويلة قد تزيد عن السنة وربما أكثر، مع أن هذا محرم شرعا، فالمدة التي حددها الرسول في الخصام هي ثلاثة أيام فقط، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما من بدأ بالسلام.**

الحق التاسع: أن ينصره ظالماً أو مظلوماً: لما رواه البخاري أن الرسول قال:**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** قيل: يا رسول الله، ننصره مظلوماً، فكيف ننظره ظالماً؟ قال :**تمنعه عن الظلم، فذاك نصره إياه.**

الحق العاشر: أن يذبَّ عنه: لما روي أن الرسول قال:**ما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع يُنتَهك فيه عرضه، ويُستحَل حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ خذل مسلماً في موطن يُنتهَك فيه حرمته، إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته.**

الحق الحادي عشر : المواساة بالملبس والمأكل والمشرب: وذلك إن احتاج إليه في حضر أو سفر، فروى الطبراني وأبو يعلى والحاكم أن الرسول قال:**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع.**

وروى الطبراني في معجمه الأوسط أن رجلاً ذهب إلى الرسول وقال له: اكسني، فأعرض عنه، فقال يا سول الله: اكسني، فقال الرسول :**أما لك جار له فضل ثوبين** قال الرجل: بلى غير واحد، قال :**لا يجمع الله بينك وبينه في الجنة.**

وروى الأصبهاني أن الرسول قال:**كم من جارٍ متعلقٌ بجاره، يقول: يا رب سل هذا لم أغلق عني بابَه ومنعني فضلَه.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله لمن لم يحسن إلى جاره.

العقوبة الأولى: نفي الإيمان: ولقد أكد ذلك الرسول بالقسم المكرر، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن** قيل: من يا رسول الله؟ لقد خاب وخسر، قال :**من لا يأمن جاره بوائقه** قالوا: وما بوائقه؟ قال :شره.

العقوبة الثانية: مضاعفة العقوبة: روى أحمد أن الرسول قال لأصحابه :**ما تقولون في الزنا؟** قالوا: الزنا حرام، حرمه الله ورسوله إلى يوم القيامة، قال الرسول :**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره** فقال الرسول :**ما تقولون في السرقة؟** قالوا: السرقة حرام، حرمها الله ورسوله إلى يوم القيامة، فقال الرسول :**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أهون عليه من أن يسرق من بيت جاره.**

العقوبة الثالثة: اللعن من الله والناس: روى أبو داود أن رجلاً جاء على الرسول يشكو جاره، فقال :**اذهب فاصبر** فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال :**اذهب فاطرح متاعك في الطريق** فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه، فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه، فعل الله به، وفعل وفعل، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع، لا ترى مني شيئاً تكرهه.

وفي رواية الطبراني: أن الرجل جاء إلى الرسول يشكو إليه لعن الناس، ودعاءهم عليه، فقال له الرسول :**قد لعنك الله قبل أن يلعنك الناس.**

العقوبة الرابعة: دخول النار: روى أحمد والبخاري في الأدب، والحاكم، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يُذكرُ من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال :**هي في النار.**

وروى مسلم أن الرسول قال:**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.**

وأخيراً: يمكن القول: إن من سعادة الرجل أن يرزقه الله الجار الصالح، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:**أربع من السعادة: المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، والزوجة الصالحة.**

* * *

الاستقامـة

أسبـاب نـعيم القبـر

الاستقامـــة

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي نطقـت بوحدانيتـه جميـعُ الكائنـات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته، وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحار دائماً وأبداً تقول: سبحان من بمشيئته أجراني، وأسال عيون مائي لروادي، والعارف به دائماً وأبداً يقول: سبحان من دلني عليه، وإليه مرجعي ومآبي، حتى العاصي يقول: سبحان من اطلع عليَّ في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلني وهداني.

سبحانه: حدد الغاية الأسمى من بعثة الرسول ، وهي الهداية إلى الطريق المستقيم، فقال : **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}** [الشورى: **52، 53**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل تحكيم شرعه، وفعل الطاعات، طريقاً موصلاً إلى الاستقامة، فقال : **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً* وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً *وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً*وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}** [النساء: 65 - 68].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن استقامة أعضاء جسم الإنسان، متوقفة على استقامة اللسان، فروى الترمذي وابن خزيمة أن الرسول قال: **إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الاستقامة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن المسلم لا يستطيع أن يثبت على دين الله إلا بمدد من الله ﷻ، فمهما ادعى المسلم لنفسه، فلن يستطيع أن يثبت على دين الله بنفسه، فهو في حاجة ملحة ودائمة إلى الله ؛ ليثبته على دينه.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أبو داود والنسائي وغيرهما عن معاذ بن جبل قال: إِنَّ رَسُولَ الله أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ:**يَا مُعَاذُ، والله إِنِّي لأُحِبُّكَ**، فَقَالَ مُعَاذٌ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، وَأَنَا أُحِبُّكَ، فَقَالَ :**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**.

نعم اطلب العون والمدد من الله على عبادته ﷻ، وأنت إذا سلكت هذا الدرب المنير، لن يخزيك الله أبداً، أليس الله هو القائل:**{أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ}** [الزمر: **36**].

فهذا وعد من الله ، والله إذا وعد لا يخلف وعده، فقال : **{وَعْدَ الله لاَ يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** [الروم: **6**].

فالله هو الذي يصرف بصرك عن الحرام، وهو الذي سيصرف قلبك عن الشهوات والشبهات، وهو الذي سيحفظ فرجك من الحرام، وهو الذي سيصرف يديك عن البطش في الحرام، وهو الذي سيصرف قدميك من الخطا إلى الحرام، وهو الذي يحفظ بطنك من أكل الحرام.

وهذا ما فعله سيدنا يوسف حينما طلب النسوة منه فعل الفاحشة معهن، فقال :**{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباًّ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا**

رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف: 30 - 35].

وفعله أيضاً الرسول ، فروى ابن ماجه وابن أبي شيبة وعبد الرزاق عن أنس قال: كان النبي يكثر أن يقول:**يا مثبت القلوب، ثبت قلبي على دينك**، قالوا: يا رسول الله، آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال :**نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها**.

فالواجب على كل مسلم أن يطلب العون من الله ؛ ليثبته على طاعته، أليس هو القائل:{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: **36**].

الحقيقة الثانية: لقد كانت الاستقامة خلقاً من أخلاق الأنبياء والمرسلين، دون فرق بين نبي ونبي، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 83 - 87].

ثم فصل الله بعد ذلك، فهذا سيدنا إبراهيم كان ملتزماً بالاستقامة، فقال :{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: 120، 121].

وعندما التزم سيدنا إبراهيم بالاستقامة على منهج الله ، مدحه الله بقوله:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: 37].

وأمر سيدنا إبراهيم أباه باتباعه؛ لأن منهجه هو الصراط المستقيم، فقال :{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً}

[مريم: 43].

وهذا سيدنا موسى وسيدنا هارون قال الله عنهما: {وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصافات: 118].

بل تدبر معي قول الله لسيدنا موسى ولسيدنا هارون : {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يونس: 88].

وإذ بالحق ﷻ يقول:{قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [يونس: 89].

وهذا سيدنا عيسى وهو في المهد، يأمر بني إسرائيل أن عبادة الله هي الالتزام بالصراط المستقيم، فقال :{وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} [مريم: 36].

وهذا سيدنا محمد يقول الحق له:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: 112].

ولما نزلت هذه الآية الكريمة، قال الرسول :شمروا شمروا، وما رئي بعدها ضاحكاً.

وقال ابن عباس : ما نزلت آية على رسول الله في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية.

وروى الترمذي والطبراني والبزار أن الرسول قال:شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَوَاتُهَا، وأخواتها هي: الواقعة، المرسلات، النبأ، التكوير.

وقال :{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: 15].

وقال :{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 43، 44].

الحقيقة الثالثة: إن الشرع الحنيف جعل الاستقامة أمراً مفروضاً على

جميع المسلمين، دون تفرقة بين رجل وامرأة، ودون تفرقة بين متعلم وغير متعلم، فالكل سواء أمام هذا الأمر العظيم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمدٍ :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

فقال :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت: 6].

فالله بين لنا أن له سبيلاً واحداً، سماه صراطاً مستقيماً؛ لأنه أقرب طريق إلى الحق، والخير، والسلام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال:هـذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الرسول قول الله :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

وروى مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي، أنه قال: قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ أَحَدًا بَعْدَكَ؟ فَقَالَ :قُلْ: آمَنْتُ بالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ.

وكان الرسول يوصي أصحابه بها دائماً، وبالتحديد عند سفر أحدهم، فروى الحاكم والطبراني أن معاذ بن جبل أراد سفراً فقال: يا رسول الله ، أوصني، فقال :اعْبُدِ الله وَلا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، زِدْنِي، قَالَ :إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله زِدْنِي، قَالَ :اسْتَقِمْ وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ.

ومن ثم يمكن القول: بأن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فمن قال خيراً، وعمل خيراً، قبل

منه، ومن قال خيراً، وعمل شراً، لم يقبل منه، فروي البيهقي في شعب الإيمان وابن أبي شيبة عن الحسن قال: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل.

فمن استقام قلبه على معرفة الله وخشيته ومحبته، استقامت الجوارح كلها على طاعة الله ؛ لأن القلب أمير البدن، فإذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد، فسد الجسد كله، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:...**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ.**

فالواجب علينا جميعاً أن نستقيم على منهج الله ، ومنهج رسوله ، ونحقق ما قاله المولى :{**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**} [الحشر: 7].

فالله يذكّر العباد يوم القيامة بالاستقامة، وذلك على سبيل التقريع، فقال :{**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**} [يس: 60 - 62].

الحقيقة الرابعة: إن الله ﷻ حذرنا من الانحراف واتباع الهوى، ورتب العقاب الشديد على ذلك، فقال :{**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**} [النساء: 115].

وقال :{**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: 63].

واقرأ معي قول الله :{**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ**

الله لَهُ رِزْقاً} [الطلاق: 8 - 11].

وبالفعل لقد انحرفت الأمة عن الطريق المستقيم، وخالفت أمرَ ربها، فتفرقت إلى فرق ومذاهب شتى، ففعلت هذه التفرقة الأفاعيل في الأمة، مما جعلت الأمة لقمةً سائغةً لأعداء الله ﷻ، وجعلت الأمة تخضع لأذل أمم الأرض، أليس بنو إسرائيل قد كتب الله ﷻ عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله ؟

إن أغلب المسلمين الآن من هذه الأمة، أذل من إخوان القردة والخنازير، لماذا؟ لأن أولئك انحرفوا عن منهج التوراة فأذلهم الله ، والأمة الآن انحرفت عن منهج القرآن، الذي هو أعظم من التوراة، فأذلهم الله .

فالواجب على كل المسلمين إذا أرادوا أن يخرجوا من هذه الدوامة، التي تمر بها الأمة الإسلامية الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ، وإلا فإن الأمر سيزداد شدة على شدة، ومرارة على مرارة، ونحن قد لمسنا هذا بأيدينا، فماذا نريد بعد هذا؟ وإلى متى هذا التيه في الظلمات، والقرآن بين أيدينا، وسنة الرسول بين أيدينا، وفيهما النجاة، والضمان من الهلاك والخسران، قال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه: 123 - 127].

وروى الترمذي أن الرسول قال:إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

الحقيقة الخامسة: ما هي الاستقامة؟ الاستقامة هي: التمسك بأمر الله ، وأمر الرسول ، فعلاً وتركاً.

وقال ابن القيم: الاستقامة هي لزوم المنهج القويم، فمن هداه الله في

الدنيا إلى الصراط المستقيم، الذي أرسل به الرسول ، هدي هناك في الدار الآخرة إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على الصراط، الذي نصبه الله لعباده في الدنيا، يكون ثبوت قدميه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط، يكون سيره على ذاك الصراط، فليبتعد الإنسان عن الشبهات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط، فإنها الكلاليب التي تكون بجانبي ذاك الصراط المستقيم تخطفه، وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هناك.

إخوة الإسلام:

إن الحصول على الاستقامة ليس أمراً هيناً، بل هو بالغ الصعوبة؛ لأن هناك معوقات تعوق الإنسان على الحصول عليها، ومن هذه المعوقات ما يلي:

1 - إبليس: فقال :{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16، 18].

2 - النفس: فقال :{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [يوسف: **53**].

3 - الهوى: فقال :{فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى} [النازعات: **37 - 41**].

ولكن هناك أمور تعين الإنسان على الاستقامة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأمور.

أولاً: الاعتصام بالله :

إن من أهم الأمور التي تعين الإنسان على الحصول على الاستقامة، الاعتصام بالله ، فقال :{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [آل عمران: **101**].

وقال :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً

* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [النساء: 174، 175].

وكلما ازداد قلب المسلم تعلقاً بالله ، وتوكلاً عليه، كلما زادك الله تسديداً، وتوفيقاً، واستقامة على طاعته؛ لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان، قلبها كيف يشاء.

ثانياً: المسارعة إلى طاعة الله :

فالله حثنا على المسارعة إلى الخيرات، فقال :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133].

وقال :{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ} [الحديد: 21].

واستجاب الله دعاء سيدنا زكريا ؛ لأنه كان يسارع إلى الخيرات، فقال :{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90].

فالمسارعة إلى فعل الخيرات، تعين الإنسان على الحصول على الاستقامة، فقال :{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [النساء: 66 - 68].

وروى مسلم أن الرسول قال:بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا.

فيجب على العبد أن يُسرع إلى طاعة الله ، حتى يحصل على الاستقامة.

ثالثاً: التعايش مع القرآن الكريم:

فالله لم ينزل القرآن ليقرأ على الأموات في القبور، ولم ينزله الله

ليوضع في العلب القطيفة الفخمة الضخمة التي توضع في مؤخرة السيارة، وفي غرف الصالون.

ولم ينزله الله ليوضع في البراويز الفضية والذهبية ويعلق على الجدران والحوائط، ولم ينزله الله ليحلى به النساء صدورهن في مصاحف صغيرة، ولم ينزله الله ليهديه الحكام والزعماء إلى بعضهم البعض، فترى الحاكم يستلم المصحف منحنياً على كتاب الله ؛ ليقبله بخضوع جسدي كامل.

كلا، بل لقد أنزل الله على الرسول ليقيم به أمة ودولة، ويَسعدُ به البشر في الدنيا والآخرة، قال :{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9].

فقال :{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: **15**، **16**].

فقد جعل الله هذا الكتاب منهج حياة متكاملة، وجعله من أعظم أسباب الهداية والاستقامة، فقال :{الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: **1**، **2**].

رابعاً: الإخلاص في العبادة:

فالله أمرنا أن نعبده وحده، فلا نشرك معه غيره في العبادة، وأوجب على كل مسلم ضرورة الإخلاص في العبادة له وحده، فقال :{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله الرسول بضرورة الإخلاص في الأعمال، فقال عز وجل :{تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: 1 - 3].

وقال :{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً

لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المُبِينُ} [الزمر: 11 - 15].

بل جعل الله الإخلاص شرطاً في قبول الأعمال، فقال :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110].

فكلما أخلص المسلم في طاعة الله ، كلما وفقه الله لطاعته، ورزقه الاستقامة.

خامساً: طلب العلم والدعوة إلى الله :

فكلما ازداد العبد علماً، ازداد خشية، وكلما ازداد خشية، ازداد طاعة لله ، واستقام على أمر الله ، فقال :{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ} [فاطر: 28].

ومن تعلم العلم، فعمل به، ودعا الناس إلى الله ، فإن ذلك من أعظم أسباب الاستقامة على الطاعة؛ لأنه سيفوز بدعاء الكون كله له، فروى الترمذي أن الرسول قال: **إن الله وملائكته، وأهل السموات، وأهل الأرض، حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير.**

سادساً: الصحبة الصالحة:

فالرجل على دين خليله، وإن الصاحب ساحب، فإما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله ، وإما أن يأخذ بيدك إلى غضب المنتقم الجبار.

فابحث عن العلماء العاملين، والدعاة المؤمنين، والزم غرسهم، فإنهم سيأخذون بيديك إلى مرضاة الله ، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال: **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ.**

وفي رواية: **إلى من يخالل.**

وروى أبو داود والترمذي أن الرسول قال: **لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ.**

فعلى المسلم أن يحذر كل الحذر من الرفقة السيئة؛ لأنها تعين الإنسان على الانحراف، فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، ولقد حذرنا

الشرع الحنيف من الرفقة السيئة، فقال :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: 27 - 29].

سابعاً: الدعاء:

فعلى المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الاستقامة، فروى مسلم أن الله يقول في الحديث القدسي:**يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.**

وكان الرسول دائما كثير الدعاء، فروى مسلم عن عائشة قالت: كانَ نَبِيُّ الله إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ:**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.**

وروى ابن ماجه وابن أبي شيبة وعبد الرزاق عن أنس قال: كان النبي يكثر أن يقول:**يا مثبت القلوب، ثبت قلبي على دينك.**

وفي سورة الفاتحة يسأل العبد ربه الاستقامة، فقال :{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 6، 7].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: أن يكون الإنسان معرضاً عما سوى الله ، مقبلاً بكلية قلبه وفكره وذكره على الله ... وأن يصير بحيث لو أمر بذبح ولده، لأطاع، كما فعله إبراهيم ، ولو أمر بأن ينقاد ليذبحه غيره، لأطاع، كما فعله إسماعيل ، ولو أمر بأن يرمي نفسه في البحر، لأطاع كما فعله يونس ، ولو أمر بأن يتلمذ لمن هو أعلم منه بعد بلوغه في المنصب إلى أعلى الغايات، لأطاع، كما فعله موسى مع الخضر ، ولو أمر بأن يصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القتل والتفريق نصفين، لأطاع، كما فعله يحيى وزكريا .

إخوة الإســـلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة سلفنا الصالح لنتعلم كيف تكون الاستقامة على منهج الله ومنهج الرسول .

النمـــوذج الأول: قبـل وفـاة الرسـول كـان الرسـول قـد أعـد جيشاً تحت إمْرة أسامة بن زيد، وجهته الشام، وكان الجيش يوم أن مـات الرسول معكسراً على بعد ثلاثة أميال من المدينة متهيأً للسير، وأرجـأت وفاةُ الرسول زحفه، واختلف الرأي بعد هذا في أمره.

فرأى فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطـاب أن بعـث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبة، في الوقت الذي أصبحت المدينـة نفسـها عاصـمة الإسـلام مهـددة بغـزو المرتـدين، ورأوا ضـرورة عـودة الجـيش إلـى المدينـة؛ ليكـون فـي مواجهـة الأحـداث، وكـان أسـامة مـن أصحاب هذا الرأي.

والمسألة حين تقاس بـالمنطق المجرد لا يبدو الصواب إلا فـي هذا الرأي، الذي تبناه عمر وأسامة بن زيد .

لكن أبا بكر أراد أن يعطي الدنيا بأسرها درساً عملياً فـي الاستقامة على المنهج القويم، فكل قضية عند أبـي بكر تتسع للاجتهاد، إلا قضـية أبرم الله ﷻ فيها حكماً، أو أصدر الرسول فيها أمراً.

ولقد أمر الرسول قبيل وفاتـه أن ينفذ بعث أسامة، فليكن مـا أمـر الرسول به، مهما تكن مستجدات الظـروف، ومهمـا تكن الأخطـار التـي تهدد المدينة.

فقال أبو بكر : أنفذوا بعث أسامة، فو الله لو خطفتني الذئاب لأنفذتـه، كما أمر رسول الله ، وما كنت أرد قضاء قضاه الرسول .

وعاد بعض المسلمين وعلى رأسـهم عمـر بـن الخطـاب يطلبـون مـن أبـي بكـر أن يجعـل علـى رأس الجيش قائداً غيـر أسـامة الـذي كـان فتـى صغيراً محدود الخبرة، لا سيما وفي هذا الجيش شيوخ الصحابة .

وهذه المسألة إذا بحثت في ضوء المنطق المجرد، يبدو ذلك الـرأي سديداً، لم يكد عمر بن الخطاب يعرض الرأي على أبي بكر حتى وثـب أبو بكر من مكانه، وأخذ بلحية عمر بـن الخطـاب ، وقـال: ويحك يـا بـن

الخطاب أيوليه رسول الله ، وتأمرني أن أعزله، فماذا كانت نتيجة بعث جيش أسامة؟

كانت النتيجة أن القبائل التي مر بها جيش أسامة وهو في طريقه إلى الشام، لم تكد ترى هذا الجيش حتى عاد إليها صوابُها.

وقال بعضُهم لبعضٍ: والله لو كانت المدينة تئن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا، ما كان بوسعها أن تبعث هذا الجيش في هذه الأيام لتقاتل الروم.

النموذج الثاني: في صلح الحديبية وعندما تم الاتفاق على بنود الصلح، اعترض بعض الصحابة على هذا الصلح، لما فيه من شروط جائرة.

ووقف سيدُنا عمر بن الخطاب معترضاً، فقال: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ :بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ :بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ :**إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي**، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ، قَالَ :بَلَى، **فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ**، قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ :**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**.

قَالَ عمر : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟

قَالَ أبو بكر : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ الله وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَ الله إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ، قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ، قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

إخوة الإســلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على الاستقامة:

أولاً: كمال الإيمان:

روى أحمد أن الرسول قال:**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا**

يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.

ثانياً: البشرى الطيبة:

قـال :{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ} [فصلت: 30 - 32].

ثالثاً: الأمن من الخوف ونيل الجنة:

قـال :{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: 13، 14].

رابعاً: الرزق الواسع:

قـال :{وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً} [الجن: 16].

خامساً: المرور على الصراط في أمان:

قـال :{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ المَصِيرُ} [الحديد: 12، 15].

* * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أسبـاب نـعيم القبـر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :**{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ}** [النحل: 127].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: إذا قال العبد: لا إله إلا الله، أخذها ملك وصعد بها إلى السماء، فيلتقيه ملك نازل إلى الأرض، فيسأل الملكُ النازلُ الملكَ الصاعدَ: إلى أين؟ فيقول الملكُ الصاعدُ: أصعد بكلمة لا إله إلا الله من عبد قالها، ثم يسأل الملكُ الصاعدُ الملكَ النازلَ: وأنت إلى أين؟ فيقول الملكُ النازلُ: أنزل له ببراءة من النار من قبل الواحد القهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقوماً من مقومات الخيرية للأمة الإسلامية، فقال :**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** [آل عمران: 110].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : ألزمنا جميعاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فروى مسلم أن الرسول قال:**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية الأمة: هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم اليوم، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن النفس البشرية أمارة بالسوء، تواقة إلى الشر، تورد الإنسان موارد التهلكة، وتقوده إلى مواطن الشر والخسران، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [يوسف: 53].

وقد جرت العادة بأن النفس البشرية إذا اشتد ميلُها إلى الشهوات، تلهت عن اتباع أوامر الله ، ونسيت الوعد والوعيد، فهي في حاجة دائمة إلى من ينبهها إلى ما أوجبه الله عليها، ويخوفها من عقابه إن تجاوزت الحد وانتهكت الحرمات، قال :{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [ق: 45].

ومن هنا أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليرجعَ العاصي عن غيه، ويتوبَ إلى رشده، ويسلكَ سبيل ربه، فلا يُقصر في معروف، ولا يقترب من منكر، وصدق الله إذ يقول:{فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

الحقيقة الثانية: إن الشريعة الإسلامية جعلت الأمر بالمعروف والنهي عن النكر من أهم القواعد الدينية، وأجل الفرائض الشرعية، فهو القطب الذي تدور عليه رحى الدين، وهو المهمة العظمى التي من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين، فقال :{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى الله وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل: 36].

وقال :{رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء: 165].

وقال :{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} [الأعراف: 157].

فإذا ما وضعه المسلمون أمام أعينهم، ونفذوه في كل أحوالهم

وأعمالهم، رُفعِت رايتُهم، وقويت شوكتُهم، وعز جانبُهم، وهابهم أعداؤُهم، اقرأ معي قول الله :{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [النساء: 66 - 68].

الحقيقة الثالثة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مقصوراً على العلماء، وليس خاصاً برجال الدين فقط، وليس مختصاً بطائفة دون طائفة، ولا مقصوراً على فريق دون فريق، بل ذلك ثابت لآحاد الناس، ما دام المعروف من الواجبات الظاهرة، والمنكر من المحرمات المشهورة، فمن الذي لا يعرف أن الصلاة واجبة؟... ومن الذي لا يعرف أن أكل أموال الناس بالباطل حرام؟...

وليس من الضروري أن تصعد منبراً، أو تلقي محاضرة، فإذا رأيت في الطريق جاهلاً ساقط المروءة يتبع امرأة في سيرها، ويؤذيها بفاحش الكلام وساقط القول، أو يقف على مفترق الطرق ليعاكس ويغازل، فانهه عن ذلك، وإذا رأيت رجلاً ينقص في المكيال والميزان فانهه عن ذلك، وخوفه من عقاب الله ....

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النموذج لتكون على بينة من الأمر: هدهد سليمان ، ماذا فعل حين رأى بلقيس ملكة سبأ تعبد الشمس هي وقومها من دون الله ؟ وماذا كان دوره؟

لقد تحرك لكي يعمل لدين الله ، تحرك ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الذي وقع بصره عليه، فقام على الفور وأبلغ سيدنا سليمان ، فقال :{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} [النمل: 20، 24].

وهنا يعلن الهدهد براءته من هذا المنكر، ومن تلك العقيدة الفاسدة، فيقول المولى :{أَلاَّ يَسْجُدُوا لله الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [النمل: 25، 26].

أتعجز أن تكون مثل هذا الطائر الأعجم الذي تصرف بعقل وحكمة، ثم وجهه نبي الله سليمان التوجيه المبارك، فحمل الهدهد رسالة سيدنا سليمان ، وذهب إلى مكان المنكر، وأعطى الرسالة إلى امرأة بلقيس، فماذا كانت النتيجة؟ إنها إسلام القرية بأكملها، قال :{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لله رَبِّ العَالَمِينَ} [النمل: 44].

فالواجب على كل مسلم أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يجدد العهد مع الله ، وأن ينفض غبار الخمول والكسل عن رأسه، ويلتزم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انطلاقاً من قول الله :{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

الحقيقة الرابعة: إن المسلم إذا رأى منكراً من المنكرات لا يجوز له أن يغمض عينيه ويهز كتفيه، ويقول: حسبي أني مستقيم، وليس لي شأن بالمنحرفين الضالين، ولا شأن لي بهؤلاء العابثين الفاسقين، فهذا تصرف يأباه الدين، وترفضه الطباع السليمة، وإياك أن تفهم قول الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة: 105] خطأ، فالآية ليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد حذرنا المولى من إهمال هذا الواجب، فقال :{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الأنفال: 25].

يقول الرازي: " واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح ".

وحذرنا الرسول من هذا، فروى أحمد أن أبا بكر قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس: إنكم تقرؤون هذه الآية:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كَنتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة: 105]، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت الرسول يقول: **إن الناس إذا رأوا المنكر فلا يغيرونه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه.**

وروى الترمذي: أن أبا ثعلبة الخشني سأل الرسول عن هذه الآية: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كَنتُمْ تَعْمَلُونَ}** [المائدة: 105]، فقال: **بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أيامٌ الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد اهتم الدين الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اهتماماً بالغاً، وذلك على النحو التالي:

أولاً: قدم الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الذكر على الإيمان، فقال: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله}** [آل عمران: 110].

ثانياً: وقدمه في الذكر على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [التوبة: 71].

وفي هذا التقديم إيضاح وبيان لعظم شأن هذا الواجب، وبيان لأهميته في حياة الفرد والمجتمعات والشعوب، فبتحقيقه والقيام به تَصلح الأمة، ويكثر فيها الخير، ويضمحل الشر، ويقل المنكر.

ثالثاً: جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات

المؤمنين، فقال :{إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ* التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 111، 112].

وعلى العكس من ذلك أهل الشر والفساد، فقال :{والْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [التوبة: 167].

رابعاً: جعل الله هذا الواجب من خصال الصالحين، فقال : {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: 113، 114].

خامساً: بين الله أن سبب أفضلية هذه الأمة وخيريتها، أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله} [آل عمران: 110].

سادساً: بين الله أن الفلاح مقرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال :{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

سابعاً: بين الله أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في النجاة، فقال :{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 165].

ثامناً: جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة من علامات التمكين في الأرض، فقال :{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} [الحج: 41].

تاسعاً: وعد الله الآمر بالمعروف بالأجر العظيم، فقال :{لاَ خَيْرَ فِي

كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 114].

ولقد أوصى لقمان ابنه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال :{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [لقمان: 17].

وجاءت السنة النبوية تبين منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيبين لنا الرسول أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل يوصل إلى الجنة، فروى الطبراني في معجمه الكبير وابن حبان والحاكم عن أبي ذر قال: سألت الرسول على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال الرسول :**تؤمن بالله واليوم الآخر** قلت: يا رسول الله إن عمل؟ قال :**يتصدق مما رزقه الله** قلت: يا رسول الله: أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يتصدق؟ قال :**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**.

وروى مسلم أن الرسول قال:**إياكم والجلوس في الطرقات** فقال الصحابة : يا رسول ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث عليها، فقال الرسول :**إذا أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه** قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال :**غض البصر، كف الأذى، رد السلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف مراتب ثلاثة لتغيير المنكر، فتعالوا معي لنتعرف على هذه المراتب:

المرتبة الأولى: تغيير المنكر باليد:

فالإنسان يستطيع أن يغير المنكر بيده دون أن يؤدي إلى مفسدة أشد مما قصد تغييره، وليست هذه المرتبة خاصة بالحكام فقط، بل هي عامة، فالأب سلطان في بيته، ورئيس العمل سلطان في عمله، وكل جهة على حسب تخصصها، فتقوم هذه الجهة بإزالة المنكر، أو تلك المخالفة حسب ما تقضيه الحالة.

وليس من حقك أن تعتدي على إنسان فعل منكراً فتضربه بيدك، وإلا

أصبح المجتمع في فوضى، فكل إنسان يضرب إنساناً ويقول: أنا ضربته؛ لأنه كان يفعل منكراً، أو يقتل إنساناً آخر، ويقول: إنه فعل منكراً.

المرتبة الثانية: تغيير المنكر باللسان:

إذا لم يقدر الإنسان على تغيير المنكر باليد، فليغيره بلسانه، فتكون النصيحة باللسان، بالكلمة الطيبة، انصحه بلطف وحلم، قال :{وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].

وللنصيحة آداب منها ما يلي:

أولاً: ألا تنصحه أمام الناس علانية:

فالواجب على الناصح إذا أراد أن ينصح أحداً، فيجب أن تكون النصيحة في السر، فلا تقل له أمام الناس: أنت تارك للصلاة مثلاً، لأنك لو قلت له ذلك، فإنك حينئذ تشهر به وتفضحه، ولذلك يقول الشافعي: " **من نصح أخاه سراً، فقد نصحه وزانه، ومن نصحه جهراً، فقد فضحه وشانه** ".

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فإذا ما أراد أن ينصح أحداً كان يقول:**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.**

وكان سيدنا عمر جالساً ذات مرة مع الناس، فأخرج رجل منهم ريحاً، فقال عمر : "**عزمت على صاحب هذا أن يتوضأ**" وكان جرير بن عبد الله حاضراً، فأحب أن ينقذ صاحب الريح من الحرج، فقال: " **يا أمير المؤمنين لو تعزم علينا جميعا أن نتوضأ** " فأعجب عمر بالرأي الذي أشار به جرير بن عبد الله ، وقال له: " **جزاك الله** "، وأمر الناس جميعاً أن يتوضؤوا، ونجا صاحب الريح بفضل نصيحة جرير .

ثانياً: أن يكون النصح بالكلمة الطيبة الرقيقة المهذبة:

لقول الله :{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125].

وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم مع أبيه، فكان ينصحه برفق وهدوء، فقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياًّ * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياًّ * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياًّ * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ} [مريم: 41 - 48].

والرسول طبق هذا عندما بال الأعرابي في المسجد... والرجل الذي أراد أن يرخص له في الزنا...

وذات يوم استأذن رجل في الدخول على الخليفة العباسي المأمون، فلما أذن له، دخل عليه وحياه، ثم أخبره أنه ما حضر إليه إلا ليعظه ويخبره بعيوبه وينصحه، فتكلم بلهجة حادة، وأغلظ له في القول فتعجب المأمون من هذا الرجل الذي لم يقدم له النصيحة في رفق ولين وحكمة، فقال له: يا رجل ارفق، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، فتعجب الرجل وتساءل عن الذي بعثه الله ناصحاً، وهو خيراً مني، وعن ما هو شر منه.

فقال له المأمون: بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون، وقال لهما:{فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44].

ثالثاً: أن يكون الناصح قدوة:

فيطابق قوله فعله؛ ليكون أشد تأثيراً في نفوس الناس، اقرأ معي قول الله :{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: 2، 3].

وهذا ما حدث للرسول في صلح الحديبية... حين خرج بنفسه وذبح الهدي بنفسه ودعا الحلاق ليحلق له، ويتحلل من إحرامه، فلما رأى الصحابة الرسول يفعل ذلك، فعلوا وتحللوا من إحرامهم.

المرتبة الثالثة: تغيير المنكر بالقلب:

وهذه المرتبة إنما تكون لمن لا يستطيع أن يغير المنكر بلسانه ولا بيده، وليس معنى الإنكار أن يقف المسلم موقفاً سلبياً ويقول: أنا منكر بقلبي ويترك الأمر، لا، بل معناه أن لا تصاحب ولا تجالس هذا الإنسان الذي رأيته يفعل المنكر، حينئذ يشعر هذا الإنسان بأنه معزول عن المجتمع منبوذ، فيرجع إلى رشده ويعلم أنه مخطئ.

وهذا ما فعله الرسول مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فعزل الرسول المجتمع كله عن هؤلاء الثلاثة، ونزل فيهم قول الله : **{وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** [التوبة: 118].

والثلاثة الذين خلفوا هم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلهم من الأنصار، ومكث هذا خمسين ليلة.

إخوة الإسلام:

لقد وضع العلماء شروطاً لتغيير المنكر، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الشروط.

الشرط الأول: أن يكون المنكر محرما مجمعاً على تحريمه:

وذلك مثل الكبائر المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، فلا بد وأن يكون المنكر في درجة المحرم، أي ثبت إنكاره بنصوص الشرع المحكمة، أو قواعده القاطعة.

أما ما اختلف فيه الفقهاء بين مجيز ومانع، فلا يدخل في دائرة المنكر، مثل: القنوت في صلاة الصبح، والجهر بالبسملة...

الشرط الثاني: أن يكون المنكر ظاهراً:

أي يكون المنكر ظاهراً مرئياً، أما ما استخفى به صاحبه عن أعين الناس وأغلق عليه بابه، فلا يجوز لأحد من البشر أن يتجسس عليه، وهذا يدل عليه لفظ الحديث:من رأى منكم منكراً... .

فقد أناط الرسول التغيير برؤية المنكر ومشاهدته، ولم ينطه بالسماع

عن المنكر من غيره، فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه، لا يجوز لأحد أن يتجسس عليه.

الشرط الثالث: ألا يؤدي تغيير المنكر إلى منكر أشد:

أي لا يخشى من أن يترتب على إزالته منكراً أكبر منه، كأن يكون سبباً لفتنة تسفك فيها دماء الأبرياء، وتنتهك فيها الحرمات، ولهذا قرر العلماء مشروعية السكوت على المنكر مخافة ما هو منكر أنكر منه وأعظم، (ارتكاب أخف الضررين).

الشرط الرابع: اختيار الرجل المناسب لتغيير المنكر:

وهذا ما فعله الرسول في صلح الحديبية، عندما أراد إرسال سيدنا عمر إلى مكة، فرفض عمر وأشار عليه بعثمان بن عفان .

الشرط الخامس: الصبر:

وهذا ما أوصى به لقمان ابنه، فقال :**{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}** [لقمان: 17].

الشرط السادس: اختيار الوقت المناسب:

روى مسلم أن الرسول قال للسيدة عائشة :**لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية، لهدمت البيت وأقمته على قواعد إبراهيم.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الآثار السلبية المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولاً: وقوع الهلاك والعذاب:

قال :**{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ}** [الأنفال: 25].

يقول الرازي: " واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح ".

وروى البخاري أن الرسول قال:**والذي نفسي بيده: لتأمرن بالمعروف**

ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم.

وقد يقول قائل: وما ذنبي وأنا لا أفعل المنكر؟ أقول: لأنك قد رأيت المنكر ووقفت أمامه ولم تغيره بأي أسلوب من أساليب التغيير، لم تغير وجهك، ولم تغضب حين انتهكت حرمة من حرمات الله .

روى البخاري أن الرسول قال:**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعاً.**

ثانياً: عدم إجابة الدعاء:

روى أحمد أن الرسول قال:**مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم.**

ثالثا: اللعن:

روى أبو داود أن الرسول قال:**والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضاً، ثم ليلعنكم.**

وما حدث لبني إسرائيل ليس يغيب علينا، فأصابهم لعن الله بسبب تركهم لهذا الواجب، فقال :**{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [المائدة: 78، 88].

* * *

التواضـع

أسبـاب نـعيم القبـر

التواضع

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

سبحانه: جعل التواضع سبباً من أسباب النجاة في الدار الآخرة، فقال :{تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواًّ فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: 83].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: يرفع المتواضعين، فروى أحمد أن عمر بن الخطاب قال: قال الله :**من تواضع لي هكذا** وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها**رفعته هكذا** وجعل باطن كفيه إلى السماء، ورفعهما نحو السماء.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الكبر يمنع صاحبه من دخول الجنة، فروى مسلم أن الرسول قال:**لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر** فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال :**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق – دفعه ورده - وغمض – احتقار - الناس.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من الأسباب الموجبة للجنة، ألا وهو **التواضع؛ انطلاقاً** من الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم أن الرسول قال:**من مات وهو بريء من الكبر والغلول والدين، دخل الجنة.**

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتى في الله:

بدايـة وقبـل أن نتنـاول موضـوعنا اليـوم، يجـب علينـا أن نقـف علـى بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الله اختص لنفسه صفات، لا يجوز لنـا نحـن البشـر أن نشارك الله فيها ولا نزاحمـه فيهـا، ومـن هذه الصفات التـي اختصـها لنفسه، ولا يجوز لنا أن نشاركه فيها، صفة الكبر.

فصفة الكبـر مـن الصـفات الواجبـة لله ، ولقـد أشـار المولـى إلـى هذه الحقيقة، فقـال:{**هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الحشر: 32].

وعلى الرغم من هذه الحقيقـة التـي يجـب أن نـؤمن بهـا، إلا أننـا نـرى طائفة من الناس قد أصابهم العتهُ، ودخل في قلوبهم التيهُ والعُجبُ، وتمكن منهم الشذوذُ والانحرافُ، حتى أعماهم الجهلُ، وأرادوا أن يشاركوا الرب في صفة الكبر التي اختص الله بها دون خلقه، وانفرد بها دون سواه.

فمن أجل هـذا: نجد أن الله توعد لمـن انحـرف عـن المـنهج السـوي، واتصــف بصــفة الكبــر، فــروى الحــاكم أن الله يقــول فــي الحــديث القدسي:**العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما أخذته ولا أبالي**.

وروى مسلم أن الرسول قـال:**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقـالُ ذرة من كبر**.

بل بين لنا الرسول أن الله أعد الخسف للمتكبر، فروى البخـاري أن الرسول قـال:**بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يجرُ إزارَه من الخيلاء، خُسِفَ به، فهـو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**.

وليس ببعيد عنا ما حدث لقارون حين تكبر بمالـه، فقال :{**إِنَّ قَـارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْـبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِـيمَا آتَـاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْـكَ وَلاَ تَبْـغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُـوَّةً وَأَكْثَـرُ جَمْعـاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ**

الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: 76 - 81].

الحقيقة الثانية: إن الله أوجب علينا التواضع، وأمرنا به في قرآنه فقال :{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 18، 19].

وقال :{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} [الإسراء: 37، 38].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل نجد أن الله أمر نبيه محمداً بالتواضع، فقال :{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215].

ولقد أمرنا الرسول بالتواضع أيضاً، فروى مسلم أن الرسول قال:**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحد.**

بل الأعجب من هذا كله: أن الله جعل التواضع أول شرط من شروط قبول الصلاة، فروى البزار أن الله يقول في الحديث القدسي:**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين والمصاب والأرملة وابن السبيل.**

فإذا كنت تريد أن تُقبل صلاتك وعبادتك كلها فعليك الالتزام بهذا الواجب (التواضع).

الحقيقة الثالثة: إن التواضع من أجل النعم التي أنعم الله على عباده، فقد جعله الله أول صفة من صفات عباده، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً} [الفرقان: 63].

فأي شرف يضاهي هذا الشرف، وهو أن المتواضع منسوب للرحمن، منسوب إلى ذات الله المقدسة، وقد رضي الله أن ينسبهم إلى ذاته المقدسة باسم الرحمن؛ الذي يشعر بأنهم أهل لرحمة الله ، وأنهم في دائرة هذه الرحمة، وأن الرحمة تحيطهم عن يمين وعن شمال، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، فهم عباد الرحمن.

فهل تريد أخي المسلم أن تكون من عباد الرحمن؟ هل تريد أن تنسب إلى الله ؟ هل تريد أن تكون واحداً من هؤلاء؟ فإذا كانت إجابتك بنعم، فالواجب عليك أن تكون من أهل التواضع، حتى يتحقق فيك قول الله : **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً}** [الفرقان: 63].

الحقيقة الرابعة: ما هو التواضع؟ التواضع هو: انكسار القلب، وخفض الجناح والرحمة للخلق.

وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: يخضعُ للحقِّ، وينقادُ له، ويقبلُهُ ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله.

انطلاقاً من قول الرسول في الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره:**الحكمة ضالة المؤمن، أني وجدها فهو أحق بها.**

ويقول الرسول :**خذ الحكمة من أي وعاء خرجت، ولا يضرك من أي وعاء خرجت.**

إخوة الإسلام:

إن التواضع ليس كلمة تردد، أو شعاراً نعلقه على الصدور، بل التواضع خلق وسلوك من الإنسان في كل مجالات حياته، في مِشيته، في لباسه، في تناول طعامه وشرابه، في إلقاء كلامه، في تصرفاته كلها، فالتواضع سلوك عملي، يجب أن يطبق على أرض الواقع، وليس سلوك قولي، فتعالوا معي لنتعرف كيف يحقق الإنسان التواضع، فالإنسان لن يحقق التواضع بالكلام، وإنما يحققه بالأمور التالية:

الأمر الأول: البساطة في كل شيء وعدم التكلف:

فالواجب على المسلم الذي يريد أن يحقق التواضع أن يكون بسيطاً في كل شيء، ويترك التكلف؛ لأن البساطة من التواضع، والتكلف من الكبر المنهي عنه.

روى الطبراني أن الرسول قال:**طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسألة، وأنفق ماله في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة.**

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد كان بسيطاً في كل شيء، فلقد ضرب الرسول أروع النماذج في البساطة، فتعالوا معي لنسوق بعض النماذج من بساطة الرسول .

النموذج الأول: نهيه أصحابه عن القيام له عند دخوله عليهم:

فكان الرسول لا يحب أن يقوم له أحدٌ عند دخوله عليه، فقال لأصحابه :**إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم.**

وقاموا ذات مرة له فغضب، وقال:**من سره أن يتمثل الناس له قياماً، فليتبوأ مقعده من النار.**

وعن أنس بن مالك قال: " **ما كان شخصٌ أحبَّ إلينا من رسول الله ، وكنا إذا رأيناه لم نقمْ له، لم نعلمْ من كراهته لذلك** ".

هذا هو حال الرسول في هذا الجانب، وانظر إلى حالنا اليوم: نجد أن هناك فارقًا شاسعًا بين ما نحن عليه اليوم وما كان عليه الرسول ، فنجد الشخص منا يغضب وربما يثور إذا دخل على جماعة ولم يقم له أحد، ويقول: كيف لا يقم أحد إليَّ وأنا كذا وكذا، ويعدد مناقبه.

إذا كان الرسول بلغ من تواضعه أنه نهى الصحابة عن القيام له عند دخوله عليهم، فنحن أحرى بذلك.

النموذج الثاني: نهيه أصحابه عن مدحه إياه:

فكان النبي لا يحب أن يمدحه أحد، ولا يرفعه فوق قدره، ذات مرة جاء أحد الصحابة للرسول قائلاً له: يا رسول الله، إني قلت شعراً أثنيتُ به على الله ومدحتك، فقال :**ما أثنيت به على الله فهاته، وأما ما مدحتني به فدعه عنك.**

وقال :**يا أيها الناس لا ترفعوني فوق قدري، فإن الله قد اتخذني عبداً قبـل أن يتخذني نبياً**.

وروى مسلم عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله فقال: يا خير البرية، فقال الرسول :**ذاك إبراهيم** .

وروى البخاري عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول على المنبر: سمعت الرسول يقول:**لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله** والإطراء: هو مجاوزة الحد.

هذا هو حال الرسول كان لا يحب أن يمدح بما ليس فيه، وهذه هي البساطة التي بها يتحقق التواضع.

أما نحن اليوم نحب أن نُمدحَ بصفات حتى ولو لم تكن فينا، مع أن ذلك منهي عنه، فقال :{**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [آل عمران: 188]

النموذج الثالث: التهوين على الناس أحوالهم:

فلقد بلغ من بساطة الرسول أنه كان يهون الأمور على غيره، فروى الحاكم أن رجلاً كلم النبي يوم فتح مكة، فأخذته الرعدة، فقال الرسول :**هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد** أي اللحم المجفف.

وروى أبو يعلى عن عائشة قالت: قال الرسول :**آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**.

النموذج الرابع: نهيه عن تقبيل يده:

فكان الرسول لا يحب أن يُقَبِّلَ أحدٌ يدَه، فعن أبي هريرة أنه قال: دخلت السوق مع الرسول فاشترى ما يخصه، وقال للوزان:**زن وأرجح** ثم قال أبو هريرة: فوثب إلى يد الرسول يقبلها، فجذبها الرسول وقال:**هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم**.

يقول أبو هريرة : فذهبت لأحمل ما اشتراه الرسول ، فقال:**لا، صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله**.

ما هذا؟ إنها البساطة من الرسول ، والتي بها يتحقق التواضع، فيالتنا نقتدي بالرسول .

ولقد اقتدى سلفنا الصالح بالرسول ، وحققوا البساطة، فاتصفوا بالتواضع، فهذا سيدنا عمر يحقق البساطة وهو أمير المؤمنين.

أخرج ابن عساكر من طريق سيف عن الحسن فذكر الحديث في تنفيذ جيش أسامة ، وفيه: ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيّعهم وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلنّ.

فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما عليّ أن أغبر قدميّ ساعة في سبيل الله ، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له، وسبع مائة درجة ترفع له، وتمحى عنه سبع مائة خطيئة. حتى إذا انتهى، قال له: إن رأيتَ أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل؟ فأذن له.

وعن الحسن قال: خرج عمر بن الخطاب في يوم حار، واضعاً رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال عمر : يا غلام احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال : اركب وأركب أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب سيدنا عمر خلف الغلام، ودخل المدينة والناس ينظرون إليه.

وأخرج الحاكم بسنده عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح ، فأتوا على مخاضه وعمر على ناقة له فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة، ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر : أوه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ، إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به، أذلنا الله .

إخوة الإسلام:

ومن الأمور التي يتحقق بها التواضع: **مشاركة الناس في أعمالهم**:

فالواجب على المسلم الذي يريد أن يحقق التواضع أن يشارك الناس في أعمالهم بقدر الاستطاعة، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد كان يشارك الناس في الأعمال، وبخاصة الأعمال الشاقة، دون ضجر أو تأفف، وهناك نماذج من حياة الرسول في مشاركة الناس أعمالهم.

النموذج الأول: في غزوة الأحزاب (الخندق) كان الرسول يحفر مع أصحابه، وكان يحمل التراب على كتفيه، حتى اغبرت بطنه، وهو يقول:

اللهم لـو لا أنـت مـا اهتـدينا ::: ولا تصـدقنا ولا صـلينا

فـأنزلنَّ سـكينةً علينـا ::: وثبت الأقـدام إن لا قينـا

والمشـركون قـد بغـوا علينـا ::: وإن أرادوا فتنـة أبينـا

فهذا تواضع من الرسول ولم يستعمل سلطته كرئيس دولة، حتى وإن كان ذلك، فيجب أن يكون قدوة للرعية كلها.

أما نحن اليوم فحدث ولا حرج، يأنف رئيس العمل أن يشارك المرؤوسين ويقول: لا يليق بي ومنصبي أن أشارك المرؤوسين في العمل، ونسى الجميع أن الرسول كان يشارك الصحابة في العمل، وجهل بعض الناس أن مشاركة الناس في أعمالهم تحقق لهم التواضع.

النموذج الثاني: ذات مرة كان الرسول في سفر مع أصحابه، أمر أصحابه بطهو شاة، فقال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال الآخر: عليَّ سلخها، وقال الثالث: عليَّ طبخها، فقال الرسول :**وعليَّ جمع الحطب** فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل.

قال الرسول :**علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه**.

وأولى الناس بالمشاركة في أعمالهم هم الأهل، والرسول كان يشارك أهله في العمل، فعن عروة بن الزبير قال: سأل رجلٌ عائشة هل

كان رسول الله يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان رسول الله يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته، كما يعمل أحدكم في بيته.

وروى البخاري عن عائشة أنها قالت: كان الرسول في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إليها.

إخوة الإسلام:

ومن الأمور التي يتحقق بها التواضع: **عدم تغير النفس بعد تغير المكانة:**

فالواجب على الفرد فينا إذا وصل إلى أعلى المناصب أن لا تتغير نفسُه، وهناك نماذج من حياة سلفنا الصالح في هذا المضمار:

النمــوذج الأول: سيدنا أبو بكر وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد الرسول ، ما طلعت شمس على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر، ولو وزن إيمان الخلق بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر، بلغ من تواضعه أنه كان يقوم بخدمة جارة له عجوز، فكان يحلب لها شياهها كل يوم، فلما تمت له البيعة، وأصبح خليفة للمسلمين، وهذا أعلى منصب في الدولة، غلب على ظن هذه الجارة العجوز أن أبا بكر سوف ينساها، ففي صبيحة اليوم الأول من تسلم هذا الخليفة العظيم منصب الخلافة، طرق باب العجوز، قالت لابنتها: يا ابنتي افتحي الباب، ثم سألتها من الطارق؟ قالت ابنتها: جاء حالب الشياه يا أمي.

النموذج الثاني: سيدنا عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة في جولة من جولاته التي كان يخرج فيها وحيداً والناس نيام، ليطمئن على قومه، ويتفقد أحوالهم، وعند مشارف المدينة رأى كوخاً ينبعث منه أنين امرأة، فاقترب يسعى ورأى رجلاً يجلس بباب الكوخ، وعلم منه أنه زوج السيدة التي تئن، وعلم أنها تعاني كرب المخاض، وليس معها أحد يعينها، ورجع عمر إلى بيته مسرعاً، وقال لزوجته أم كلثوم بنت سيدنا علي : هل لك في مثوبة ساقها الله إليك؟ قالت: خيراً؟ قال: امرأة غريبة تمخض، وليس معها أحد، قالت: نعم إن شئت.

وقام فأعد من الزاد والماعون ما تحتاجه الوالدة من دقيق وسمن ومَزق ثياب يلف فيها الولد، وحمل عمر القدر على كتف والدقيق على

كتف، وقال لزوجته: اتبعيني، ويأتيان الكوخ، وتدخله أم كلثوم لتساعد المرأة في مخاضها، أما أمير المؤمنين عمر فيجلس خارج الكوخ، وينصب الأثافي ويضع فوقها القدر، ويوقد تحتها النار، وينضج للوالدة طعاماً، والزوج يرمقه شاكراً، ولعله كان يقول في نفسه: بأن هذا العربي أولى بالخلافة من عمر .

وفجأة صرخ في الكوخ صراخ الوليد، لقد وضعته أمه بسلام، وإذ صوت أم كلثوم ينطلق من داخل الكوخ عالياً: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

ويفيق الأعرابي من الدهشة، ويستأخر بعيداً على استحياء، ويحاول أن ينطق الكلمتين: أمير المؤمنين، ولكن شفتاه لا تقويان على الحركة من فرط المفاجأة.

ويلحظ عمر كل هذا فيشير للرجل: أن ابق مكانك ولا تخف، ويحمل أمير المؤمنين القدر ويقترب من باب الكوخ منادياً رضى الله عنه زوجته: خذي القدر يا أم كلثوم، وأطعمي الأم وأشبعيها، وتطعمها أم كلثوم حتى تشبع، وترد القدر إلى سيدنا عمر بن الخطاب بما بقي من الطعام، فيضعها سيدنا عمر بين يدي الأعرابي، ويقول له: كل واشبع، فإنك قد سهرت طويلاً وعانيت كثيراً.

ثم ينصرف هو وزوجته بعد أن يقول للرجل: إذا كان الصباح فائتني بالمدينة لآمر لك من بيت المال ما يصلحك، ولنفرض لوليدك حقه.

هكذا كان حال سلفنا الصالح، لم تتغير نفوسهم بالمناصب، ولكن المناصب كانت تزيدهم تواضعاً، أما نحن الآن فحدث ولا حرج، فبمجرد وصول الإنسان إلى أعلى المناصب تتغير نفسه، وينسى من هو أدنى منه.

ومن الأمور التي يتحقق بها التواضع: **إلقاء السلام:**

فالإسلام يرغبنا في السلام، فروى الترمذي أن الرسول قال:**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**

وروى ابن حبان أن الرسول قال: **إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام.**

ولكن للأسف الشديد نجد بعض الناس قد أصابهم العته والكبر، فيأنف الفرد أن يلقي السلام على غيره، مع أن الرسول بين أن السلام سبب من أسباب انتشار المحبة بين الناس.

ومن الأمور التي يتحقق بها التواضع أيضا: **مشورة الناس**: فالرسول كان دائما يأخذ بمشورة أصحابه في غير أمور الوحي، ففي غزوة بدر الكبرى أخذ الرسول بمشورة الحباب ابن المنذر في أن يجعل مياه بدر خلفه لئلا يستفيد منها المشركون.

وفي غزوة الأحزاب أخذ الرسولُ بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق، وكان يقول لأصحابه: **أشيروا عليَّ، أشيروا عليَّ.**

ومن التواضع أيضاً: العمل في أي مهنة طالما كانت حلالاً: فكان الرسول يرعى الغنم، روى ابن ماجه أن الرسول قال: **ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم** فقال الصحابة : وأنت يا رسول الله، قال : **وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على التواضع.

أولاً: قبول الصلاة:

روى البزار أن الله يقول في الحديث القدسي: **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين والمصاب والأرملة وابن السبيل.**

ثانياً: محبة الله :

قال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** [المائدة: 54].

ثالثاً: الرفعة في المكانة:

روى مسلم أن الرسول قال:**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبـداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.**

وروى ابن ماجه أن الرسول قال:**من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة، حتى يجعله في أعلى عليين.**

رابعاً: الفوز بالآخرة:

قال :{**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّـذِينَ لاَ يُرِيـدُونَ عُلُـواًّ فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} [القصص: 83].

خامساً: الفوز بالجنة:

روى الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم أن الرسول قال:**من مات وهو بريء من الكبر والغلول والدين، دخل الجنة.**

سادساً: المكانة العالية في الجنة:

روى الطبراني أن الرسول قال:**طوبى لمن تواضع في غير منقصة....**

* * *

حرمة الدم المسلم

أسباب عذاب القبر

حرمـــة الدم المسلم

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلا ما تشكرون.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :{صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: 138].

وقال :{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: شرع القصاص حرمة للدم المسلم، فقال :{وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 179].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن زوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن، فروى مسلم والترمذي والنسائي أن الرسول قال:لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رجُلٍ مُسْلِمٍ.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

حرمة الدم المسلم: هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم اليوم، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على

بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله كرم الإنسان تكريماً عظيماً، حيث خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 7 - 9].

وقال :{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ} [ص: 71 - 76].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أنزل الله له الكتبَ والرسلَ، ووضع له شريعةً محكمةً، تضمن له الحقوقَ، وتحقق له السعادةَ في الدنيا والآخرة، فقال :{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً} [النساء: 66 - 70].

وإن أول حق، وأعظم حق ضمنته الشريعة الإسلامية لكل إنسان على وجه الأرض، أياً كان هذا الإنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، هو حق الحياة، فقال :{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151].

وقال :{وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْـحَقِّ وَمَن قُتِـلَ مَظْلُومـاً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي القَتْـلِ إِنَّـهُ كَـانَ مَنصُـوراً} [الإسراء: 33].

فـالله وحـده خـالق الحيـاة وواهبهـا، ولا ينبغـي لأحـد البتـة مهمـا كانت سلطته، أن يسلب هذه الحياة من أحد، إلا بـأمر الله ، فـي نطـاق الحـدود التـي شـرعها الله ، ولا يسـلب الـروحَ إلا خـالقُها، فهـو عليم بهم، خبيـر بمـا يُصلحهم ويُفسدهم، فقـال :{أَلاَ يَعْلَـمُ مَـنْ خَلَـقَ وَهُـوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ} [الملك: 14].

ومن هنا يجب على كل فرد أن يعي تماماً أن حق الحياة مكفول لكل إنسان، وأنه لا يسلب الحياة إلا خالق الحياة.

الحقيقـة الثانيـة: إن الـدين الإسـلامي سـوى بـين الـدم والمـال فـي الحرمة، فحرمة الدم كحرمـة المـال، ورتـب العقـاب الشـديد علـى من يعتدي على النفس بدون حق شرعي.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُـونَ تِجَـارَةً عَـن تَـرَاضٍ مِّـنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَـن يَفْعَـلْ ذَلِـكَ عُـدْوَاناً وَظُلْـماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: 29، 30].

ولقـد أشـار الرسـول إلـى هـذه الحقيقـة أيضـاً، فـروى البخـاري ومسلم أن الرسول قال:الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السماوات وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَـا أَرْبَعَـةٌ حُـرُمٌ، ثَـلَاثٌ مُتَوَالِيَـاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْـحَجَّةِ، وَالْـمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَـعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟، قُلْنَـا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّـى ظَنَنَّـا أَنَّـهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَـالَ :أَلَيْسَ ذَا الْـحَجَّةِ؟، قُلْنَـا: بَلَـى، قَـالَ :أَيُّ بَلَـدٍ هَـذَا؟، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَـالَ :أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟، قُلْنَا: بَلَـى، قَـالَ : فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟، قُلْنَـا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

فسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قالَ :أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ :

فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كفاراً أو ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

فالواجب على كل مسلم أن يعلم علم اليقين أن حرمة الدم لا تقل عن حرمة المال، وأن الاعتداء على النفس يوجب النار، فقال : {وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: 29، 30].

الحقيقة الثالثة: إن الله جعل الدماء أول ما يقضى فيها من حقوق العباد يوم القيامة، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ.

وروى النسائي أن الرسول قال:أولُّ ما يحاسب عليه العبدُ الصلاة، وأن أولَّ ما يُقْضَى بين الناس في الدماء.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرمة الدماء عند الله ، وأنها ليست رخيصة، يسفكها من شاء، في أي وقت شاء، بل هي عظيمة عند الله ، ولذلك جعلها الله أول ما يقضى فيها من حقوق العباد يوم القيامة.

فإذا قامت القيامة، وقام الناس جميعاً لرب العالمين، ووقفوا في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، وقد دنت الشمس من الرؤوس، وتصبب العرق على قدر الأعمال، وزفرت جهنم وزمجرت، وقد جيء بها ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وتطايرت الصحف، ونصبت الموازين، فقال :{وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47].

ونـودي عليـك، فقـرع النـداء قلبَـك، وارتعـدت فرائصُـك، واضطربت جوارحُك، وتغير لونُك، وجاءت الملائكة يسوقونك إلى الله .

حتى إذا وقفت بين يدي أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، أخذتَّ صـحيفتَك التـي لا تغـادر صـغيرة ولا كبيـرة، وفـي هـذا يقـول المولى :{وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: 49].

ينـادى عليك أيها القاتل المجرم، يا من سفكت دماء الموحدين بالله ، فتأتي فرداً عارياً لا سلطان لك، ولا مال معك، لتفتدي به، وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلتهم في الدنيا، وقد تعلقوا بك، وأوداجهم (عروقهم) تشخب (تسيل) دماً، ويقولون لله : سل هذا القاتل فيم قتلنا؟.

ولقد أشار الرسول إلى ذلك، فروى النسائي وأحمد عن ابن عباس عن النبي قال:يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه في يده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب قتلني، حتى يدنيه من العرش.

قال: فذكروا لابن عباس التوبة، فتلا هذه الآية:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: 93].

قال ابن عباس : ما نسخت منذ نزلت، وأنىَّ له التوبة!!.

وروى مسلم أن الرسول قال: (أتـدرون مـن المفلـس؟)، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال :إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَن يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا،

وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

أخوة الإسلام:

لقد قام الشرع الحنيف بوضع سياج أمني على النفس، ووضع التدابير الاحترازية التي تمنع الغير من الاعتداء عليها، حتى لا تسول نفس أي فرد بإراقة دم مسلم، فتعالوا معي لنتعرف على التدابير الاحترازية للحفاظ على النفس.

أولاً: حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة: روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله يطوف بالكعبة، ويقول:ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه.

ثانياً: زوال الدنيا أهون من قتل مؤمن: فروى مسلم والترمذي والنسائي أن الرسول قال:لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم.

ثالثاً: قتال المسلم كفر: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.

رابعاً: القتل من الكبائر بعد الشرك بالله : فقال :{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً * وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} [الفرقان: 63 - 69].

وروى البخـاري ومسلم أن الرسـول قـال:أكـبر الكبـائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور.

خامساً: القتـل مـن الموبقـات: فروى البخـاري ومسلم أن الرسول قال:اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟، قَالَ:الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

سادساً: توعد الله للقاتل بالنـار: فقـال :{وَمَـن يَقْتُـلْ مُؤْمِنـاً مُّتَعَمِّـداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَـهُ عَـذَاباً عَظِيماً} [النساء: 93].

وروى الترمذي أن الرسول قال:لو أن أهلَ السماء وأهـلَ الأرض اشتركوا في دم مؤمن، لأكبهم الله في النار.

سابعاً: توعد الله القاتل بالعذاب: روى البيهقي أن ابن عباس قال: قُتِـل بالمدينـة قتيـلٌ علـى عهـد النبـي لـم يُعلـم مـن قتلـه، فصـعد النبيُّ المنبرَ فقال:أيها الناس: قُتِل قتيلٌ وأنا فيكم، ولا يُعلَم من قتلـه، لـو اجتمع أهلُ السماء والأرض على قتل امريءٍ، لعذبهم الله ، إلا أن يفعـل مـا شاء.

ثامنـاً: اليـأس مـن رحمـة الله : روى ابـن ماجـه والأصـبهاني أن الرسول قال:من أعان على قتل مؤمن، ولو بشطر كلمة، جاء يـوم القيامـة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله .

وفي رواية الأصبهاني: قال سفيان بن عيينة هو أن يقول: اق، يعني لا يُتِم كلمة اقتل.

تاسـعاً: لا يغفـر الله للقاتـل: روى أبـو داود وابـن حبـان أن الرسول قال:كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يمـوت مشركاً، أو يقتل مؤمناً متعمداً.

عاشراً: قتل النفس بغير حق قتل الناس جميعاً: وفي ذلك ما فيه من تغليظ الجرم، وبشاعة الذنب، فقال :{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: 32].

حادي عشر: حرمة الانتحار: فقال :{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195].

ثاني عشر: العقوبة الشديدة للمنتحر: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ الله إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً إلا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله :أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ :وَمَا ذَاكَ؟.

قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ،

ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله : عِنْدَ ذَلِكَ:إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

ثالث عشر: حدد الشرع الحالات التي يجوز فيها القتل: فلقد حدد لنا الشرع الحنيف ثلاث حالات لا رابع لهن، يجوز فيها قتل النفس، ولقد بين لنا الرسول الحالات التي يجوز فيها القتل، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ، التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ.

فأما الحالة الأولى: فهي القصاص العادل، فتطبيق القصاص حياة للمجتمع كله، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 178، 179].

نعم في القصاص حياة! حياة بردع هؤلاء الذين يفكرون مجرد التفكير في الاعتداء على الناس، وحياة بكف أهل المقتول عن الثأر، الذي قد لا يقف عند القاتل، بل يتعداه إلى أهله ممن لا ذنب لهم ولا جريمة.

وحياة يأمن فيها كل فرد على نفسه؛ لأنه يعلم يقيناً أن هناك قصاصاً عادلاً، ينتظر كل من يتعدى حدود الله .

الحالة الثانية: التي يجوز فيها القتل بالرجم، فهي للثيب الزاني الذي رزقه الله الحلال الطيب، فيذهب يرتع في مستنقع الرذيلة العفن، ويقتل العزة والكرامة.

الحالة الثالثة: تكون لمن ترك دينه، وارتد بعد أن منَّ الله به عليه،

فالردة بالإجماع سبب لإباحة دم المسلم، فروى البخاري وأحمد أن الرسول قال:من بدل دينه فاقتلوه.

فهذه هي الحالات الثلاث التي تبيح قتل المسلم على يد ولي الأمر، أو من ينوب عنه، وهذا أمر مجمع عليه بين الفقهاء.

أما فيما عدا هذه الحالات فإنه لا يجوز أبداً قتل النفس، بل إن الأمر جد خطير، وكيف لا؟، وقد قال المولى :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: 93].

رابع عشر: أوجب القصاص على القاتل العمد: فالله أوجب على القاتل الاستسلام لأمر الله والانقياد للقصاص المشروع، إذا أراد ولي الدم القتل، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

وفائدة قوله :{ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} أن أهل التوراة كان لهم القتل، ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو، ولم يكن لهم قود ولا دية، فجعل الله ذلك تخفيفاً لهذه الأمة، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا.

ومعنى قوله :{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: قتل بعد أخذ الدية وسقوط الدم، قاتل وليه، قال الحسن: كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً، فرَّ إلى قومه، فيجيء قومُه فيصالحون بالدية، فيقول وليُّ المقتول: إني أقبل الدية؛ حتى يأمنَ القاتلُ ويخرجَ، فيقتله، ثم يرمي إليهم بالدية.

خامس عشر: وجوب الدية على القتل الخطأ: والقتل الخطأ هو: ألا يقصد الإنسان قتل غيره، بأن يضربه بشيء لا يقتل غالباً، كمن

ضرب ولداً ليؤدبه، أو ضرب تلميذاً ليعلمه، أو ضرب غيره بآلة لا تقتل غالباً، فقد أوجب الله في هذا النوع الدية الكاملة، وتدفع لولي الدم، فقال :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 92].

ففي هذه الآية بيان لثلاث حالات للقتل الخطأ وهي:

الحالة الأولى: أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار الإسلام، وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة، ودية مسلمة إلى أهله، فأما تحرير الرقبة المؤمنة، فهي تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس بعتق نفس مؤمنة أخرى.

وأما الدية فتسكين لثائرة نفوس أهل القتيل، وشراء لخاطرهم، بعدما فُجعوا في قتيلهم، وتعويض لهم عن بعض ما فقدوه، إلا أن يصدقوا، ويتنازلوا عن الحق تسامحاً وتعاطفاً.

الحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب، ففي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة؛ لتعويض النفس المؤمنة التي قُتِلَتْ، لكن لا يجوز دفع الدية لقوم القتيل المحاربين، حتى لا يستعينوا بها على قتال المسلمين، إذ لا مكان ولا مجال هنا لاسترضاء أهل القتيل؛ لأنهم محاربون وأعداء للإسلام والمسلمين.

الحالة الثالثة: أن يقع القتل على مؤمن، أو على غير مؤمن قومه معاهدون، أي لهم عهد هدنة، أو عهد ذمة، ففي هذه الحالة يجب أن تدفع الدية إلى أهله المعاهدين، ولو لم يكن المقتول مؤمناً؛ لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونةً كدماء المسلمين، ويجب

على القاتل أيضاً تحرير رقبة مؤمنة.

سادس عشر: عدم قبول توبة القاتل العمد: لقد اختلف العلماء في هذه المسألة، فلقد روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عباس ، فسألتُه عنها، فقال هذه الآية:**{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}** [النساء: 93].

قال ابن عباس : هي آخر ما ترك، وما نسخها شيءٌ.

وفي رواية للنسائي يقول سعيد: قرأت على ابن عباس آية الفرقان:**{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً}** [الفرقان: 68، 69].

قال ابن عباس : هذه مكية، نسختها آيةٌ مدنية.

وذهب أصحاب الرأي الثاني: أن القاتل المتعمد إن تاب، تاب الله عليه؛ لأن الأخذ بظاهر قول الله :**{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}** [النساء: 93]، ليس بأولى من الأخذ بظاهر قول الله :**{إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}** [هود: 114].

وقول الله :**{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}** [الشورى: 25].

وقول الله :**{إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}** [النساء: 48].

واقرأ معي قول الله :**{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ**

وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً} [الفرقان: 68 - 71].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ ، وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ.

* * *

الصلح بين الناس

أسباب نعيم القبر

الصلح بين الناس

الحمد لله رب العالمين: الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعلنا ولله الحمد خير أمة أخرجت للناس، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله} [آل عمران: 110].

سبحانه: رغبنا في الإصلاح بين المتخاصمين، ورتب على ذلك الخير العظيم، والفيض العميم، فقال :{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 114].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل إصلاح ذات البين أمراً مفروضاً على كل مسلم، فقال :{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [الأنفال: 1].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الخصومة بين البشر تكون سبباً في تأجيل مغفرة الذنوب، فروى مسلم أن الرسول قال: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا).

ومعنى أنظروا: أي: أخروهما.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع خلق من الأخلاق الإسلامية، ألا وهو: **الصلح بين الناس**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إني ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله: بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن

نقفَ على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الاجتماع والاتحاد بين أفراد الأمة الواحدة أمر ضروري، لا غنى عنه بأي حال من الأحوال، ولا ينكر ذلك إلا جاهل، أو عميل لأعداء الأمة، أو بعيد كل البعد عن منهج الله ، ومنهج الرسول .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [آل عمران: 102، 103].

وأشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ.**

ولم يكتفِ الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن الله نهانا جميعاً عن التفرق، ورتب العقاب الشديد عليه، فقال :**{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: 105].

وقال :**{وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الأنفال: 46].

وقال :**{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [الأنعام: 159].

وقال :**{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}** [الروم: 31، 32].

ومن أجل الحفاظ على الوحدة والأخوة بين أفراد المجتمع الواحد، أمرنا الله بالتدخل الجاد والمخلص، للصلح بين أي عائلتين، أو بين فردين، إذا حصل بينهما شقاق أو نزاع، فقال :**{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ**

إِلَى أَمْرِ الله فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إخوة فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 9، 10].

الحقيقة الثانية: إن الخلاف الذي يحدث بين الناس أمر طبيعي، ولا يسلم منه أحدٌ من البشر، فقد يكون الخلاف بينك وبين أخيك، بينك وبين ابن عمك، بينك وبين أحد أقاربك، وقد يكون الخلاف بينك وبين زوجتك، وقد يكون بينك وبين صديقك، فهذا أمر طبيعي، فلا ننزعج منه، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: 118، 119].

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما يلي:

1 - اختلاف سيدنا موسى مع سيدنا هارون ، فقال :{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه: 92 - 94].

2 - اختلاف سيدنا موسى مع الخضر ، فقال :{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً* فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} [الكهف: 71 - 78].

3 - اختلاف سيدنا سليمان مع سيدنا داود ، فقال :{وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ *

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 78، 88].

4 - أهل قباء أصحاب سول الله الذي أنزل الله فيهم قوله : {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا والله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108].

هؤلاء القوم حصل بينهم خلاف، حتى رمى بعضهم بعضاً بالحجارة، فذهب إليهم الرسول ليصلح بينهم.

5 - اختلاف أبي بكر وعمر ، فقد حصل بينهما شيء من الخلاف، فروى أبو الدرداء قال: كنت جالساً عند رسول الله ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، وقال يا رسول الله: إنه كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء، فأسرعت إليه نادماً، وسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فقال له الرسول :**يغفر الله لك يا أبا بكر.**

ثم إن عمر ندم، فأتى منزلَ أبي بكر فلم يجده، ثم أتى الرسول وقال: يا رسول الله: إني كنت أظلَمَ... يا رسول الله: إني كنت أظلَمَ، فقال الرسول :**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذب، وقال أبو بكر : صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي، فهل أنتم تاركون لي صاحبي.**

6 - الخلاف بين الرسول وبين نسائه، وقد استمر هذا الخلاف تسعاً وعشرين يوماً، حتى أشيع في المدينة أن الرسول طلق نسائه، فنزل قول الله :{إِن تَتُوبَا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ الله هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً} [التحريم: 4، 5].

وبناءً عليه: فلا ننزعج من أي خلاف يحدث بين أفراد الأمة، أو بين أي شخصين، ولكن لا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي، ونكون سلبيين، ولكن لا بد من الإيجابية، للعمل على تقريب وجهات النظر بين الأطراف المختلفة، حتى نزيل هذا الخلاف، ابتغاء مرضات الله ، فقال : {فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: 1].

وقال :{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 114].

الحقيقة الثالثة: إن المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية، والأخوة بين الأفراد، أمر مفروض علينا جميعاً، ولا سبيل إلى تحقيق الوحدة والأخوة بين أفراد المجتمع الواحد، إلا إذا كان هناك في كل حي، أو في كل قرية، جماعةٌ من أهل الدين والفضل والعلم، تقومُ بالإصلاح بين المتخاصمين، وتوقفُ الظالم عن ظلمه، وترده إلى رشده وصوابه، ولقد أشار المولى ﷻ إلى ذلك، فقال:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

وقال :{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف: 181].

وينبغي لهذه الطائفة المباركة أن تبذل من وقتها قدر طاقتها؛ لحل المنازعات بين الناس، ولتعلم هذه الجماعة المباركة أن لها منزلةً عاليةً عند الله يوم القيامة، فروى مسلم أن الرسول قال:إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا.

فما أحوجنا اليوم: إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يؤلفون بين القلوب المتنافرة، ويوحدون الصفوف المتفرقة.

ما أحوجنا اليوم: إلى رجال يبحثون عن المتخاصمين، ليصلحوا بينهم.

ما أحوجنا اليوم: إلى رجال يفتشون عن المتباغضين؛ ليزيلوا أسبابَ العداوة والبغضاء من قلوبهم.

ما أحوجنا اليوم: إلى رجال مخلصين، يجردون أنفسهم من الهوى والشهوات، ويطهرون قلوبهم من الحقد والحسد، فينادون بين المسلمين بالصلح والتصافح، ويعملون على تقريب وجهات النظر، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف ابتغاء مرضات الله ، وصدق الله إذ يقول:{وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 114].

فكم من بيت كاد أن يُهدّمَ، بسبب خلاف سهل بين الزوج وزوجته، وكاد الطلاق يقع، فإذا بهذا المصلح بكلمة طيبة، ونصيحة غالية، ومال مبذول، يعيد المياه إلى مجاريها، ويصلح بينهما.

وكم من قطيعة كادت أن تكون بين أخوين، أو صديقين، أو قريبين، بسبب زلة لسان، أو هفوة نفس، وإذا بهذا المصلح يرقع خرق الفتنة، ويصلح بينهما.

فكم عصم الله بالمصلحين من دماء وأموال، وفتن شيطانية كادت أن تُشتعَل، لولا فضل الله ، ثم المصلحين.

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بالإصلاح بين الناس، فتعالوا معي لنتعرف على هذا الاهتمام.

أولاً: جعل الشرع الصلح بين الناس أمراً مفروضاً: ولقد وردت آيات عديدة تؤكد هذا الواجب، فقال :**{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [الأنفال: 1].

وقال :**{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً}** [النساء: 35].

وقال :**{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}** [النساء: 128].

وروي أن سبب نزول هذه الآية: أن الرسول بعث إلى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها جلست له على طريق عائشة ، فلما رأته، قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه، لما راجعتني، فإني كبرت، ولا حاجة لي في الرجال، لكن أريد أن أُبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها، فقالت: إني جعلت يومي وليلتي لحبة رسول الله تعني: عائشة .

وقال :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إخوة فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 9، 10].

ثانياً: نفي الإثم على المصلح: فقال :{فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: 182].

ثالثاً: الصلح أفضل من الصيام النفل والصدقة النفل: فروى أبو داود والترمذي أن الرسول قال:أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ :إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ.

رابعاً: الثواب العظيم لمن يقوم بهذا الواجب: قال :{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: 114].

وروى الحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله جالس، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر بن الخطاب : ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

فقال :رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خُذْ لي مظلمتي من أخي، فقال الله للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال:إن ذلك اليومَ عظيمٌ، يحتاجُ الناسُ أن يُحملَ عنهم من أوزارهم، فقال الله للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال يا رب: أرى مدائنَ من ذهب، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ ولأي صِديق هذا؟ ولأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله : فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة.

فقال الرسول عند ذلك:اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين الناس.

وروي أن الرسول قال لأبي أيوب:ألا أدلك على تجارة؟، قال: بلى يا

رسول الله، قال :**صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا.**

فأين الراغبون في هذه التجارة الرابحة؟ أين نحن جميعاً من هذا الواجب الديني؟ لقد أهملنا هذا الواجب، وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإهمال أن كثرت حالات الطلاق في المجتمع، ووصل هذا العدد في العام الماضي إلى ستين ألف حالة طلاق، وكذلك كثرت القضايا المعروضة في ساحة القضاء، وضاعت الحقوق.

خامساً: حرم الشرع الهجر بين المسلمين فوق ثلاث: فروى البخاري وغيره أن الرسول قال:**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ.**

سادساً: عدم مغفرة ذنوب المتخاصمين: فروى مسلم أن الرسول قال:**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.**

إخوة الإسلام:

لقد وضع الدين الإسلامي شروطاً معينة، يجب أن تتوافر فيمن يقوم بهذا العمل الجليل، حتى تتم مهمته بنجاح، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الشروط.

الشرط الأول: اختيار الرجل المناسب:

فالواجب اختيار الرجل المناسب للصلح، فهناك من الرجال لا يصلحون لهذه المهمة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، ففي العام السادس من الهجرة عزم الرسول على الخروج إلى مكة؛ ليزور البيت الحرام، فوصل إلى عُسفان، فجاءته الأنباءُ أن قريشاً قد علمت بمسيرته، فخرجت في ثياب الحر للقائه، واستأنف الرسول مسيرته المباركة، حتى بلغ مهبط الحديبية، على مشارف مكة، واستقر بأصحابه هناك.

وأخذت قريش تبعث برسلها ومندوبيها إلى الرسول ؛ ليثبطوا عزمه، وليحملوه على الرجوع.

وكان آخر هؤلاء المبعوثين عروة بن مسعود الثقفي، جلس يقول للرسول : يا محمد إنها قريش قد خرجت معها العُوَّذ المطافيل (النساء

والصبيان)، قد لبسوا جلود النمور، متعاهدين ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً.

وعاد عروة إلى قومه قائلاً لهم: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيتُ ملكاً يعظمه قومُه، مثلما يعظمُ أصحابُ محمدٍ محمداً، ولا رأيت ملكاً يحبه قومُه، كما يحب أصحابُ محمدٍ محمداً، وإنهم والله لن يُسلِموه أبداً، فروا رأيكم، لكنَّ قريشاً كعادتها أخذتها العزة بالإثم.

هنالك أراد الرسول أن يبعث رسولاً من عنده؛ ليؤكد لهم أنه لم يأت غازياً، بل جاء زائراً للبيت ومعظماً له، فدعا الرسول خُراشَ بنَ أمية الخزاعي، وانتدبه لهذه المهمة، بيد أن قريشاً لم تكد تراه وتسمع كلماته، حتى عقرت بعيره الذي كان يركبه، وهموا به ليقتلوه، لولا أن منعته الأحابيش، وأنقذته من الموت، وعاد خراش الخزاعي إلى الرسول ، وقص عليه ما حدث.

وفي اليوم التالي بعثت قريشٌ خمسين رجلاً من أشدائها؛ ليتحرشوا بالمسلمين، وليضربوا معسكرهم بالحجارة والنبال، وليختطفوا منهم ما يستطيعون اختطافه.

فقرر الرسول أن يبعث برجل آخر، فأشار على عمر بن الخطاب ، فأبى عمر ، وقال: إن قريشاً تعلم عداوتي لها، ولكني أدلك على من يصلح لهذه المهمة، إنه عثمان بن عفان .

فأمر الرسول عثمان بالسير إلى قريش، وعلى أبواب مكة واجه الجموع المتحفزة من قريش، فبلغهم رسالة الرسول ، فكان جوابهم له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، أما محمد وأصحابه فلا.

فيرد عليهم عثمان بن عفان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ، وحال جاهُه ومكانتُه من قريش دون الاعتداء على حياته، لكنهما لم يحولا دون اعتقاله واحتجازه.

الشرط الثاني: الإخلاص لله وحده:

فلا بد وأن يتوافر في المصلح الإخلاص، حتى يوفقه الله في أداء هده المهمة، فقال : {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ

أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} [النساء: 35].

ولقد حذر الله نبيه محمداً من عدم الإخلاص، فقال : {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ} [الزمر: 65].

الشرط الثالث: العلم:

فيجب على من يتصدى لهذه المهمة العظيمة، أن يكون على علم بأحكام الشريعة الإسلامية، في القضية التي يقوم بالصلح فيها، وأن يكون على علم بأحوال من يصلح بينهم، حتى يكون تصرفه في حدود الشرع، أما إذا كان جاهلاً بهذه الأمور، فإنه سوف يفسد أكثر ما يصلح، فقال : {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

الشرط الرابع: الرفق وحسن الخلق:

يجب على من يتصدى للصلح بين الناس، أن يتخلق بالرفق واللين في الكلام، انطلاقاً من قول الله :{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125].

وروى مسلم أن الرسول قال:إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ، إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ، إِلاَّ شَانَهُ.

الشرط الخامس: الصبر وتحمل الأذى:

فإن الصبر وتحمل الأذى من الصفات الهامة التي يجب أن يتحلى بها من يصلح بين الناس، فالمعتاد لمن يقوم بهذه المهمة السامية، أن يصيبه أذى، ولو كان قليلاً، ويتضح ذلك جلياً في وصية لقمان لابنه، قال :{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [لقمان: 17].

الشرط السادس: الموضوعية في الصلح:

والموضوعية في الصلح تعني: الشفافية، والحياد التام، وأن لا يتحيز لطرف على حساب الطرف الآخر، وذلك انطلاقاً من قول الله {يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء: 135].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

الشرط السابع: سماع وجهة نظر كل من الطرفين:

فالواجب على المصلح أن يسمع من الطرفين، ولا يحكم عند سماع طرف واحد، فلا بد وأن يسمع الطرفين، ثم بعد ذلك يصدر حكمه، ولقد عاتب الله سيدنا داود عندما حكم في قضية قبل أن يسمع الطرف الثاني، قال: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 21 - 25].

الشرط الثامن: العدل بقدر الإمكان:

قال: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: 26].

وقال: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: 15].

الشرط التاسع: أن يكون الصلح موافقاً لشرع الله :

فالصلح ينبغي أن يكون على أساس الكتاب والسنة، وعلى المتخاصمين أن يسلما لحكم أهل الصلح إذا كان موافقاً لكتاب الله وسنة

رسوله ، وإن خالف أهوائهم.

قال :{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

وقال :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

أما إذا كان الصلح مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله فهو مردود على أصحابه وإن رضي به المتخاصمون، فروى الترمذي أن الرسول قال:**الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً، أو أحل حراماً، والمسلمون عند شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا، أو أحل حراماً.**

إخوة الإسلام:

هناك عدة أمور يجب التنبيه عليها، وهي ما يلي:

النقطة الأولى: جواز الكذب للصلح بين الناس:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً.**

النقطة الثانية: الصلح بالتنازل عن بعض الحقوق:

ينبغي لمن يتصدى لهذه المهمة أن يحض الأطراف على التنازل عن بعض حقوقهم ابتغاء مرضات الله ، وإتباعاً لسنة الرسول .

وهذا ما حدث للرسول في صلح الحديبية، فعندما اتفق الطرفان على بنود الصلح، دعا الرسول عليَّ بن أبي طالب ليكتب الكتاب، فقال له:**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.**

فقال سهيل: أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللهم، فأبى المسلمون، فقال الرسول :**اكتب باسمك اللهم**، ثم قال:**هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو.**

فقال سهيل: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال الرسول : (**والله إني لرسول الله حقاً وإن كذبتموني**)، ثم أمر الرسول علياً بمحو ما كتب وكتابة محمد بن

عبد الله، فامتنع علي تأدباً، فأخذ الرسول الصحيفة فمحاها، وكتب محمد بن عبد الله، وهو لا يحسن أن يكتب.

وروى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك أنه تقاضى من ابن أبي حدرد ديناً، كان عليه في عهد رسول ، في المسجد، فارتفعت أصواتُهما حتى سمعهما الرسول في بيته، فخرج الرسول إليهما، حتى كشف سجف حجرته، فنادى كعبَ بن مالك، فقال:**يا كعب**، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر، فقال: قد فعلت يا رسول الله، فقال الرسول :**قم فاقضه**.

وهذا ما يسمى في الفقه بقاعدة: ضع وتعجل.

النقطة الثالثة: جواز الأخذ من الزكاة للصلح بين الناس:

فإن من غرم مالاً في الصلح فإنه يأخذه من مال الزكاة، أو من بيت مال المسلمين، قال :{**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**} [التوبة: 60].

قال القرطبي في تفسير{وَالْغَارِمِينَ}: يجوز للمتحمل في صلح أو بر، أن يُعطَى من الصدقة، ما يؤدي ما تحمل به، إذا وجب عليه وإن كان غنياً.

وروى مسلم عن قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الهِلاَلِيِّ قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله أسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ :**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**)، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: (**يَا قَبِيصَةُ: إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ، لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا.**

* * *

العفــو

أسبــاب نـعيم القبــر

العفــو

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي نطقـت بوحدانيتـه جميـعُ الكائنـات، فالسماء دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته، وأمسكني بقدرته، فهو ركني وعمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من وسع كل شيء علماً، ومهدني تمهيداً، والبحـار دائمـاً وأبداً تقـول: سبحان مـن بمشيئته أجرانـي، وأسـال عيون مـائي لـروادي، والعـارف بـه دائمـاً وأبداً يقـول: سبحان من دلني عليه، وإليه مرجعي ومآبي، حتى العاصي يقول: سبحان من اطلع علي في المعصية، فلما رآني سترني وغطاني، فلما تبت إليه قبلني وهداني.

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر لـه بالربوبيـة، فلا إلـه إلا هـو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ فـي عـلاه، فقـال: **{ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللهَ هُـوَ الحَـقُّ وَأَنَّ مَـا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}** [الحج: **26**].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل العفو من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد، فقال: **{وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِـيمٌ * وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** [فصلت: **34، 35**].

وأشــهد أن سـيدنا ونبينــا محمــداً: بـين لنـا أن الأعمـال لا تقبـل مـن المتخاصمين، فروى مسلم أن الرسول قال: **تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْـجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَـيْنِ وَيَوْمَ الْـخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَـيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **العفو**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم

ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الله جعل العفو صفة من صفاته المقدسة، فقال : {إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً} [النساء: **149**].

وقال :{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [المجادلة: **2**].

فلو لم يكن العفو صفة من صفات الله ، ما أبقى أحداً يعصيه على وجه الأرض، فليس من المعقول أن يخلقنا الله ويرزقنا، ونعصيه ونخالف أمره، وليس من المعقول أن نأكل رزقه، ونعبد غيره، وليس من المعقول أن نسكن أرضه ونوالي غيره، فقال :{وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً} [الكهف: **58**].

وقال :{وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً} [فاطر: **45**].

وقال :{وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: **61**].

وكان العفو صفة أصيلة من صفات الأنبياء، فهذا سيدنا إبراهيم اتصف بهذا الخلق العظيم، فقال :{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً} [مريم: **46 - 48**].

وهذا سيدنا يوسف فقد اتصف بالعفو، وبالتحديد مع أخوته الذين باعوه في الأسواق، كما يباع الرقيق، وكادوا له، كما حكت سورة يوسف، فقال :{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: **88 - 92**].

وهذا سيدنا النبي اتصف بالعفو المطلق، فروى البخاري ومسلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال في وصف الرسول : (والله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا).

وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: سُحِرَ النَّبِيُّ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ:أَشَعَرْتِ أَنَّ الله أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ)، فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ:نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ، فَقَالَ:لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي الله، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ.

الحقيقة الثانية: إن الله جعل العفو خلقاً مطلوباً من جميع المسلمين، دون تفرقة بين رجل وامرأة، ودون تفرقة بين متعلم وغير متعلم، فالكل سواء أما هذا الخلق العظيم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ

وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 22].

قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله .

وقال :{وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: **34**، **35**].

بل الأعجب من هذا كله: أن العفو ليس مطلوباً بين المسلمين فحسب، بل هو مطلوب مع العدو أيضاً، وهذا ما أعلن عنه المولى في قرآنه، فقال:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 109].

وقال :{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [آل عمران: 186].

وقال :{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: 13].

وهذا ما فعله الرسول في غزوة ذات الرقاع، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيَّ قَالَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ الله تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ فِيهَا سَيْفَهُ، قَالَ جَابِرٌ : فَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ الله يَدْعُونَا فَأَجَبْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله :**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا**، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ:الله، فَقَالَ ثَانِيَةً: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي، فَقُلْتُ:الله، فَشَامَ السَّيْفَ وَجَلَسَ، فَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ الله ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ.

فإذا ظلمك شخص فتجاوز عنه، فإن الله يدافع عنك، فالله يدافع عن

المظلوم، قال :{إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: **38**].

وقال :{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: **60**].

هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه الله ، فكيف بالذي يترك حقه كله، ويعفو ابتغاء مرضات الله ؟

ولقائل يقول: لماذا أمرنا الله بالعفو؟ أقول: أمرنا الله بالعفو؛ لأنه يترتب عليه نتائج جليلة، وآثار عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، فعلى العفو تتوقف سلامة الأسر، وعلى العفو يقوم ارتباط الأفراد والجماعات بعضهم مع بعض، بالعفو تتأكد المحبة بين المتحابين، وتتآلف قلوب المتنافرين، بالعفو تتقرب نفوس المتباعدين، وتهتدي قلوب الحائرين، بالعفو تصفو نفوس المتباغضين، اسمع معي إلى قول الله وهو يوضح أثر العفو فيقول : {وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: **34**، **35**].

بالعفو يرتفع الشخص، وتعظم منزلته، فالرجل الذي يتخلق بخلق العفو ويعفو عمن ظلمه، ويسامح من يعتدي عليه، محبوب عند الله ، ومحبوب عند الناس، فهو موضع ثنائهم، ومحط تقديرهم، يبتعدون عن إلحاق الأذى بهم، ويتعاونون في قضاء مصالحه، وتيسير أموره، وتحقيق رغباته، فالرجل الذي يتخلق بخلق العفو سعيد هانئ في دنياه، منعم مكرم في آخرته.

الحقيقة الثالثة: إن الشرع الحنيف أعطى الحق للمظلوم أن ينتصر لنفسه بقدر مظلمته، وهذا ليس معناه: أن الشخص المظلوم إذا أخذ حقه بقدر مظلمته أنه ظالم للناس، بل هو محق إذا لم يتجاوز القدر في الظلم والاعتداء، بل أعلن الله أنه يدافع عنه.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع، فقال : {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [الشورى: **39**، **43**].

وقال :{وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً} [الإسراء: **33**].

بل الأعجب من هذا كله: أن الله سيكون مدافعاً عن المظلوم الذي يأخذ حقه، وناصراً له، إذا لم يتجاوز قدر مظلمته، فقال :{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ الله إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: **60**].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظلم يُتحَمل ويُطاق، ومن ثم شرع الله القصاص في الدنيا، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: **178**، **179**].

ولقائل يقول: لماذا أعطى الله الحق للمظلوم أن يأخذ حقه بقدر مظلمته، وأنه سيدافع عنه، ويكون معيناً له؟ أقول: لسببين:

السبب الأول: لأنه كم من ظالم إذا تُرك، يتمادى في ظلمه، وفي غيه، وفي شره وفساده.

السبب الثاني: أن العفو لا يُندب إليه، ولا يُرشد إليه في كل الأوقات، فقد يُفهم العفو عند قوم من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور.

وقد يُفهم الصفح على أنه استسلام للظلم، ومن ثم يتمادى الظالم في ظلمه، والطاغي في طغيانه، والباغي في بغيه.

ويؤكد هذا كله أن الله قال:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: **9**].

الحقيقة الرابعة: ما هو العفو؟ العفو هو: الصفح والمغفرة والتجاوز عن

الإساءة، في غير كراهية للمسيء، أو حقد عليه، أو إصرار على الانتقام فيما بعد، مع القدرة على العقوبة أو الثأر.

فليس من العفو التسامح المؤقت الذي يضمر صاحبه السيئة في نفسه؛ لينتقم ممن عفا عنه في وقت آخر، وليس من العفو الصفح الناشئ عن عجز أو ضعف، فالعفو لا بد وأن يكون مع القدرة.

إخوة الإسلام:

لقد اهتم الشرع الحنيف اهتماما بالغاً بالعفو، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من العفو:

أولاً: جعل الشرع العفو متعدد المجالات:

فالشريعة الإسلامية لم تقصر العفو على مجال واحد، ولم تجعله في نطاق واحد، أو دائرة مغلقة، بل جعلت الأمر فيه موسَّعاً؛ ليشمل جوانب كثيرة من شؤون الحياة.

فبدأ الشارع بحض القيادة الكبرى، وأهل الولاية العظمى بذلك؛ لأنَّ تَمثُّل القيادة بخلق العفو والتسامح أمارة من أمارات القائد الناجح، فأمر الله به نبيه محمداً ، فقال :**{خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ}** [الأعراف: 199].

وقال :**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ}** [آل عمران: **159**].

وقال :**{فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ}** [الحجر: **85**].

ولقد حث الشرع الحنيف على العفو في مجال الدماء والقصاص، فقال :
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: **178**، **179**].

كما حث الشرع الحنيف الزوجين على العفو في مسألة الصداق في حالة الطلاق قبل الدخول، فقال :**{وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ**

فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: **237**].

بل حث الشرع الحنيف على العفو في المعاملات المدنية من بيع وشراء ومداينات، فروى أبو داود وابن ماجه أن الرسول قال: **من أقال مسلماً بيعته، أقال الله عثرته.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **كَانَ تَاجِرٌ يُدَاينُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا، قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ.**

وفي مجال الخادم أمرنا الشرع بالعفو، فروى أبو داود والترمذي أن رجلاً جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: **اعفوا عنه في كل يوم، سبعين مرة.**

ثانياً: جعل الله العفو من صفات المتقين:

فقال: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133، 134].

وقال: {وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 237].

ثالثاً: جعل الله أجر العافي عليه:

وذلك ليطمع العافي في أجر الله ، فقال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: **40**].

رابعاً: ربط الله عفوه على الناس بعفو الناس بعضهم على بعض:

وذلك لحث الناس على العفو فيما بينهم، فقال: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 22].

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن: **14**].

خامساً: العفو يزيد المسلم عزاً:

وليس كما يتصور بعض الجاهلين، بأن العفو فيه ذل وانكسار، فروى مسلم أن الرسول قال: **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ الله عبدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ.**

سادساً: العفو من أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة:

فروى أحمد والحاكم والطبراني في معجميه الأوسط والكبير عنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ الله يَوْمًا فَبَدَرْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، أَوْ بَدَرَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: **يَا عُقْبَةُ، أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأَهْلِ الآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ.**

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة الرسول ، ومن حياة سلفنا الصالح، لنرى كيف كانوا يعفون عمن ظلمهم، ولنتعلم نحن كيف يكون العفو.

النموذج الأول: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: بَعَثَ رَسُولُ الله خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله فَقَالَ: **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**، فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ الله حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ الله : **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

يَا مُحَمَّدُ والله مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، والله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ

دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، واالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ، وَلاَ واالله لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ الله .

وفي رواية للبيهقي: فقال الرسول :**أطلقوه، فقد عفوت عنك يا ثمامة.**

النموذج الثاني: روى البخاري وغيره عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ، جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ قَمِيصَهُ، فَقَالَ:**آذِنِّي أُصَلِّ عَلَيْهِ**، فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، جَذَبَهُ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَيْسَ الله نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ :**أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ، قَالَ:{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ}** فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ:**{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ}**.

ولا يخفى على الجميع من هو عبد الله، فهو رأس المنافقين، وصاحب حادثة الإفك، وهو الذي قال عن أم المؤمنين عائشة : والله ما نجت منه، ولا نجا منها، ثم قال: وبئس ما قال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقودها.

يرمى الرسول في عرضه، ويسبه في شرفه، ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، فقال: لئن رجعت إلى المدينة، لأخرجن منها محمداً ذليلاً، وأنا العزيز، وفي هذا يقول المولى :**{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}** [المنافقون: **8**].

ويبرئ الله السيدة عائشة ، ويدخل الرسول المدينة عزيزاً، وبعد هذا كله يعفو الرسول ، ويصفح عنه، ويقوم فيصلي عليه، ويستغفر له، ما هذا؟ إنه الرسول سيد الأولين والآخرين.

النموذج الثالث: عفو الرسول العام عن أهل مكة: فلد بالغت قريش في آذاها للرسول ، وأحكمت قبضتها منه، ثم أخرجته من بين أهله

وعشيرته، وقتلوا من أصحابه يوم أحد سبعين، وجرحوا آخرين، وجرح الرسول ، وكسرت رباعيته، وشج وجهه، وهو يقول: **اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون.**

ثم أمكنه الله منهم، فعاد فاتحاً مكة، ومعه أكثر من عشرة آلاف، معهم السيوف مسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: **ما ترون أني فاعل بكم؟**، قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: **أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء.**

النموذج الرابع: عفو الرسول عن اليهودية التي وضعت السم له في الشاة، فروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقِيلَ: ألا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: **لَا**، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ الله .

النموذج الخامس: كان سيدنا أبو بكر ينفق على رجل فقير يسمى مسطح بن أثاثة، وكان هذا الرجل ممن يتكلم في حادثة الإفك، فلما قال ما قاله عن السيدة عائشة ، ونزلت الآيات تبرئ السيدة عائشة ، قال سيدنا أبو بكر ساعتها: **"والله لا أعد أنفق على مسطح أبداً"**.

فنزل قول الله ﷻ: **{وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [النور: 22].

فدعا الرسول أبا بكر ، فتلا عليه هذه الآية، فلما أن سمعها أبو بكر حتى قال: بلى والله إني لأحب أن يغفرَ اللهُ لي، والله لأردنَّ على مسطح ما كنت قطعتُه منه.

النموذج السادس: روى البيهقي أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء؛ ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها، فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت: إن الله يقول: **{وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ}**، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: **{وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}** قال: قد عفا الله عنك، قالت: **{والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** قال: اذهبي فأنتِ حرةٌ لوجه الله .

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على التخلق بخلق العفو.

أولاً: رفع الدرجات ومحو الخطايا:

روى الترمذي وابن ماجه أن الرسول قال:**ما من رجل يُصَابُ بشيءٍ في جسده، فيتصدقُ به، إلا رفعه الله به درجة، وحط عنه خطيئة.**

وروى الحاكم أن الرسول قال:**من سره أن يُشرَفَ له البنيان، وتُرفَعَ له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، وليعط من حرمه، ويصل من قطعه.**

وروى البزار والطبراني أن الرسول قال:**ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال :**تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.**

ثانياً: يحاسبه الله حساباً يسيراً:

روى البيهقي والبزار والطبراني أن الرسول قال:**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، حَاسَبَهُ الله حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ**، قَالُوا: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ :**تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ**، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، فَمَا لِي يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:**أَنْ تُحَاسَبَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيُدْخِلَكَ الله الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ.**

ثالثاً: دخول صاحب العفو الجنة بلا حساب:

روى الطبراني أن الرسول قال:**إذا وقف العباد للحساب، جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم، تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء، كانوا أحياء مرزوقين، ثم نادى منادي: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة، قال: ومن ذا الذي أجره على الله ؟ قال: العافين عن الناس، ثم نادى الثالثة: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة، فقام كذا وكذا ألفاً، فدخلوها بغير حساب.**

رابعاً: المنزلة الرفيعة في الجنة:

روى الحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال :**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله للطالب: فكيف**

بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال:إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله للطالب: ارفع بصرك، فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال: يا رب، أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله : فخذ بيد أخيك فادخله الجنة، فقال رسول الله عند ذلك:اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المسلمين.

* * *

الوفاء بالعهد

أسبـاب نـعيم القبـر

الوفاء بالعهد

الحمد لله رب العالمين: شعاع من رضاه يطفئ غضب ملوك أهل الأرض، ولمحة من غضبه تزهق الروح ولو انغمست في نعيم الدنيا، وقطرة من فيض جوده تملأ الأرض رياً، ونظرة بعين رضاه تجعل من الكافر ولياً.

سبحانه: توعد باللعن وسوء الدار يوم القيامة لمن يخلف عهده، فقال : **{وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}** [الرعد: 25].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل الوفاء بالعهد معيار من معايير الرجولة الكاملة، فقال :**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}** [الأحزاب: 23، 24].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل الوفاء بالعهد سبباً من أسباب دخول الفرد الجنة، فروى أحمد والحاكم والبيهقي أن الرسول قال:**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **الوفاء بالعهد.**

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على

بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الله جعل الوفاء صفة من صفاته المقدسة، فقال : {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَـهُم بِأَنَّ لَـهُمُ الجَنَّـةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاًّ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْـدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِـهِ وَذَلِـكَ هُـوَ الفَـوْزُ العَظِـيمُ} [التوبة: 111].

وكان الوفاء بالعهد صفة أصيلة من صفات الأنبياء، فهذا سيدنا إبراهيم وصفه الله بهذا الخلق العظيم، فقال :{وَإِبْـرَاهِيمَ الَّـذِي وَفَّى} [النجم: 37].

وهذا سيدنا إسماعيل وصفه الله بهذا الخلق فقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ} [مريم: 54].

وهذا سيدنا موسى اتصف بهذا الخلق العظيم، فكان أوفى الأوفياء، فلما ورد سيدنا موسى ماء مدين، وسقى لابنتي الرجل الصالح، وجاءته إحداهما لتدعوه إلى أبيها لأخذ الأجرة على سقيه للأغنام، كما جاءت به سورة القصص، فقال :{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القصص: 25 - 27].

فماذا كان رد سيدنا موسى ؟ فقال :{قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ واللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [القصص: 28].

وروى البخاري عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ : قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ.

وهذا الرسول كان متصفاً بخلق الوفاء، فشهد له أعداؤه بهذا، فشهد

أبو سفيان وهو ما زال على كفره بوفاء الرسول ، وذلك عندما سأله هرقل ملك الروم: هل يغدر؟ فقال أبو سفيان: لا.

الحقيقة الثانية: إن الله جعل الوفاء بالعهد أمراً مفروضاً على جميع المسلمين، دون تفرقة بين رجل وامرأة، ودون تفرقة بين متعلم وغير متعلم، فالكل سواء أمام واجب الوفاء بالعهد.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع في القرآن، فقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيم إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: 34].

وقال :{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152].

وقال :{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل: 91].

ولقد أشارت السنة النبوية إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ :نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً، اقْضُوا الله فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ.

ولقائل يقول: لماذا أمرنا الله بالوفاء بالعهد؟ أقول: أمرنا الله بالوفاء بالعهد لعدة أسباب:

السبب الأول: لأن الحياة لن تستقيم ولن يكون لها أي طعم إلا إذا التزم كل إنسان فينا بما قطعه على نفسه، واحترم كل إنسان فينا كلمته التي نطق بها.

السبب الثاني: لأن الغدر ينزع الثقة بين الناس، وينشر الفوضى، ويمزق الأواصر بين الناس، ويرد الأقوياء ضعفاء واهنين، فقال :{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ

اللهِ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: 91، 92].

فالواجب على كل مسلم إذا أبرم عقداً يجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً يجب أن يلتزم به، وأن يكون الرجل عند كلمته التي قالها، فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها.

الحقيقة الثالثة: لقد أصبح الوفاء بالعهد عملة نادرةً بين البشر، فكثير من الناس لا يحترم عهده ولا ذمته، فإذا وعدك إنسان بعمل شيء معين لك، أو التزم إنسان بشيء، تجده نقض كلامه ورجع فيه وتبرأ منه، حتى كدنا نرى الغدر موضة عند كثير من الناس.

مع أن الرسول حذرنا من الغدر وعده من صفات المنافقين، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ.**

وإذا قمت بمعاتبته أو توجيه اللوم إليه، بادرك بالقول في استخفاف ولا مبالاة، ويقول لك: هو إحنا كنا نتكلم بجد!، أو يقول لك: وإيه يعني لما أرجع في كلامي، ويتحجج بحجج واهية لا أساس لها من الصحة، وما أنزل الله بها من سلطان.

حتى أصبحت أعمالنا دعاية سيئة للإسلام والمسلمين، وأصبح أعداءُ الدين ينظرون إلينا نظرتهم إلى قوم همج، لا يُوثَق بأقوالهم، ولا يُرتبَط بوعودهم، ولا يُطمأن لمواعيدهم.

واسمع معي أخي المسلم إلى ما قاله الرسول في شأن هؤلاء الناس، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال: **إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ ابْنِ فُلاَنٍ.**

الحقيقة الرابعة: ما هو الوفاء بالعهد؟ الوفاء بالعهد هو: القيام بما يجب عليك تجاه إنسان آخر من رعاية، أو أداء، سواء أكان العهد معتمداً على توثيق مكتوب، أم على وعد شريف.

فروى أحمد وأبو داود والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ قَالَ:

بَايَعْتُ النَّبِيَّ فَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ، قَالَ: فَنَسِيتُهُ يَوْمِي ذَاكَ وَالْغَدِ، فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ لِي:**يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَا هُنَا مِنْ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ.**

إخوة الإسلام:

لقد ضرب لنا الرسول والصحابة أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد، فتعالوا معي لنسوق بعض النماذج من حياة الرسول وحياة سلفنا الصالح؛ لنتعلم من خلال هذه النماذج كيف يكون الوفاء بالعهد، وهل هناك عذر لأحد في أن ينقض عهده أم لا؟

النموذج الأول: روي أن الرسول وعد أبا الهيثم بن التيهان خادماً، أتى الرسول بثلاثة من السبي، فأعطى اثنين وبقي واحد، فاتت فاطمة بنت الرسول تطلب خادماً، وتقول: ألا ترى أثر الرحى بيدي، فتذكر الرسول وعده لأبي الهيثم، فجعل يقول: وكيف بوعدي لأبي الهيثم؟

فأعطاه الخادم، وآثر على ابنته وفلذة كبده، وهي في أشد الحاجة إلى الخادم، إذ إنها كانت تدير الرحى بيديها الضعيفتين، كل ذلك وفاء للعهد.

أما في الوقت الحاضر فحدث ولا حرج في نقض العهد، وخلف الوعد، ففي مثل هذا النموذج يقول الإنسان: إن ابنتي أولى من غيرها، ولكن أين الوفاء بالعهد....

النموذج الثاني: روى مسلم أن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ:**انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ.**

إن هذا العمل العظيم الذي فعله الرسول ليس وفاءً فحسب، بل هو أسمى ما يصبوا إليه الوفاء؛ وذلك لأن الوفاء في العهد في وقت السلم فضيلة، وأمر جاز شرعاً وعقلاً.

أما إذا كان الوفاء بالعهد في حرب متصلة مع عدو شديد العداوة، متصل المكيدة، متلاحق الدر، وقد بيت هذا العدو للرسول القتل، فقال

:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله والله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30]، فيكون الوفاء في هذه الحالة أفضل الفضائل.

ثم إن وفاء الشخص بعهده فضيلة، فإذا ما حض غيره على الوفاء بعهد لم يشارك هو به، ولم يُشرْ به، ولم يُقِره، ولم يشهد عليه، وهو يعلم أنه عهد باطل؛ لأنه قام على الاضطرار، وعلى التحايل للفرار، والرسول يعلم أن نقض هذا العهد يزيد عدد جنوده، ويقوى جيشه، في وقت كان فيه جيشه قليل العدد.

إن الوفاء حينئذ ليس فضيلة فحسب، بل هو أعظم الفضائل، لهذا كان أمر الرسول لحذيفة وأبيه بالوفاء بعهدهما أعلى ما يصبو إليه الخلق العظيم من درجات الوفاء بالعهد.

إن هذا النموذج من الوفاء لا أسوقه إلى المسلمين فحسب، بل أسوقه إلى العالم كله، وأحب أن أقول لبعض دول العالم التي تدعي العلم والتقدم والحضارة والديمقراطية، هل عندكم نموذج يضاهي الرسول في الوفاء بالعهد؟

فهل آن الآوان لدول العالم المتقدم أن تسمع لهذا؟ هل لها عقول تعي؟ هل لها بقيا من الضمائر تتقبل التربية والعلاج، أما آن الأوان لهذه الدول أن تعلم أن علمها زائف، وأن تقدمها تأخر، وأن حضارتها همجية.

إن الدول التي يقال عنها: إنها متقدمة ومتحضرة تتخذ الغدر موضة وخلقاً لها، وكذلك الواقع الذي نعيش فيه.

فإذا حدثت خصومة بين فرد وفرد، أو بين عائلتين، نجد أن أول شيء يحدث بينهما هو نقض أي عهد بينهما.

فهل آن الآوان لنا جميعاً أن نتصف بصفة الوفاء بالعهد مع أنفسنا أولاً، ومع خصومنا ثانياً.

فالواجب على كل مسلم فينا إذا أبرم عقداً يجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً يجب أن يلتزم به، وأن يكون الرجل منا عند كلمته التي قالها، فيُعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا

مطمع في اصطيادها.

النموذج الثالث: في صلح الحديبية لما كان سيدنا علي بن أبي طالب يكتب الشروط، وكان سهيل بن عمرو مندوب قريش في المفاوضات، وَإِنَّ الصَّحِيفَةَ لَتُكْتَبُ إِذْ طَلَعَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ حَبَسَهُ، فَأَفْلَتَ، فَلَمَّا رَآهُ سُهَيْلٌ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ يُلَبِّبُهُ يَتُلُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ وَلَجَتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا، قَالَ الرسول :صَدَقْتَ.

وَصَاحَ أَبُو جَنْدَلٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي، فَقَالَ رَسُولُ الله لأَبِى جَنْدَل:**أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ صَالَحْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَجَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْعَهْدُ، وَإِنَّا لاَ نَغْدِرُ.**

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْشِى إِلَى جَنْبِ أَبِى جَنْدَلٍ وَأَبُوهُ يَتُلُّهُ وَهُوَ يَقُولُ: أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ، وَجَعَلَ عُمَرُ يُدْنِى مِنْهُ قَائِمَ السَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ : رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَهُ فَيَضْرِبَ بِهِ أَبَاهُ، فَضَنَّ بِأَبِيهِ.

أرأيت أخي المسلم كيف حافظ الإسلام على الوفاء بالعهود مهما كان الثمن غالياً، فالواجب على كل مسلم أن يلتزم بالعهد الذي قطعه على نفسه تجاه غيره، تأسياً بالرسول .

النموذج الرابع: جيء بالهرمزان قائد جيش الفرس أسيراً إلى سيدنا عمر ابن الخطاب ، وكان قد فعل بالمسلمين الأفاعيل، عُرض عليه الإسلام فأبى، فأراد سيدنا عمر بن الخطاب قتله، لكن القائد استمهله قليلاً، وقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فأنا عطشان، ولأن أقتل وأنا ريان خير من أقتل وأنا على ظمأ، فأمر له سيدنا عمر بن الخطاب بشربة ماء، فلما وضعت بين يديه قال لسيدنا عمر بن الخطاب : هل أنا آمن حتى أشربها؟ قال له سيدنا عمر : نعم، فأراق الماء على الأرض، وصاح بأعلى صوته: الوفاء نور أبلج، فغضب سيدنا عمر بن الخطاب ، وأدرك أن الهرمزان قد خدعه، فاستشار أصحابه في شأنه، فقالوا له: بالوفاء،

فعفى عنه عمر بن الخطاب ، فأسلم.

النموذج الخامس: في عهد سيدنا عمر بن الخطاب وقعت حادثة، وهي: أن راعي غنم قتل صاحبَ بستان، وحُكِم عليه بالقتل قصاصاً.

فلما جاء موعد تنفيذ القصاص، نظر الرجل إلى سيدنا عمر بن الخطاب وقال له: إن لي أطفالاً صغاراً، وقد خبأت لهم مالاً لا يعرفون مكانه، فأمهلني ثلاثة أيام؛ لأخرجه لهم، ثم أعود.

فأبى سيدنا عمر بن الخطاب أن يمهله إلا بضامن، فضمنه أبو هريرة على غير سابق معرفة به، فلما انقضت الثلاث لم يعد الرجل، فأرادوا أن ينفذوا القصاص في أبي هريرة ، ولكن لطف الله حضر الرجل مسرعاً في آخر لحظة موفياً بوعده، فتعجب أبناء القتيل من وفاء الرجل، وكان ذلك سبباً في أنهم تقدموا إلى سيدنا عمر بالعفو عن الرجل، فسر الجميع.

وأحضر سيدنا عمر بن الخطاب الثلاثة: الأعرابي، وأبا هريرة، وأبناء القتيل، فقال عمر بن الخطاب : **"ما الذي حملك على الرجوع إلينا، وقد علمت أنك تعود للموت؟".**

فقال الرجل: خفت أن يقول الناسُ: ضاع الوفاء بين المسلمين!

ثم قال لسيدنا أبي هريرة : " وأنت يا أبا هريرة ما الذي حملك على ما فعلت، وقد علمت أنك ضمنته على الموت ".

فقال سيدنا أبو هريرة : **"خفت أن يقول الناس: ضاعت المروءة بين المؤمنين".**

ثم قال عمر بن الخطاب لأبناء القتيل: **"وأنتم يا أبناء القتيل، ما الذي دفعكم إلى العفو؟"**

فقلوا: خفنا أن يقول الناس: ضاعت الرحمة بين المسلمين.

فانظر أخي المسلم إلى تلك النفوس الطاهرة، والقلوب المليئة بالرحمة والإخلاص والوفاء.

رجلان يقدمان نفسيهما فداءً لحفظ كرمة المسلمين، وآخرون يعفون عن قاتل أبيهم، ومهلك عزيزهم؛ لأجل أن تظل سمعة الإسلام طيبة،

ورائحته عطرة ذكية.

وانظر إلى الوقت الذي نعيش فيه: كيف تنقض العهود، وتخلف الوعود، وكيف تداس الشروط، وتهد الاتفاقات، وانتشر النصب والتحايل والغش والخيانة والتدليس، فلقد أساء المسلمين إلى الإسلام، وشوهوا سمعته، وأصبحوا مثلاً سيئاً بين الأمم والشعوب.

تذهب إلى صاحب صنعة لتتفق معه على عمل شيء تريده، فيعدك بأن تأخذه بعد أسبوع أو أسبوعين مثلا، فتنظم عملك على هذا، ثم تذهب إليه في الوقت المحدد، فتجد وللأسف وعده مكذوباً، وعهده منقوضاً.

تتفق مع صديق أو شريك لم عل أن يحضر إليك في يوم كذا، أو في ساعة كذا، فترتب أمرك، وتنظم وقتك على هذا الميعاد، ثم تنتظر صاحبك، ولكن يا لخيبة الرجاء، ويا لضيعة الأمل.

وهكذا وجد تهاوناً بين المسلمين في المحافظة على الوعود، وإهمالاً لما يبرم بينهم من عهود وعقود.

فهل أن الآوان لنا جميعاً أن نتخلق بخلق الوفاء تأسياً بالرسول ؛ لنعيش في سعادة حقيقية لا تدانيها سعادة.

النمـوذج السـادس: في يوم من الأيام خرج عبد الله بن المبارك لمبارزة رجلاً مجوسياً، فلما جاء وقت صلاة العصر، استأذن عبد الله من المجوسي في هدنة قصيرة يؤمنه فيها على نفسه، حتى يفرغ من الصلاة، وقال له: عاهدني على الأمان حتى أتمم صلاتي، وكان له ذلك، ولما جاء وقت الغروب، وكان المجوسي هذا من عباد الشمس والنار، طلب منه أن يعطيه فرصة ليؤدي هو الآخر صلاته، فعاهده عبد الله على ذلك، ولكنه نظر إليه وهو ساجد، ووسوست له نفسه أن يفتك به وهو في الصلاة، وبينما هو يُعد نفسه للوثوب عليه، إذ بهاتف يهتف ويقول: اتق الله يا عبد الله، ويقول:{**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**} [النحل: 91].

فتراجع عنه وهو يردد هذه الآية، ولما فرغ المجوسي من صلاته سأله، لقد هممت بي سوءاً، ثم عدت دون أن تفعل شيئاً فلماذا؟

فأخبره بما قاله الهاتف، فقال المجوسي: نِعْمَ الرب ربك يا عبد الله، إن رباً يعاتب حبيبه من أجل عدوه لهو رب عظيم، ثم أسلم وحسن إسلامه، وكل هذا ببركة الوفاء بالعهد.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على التخلق بخلق الوفاء بالعهد:

أولاً: الوفاء بالعهد صفة من صفات المتقين: فقال : {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

وقال : {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 76].

ثانياً: الوفاء صفة من صفات أصحاب العقول السليمة: فقال : {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ} [الرعد: 19، 20].

ثالثاً: الأجر العظيم: فقال : {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [الفتح: 10].

رابعاً: الفردوس الأعلى: فقال : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 1 - 11].

* * *

دستور الأمة المغيب

أسباب نعيم القبر

القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين: أنزل الكتاب المكنون، وأرسل السحاب المتون، تكونت بقدرته الأشياء، وتوالت برحمته الآلاء، وانشقت بحكمته الأرض والسماء، وكتب بمشيئته السعادة والهناء، فيرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال: **{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى}** [طه: 74- 76].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: وصف القرآن الكريم بأنه نور، فقال: **{فَآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** [التغابن: 8].

وقال: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [الشورى: 52] والمراد بالنور في الآيتين: القرآن الكريم.

وإذا كان منزل القرآن على عبده محمد هو النور كله، كما قال: **{الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}** [النور: 35].

والذي كان يتولى عملية إنزال القرآن على الرسول، فقال: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}** [الشعراء: 193، 194].

وقد خلقه الله من نور، فروى مسلم أن الرسول قال: **خلقت الملائكة من نور..** .

ولقد وصف الله الرسول بأنه نور، فقال: **{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}** [المائدة: 15].

فإذا كان الله هو النور، وجبريل خلق من نور، والقرآن نور، والرسول موصوف بأنه نور، فكيف تعيش أمة الرسول في الظلام؟!

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً: حثنا على تلاوة القرآن، فروى

أحمد في المسند وحسن الحديث الشيخ الألباني قال أبو ذر قلت: يا رسول الله، أوصني، فقال :**عليك بتقوى الله، فإنها رأس الأمر كله** قلت: يا رسول الله، زدني، فقال :**عليك بتلاوة القرآن الكريم، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع القرآن لكريم، مع معجزة الرسول الكبرى، مع حبل الله المتين، والصراط المستقيم، والنور المبين.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن وخاصته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن من أكبر النعم التي أنعم الله بها على أمة الرسول أن أنزل عليهم القرآن الكريم، فالله جعل نزول القرآن الكريم على الأمة المحمدية نعمة لا تحصى، ومنة عظمى منه ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة فقال:**{أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [العنكبوت: 51].

بل أمرنا الله أن نفرح بهذه النعمة (نعمة القرآن)، فقال :**{قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس: 58].

قال ابن عباس : فضل الله : الإسلام، ورحمته: أن جعلكم من أهل القرآن الكريم، فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفي بها نعمة، والحمد لله على نعمة القرآن وكفي بها نعمة.

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أتم الله علينا النعمة، فتولى حفظ القرآن بنفسه، فقال :**{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: 9].

فهو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي لم تنله أيدي التحريف والتبديل، ولم تعبث به أيدي العابثين والمجرمين، فقال :{لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42]

وجعل الله القرآن الكريم مهيمناً على الكتب السابقة عليه، فقال : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} [المائدة: 48].

بل جعله الله أحسن الحديث، فقال :{اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: 23].

وقد حوى القرآن الكريم كل شيء، فما من شيء يحدث أو نازلة تأتي، إلا ولها في كتاب الله مخرج، قال : وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: 38].

فلقد جمع القرآنُ كل ما يحتاج إليه الخلائق في معاشهم وميعادهم، فجاء بالعقائد الصافية، والعبادات الهادية، والمعاملات السليمة، والأخلاق الكريمة، والسياسة الحكيمة، والمعارف الرائقة، والتوجيهات النافعة، والحجج الساطعة.

الحقيقة الثانية: إن الله تحدى بالقرآن البشرية عامة، وتحدى به المشركين خاصة، وما زال التحدي قائماً إلى يوم القيامة، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88].

فلما عجزوا عن الإتيان بقرآن مثله، تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، فقال :{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [هود: 13].

فعجزوا، فخفف الله التحدي إلى أقل درجاته، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الجليل فعجزوا، قال :{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [يونس: 38].

وقال :{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: 23، 24].

الحقيقة الثالثة: إن القرآن الكريم لو أنزله الله على جبل لتصدع الجبل من خشية الجليل، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21].

وعلى العكس من ذلك فإن قلوب العباد الآن لن تخشع من ذكر القرآن؟ سؤال مرير كيف تتصدع الجبال للقرآن ولا تتحرك له القلوب؟ فإذا نظرنا إلى قلوب الناس الآن نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أصناف تجاه القرآن الكريم.

الصنف الأول: ميت القلب، فهذا لو سمع القرآن كله ما تدبر وما تأثر، وكثير ما هم.

الصنف الثاني: حي القلب، لكنه معرض عن القرآن، حي القلب لكنه لا يسمع بأذن رأسه ولا بأذن قلبه لآيات الله المتلوة، ومن ثم هو لا يتأثر البتة بآيات الله المتلوة والمرئية في الكون؛ لأنه معرض بسمعه وقلبه عن الله ، هؤلاء هم أهل الغفلة، والعياذ بالله.

الصنف الثالث: حي القلب، منتفع بالآيات المتلوة والمرتبة، قال : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: 37].

فالقرآن تخشع وتتصدع له الجبال ولا تتحرك له القلوب الموات، لذا قال عثمان : " **والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا** ".

وإذا نظرنا إلى مكة نجد أن قريشاً كانت تخشى على نفسها من سماع القرآن؛ لأن القرآن كان يصدع عناد الكفر والكبر في قلوبهم، تخيل أن المشركين على عنادهم وكفرهم بالله كانوا يتأثرون بالقرآن الكريم، فذات مرة اجتمعوا في بيت الله الحرام، وأردوا القضاء على النبي وتخيل هذا الموقف.

النبي يصلي، وأبو جهل يقترب منه يريد الفتك به، والنبي موصول بالله مشغول بالصلاة يقرأ آي القرآن، وإذا بأبي جهل يجري مسرعاً إلى

الخلف يدفع بيديه عن وجهه، فلما اقترب من المشركين سألوه، مالك يا أبا الحكم؟ لماذا رجعت؟ لماذا جريت بهذه الصورة المزرية؟

فقال أبو جهل: إن بيني وبين محمدٍ خندقاً من نار، وإني أرى أجنحة، وبينما النبي يصلي ويقرأ من أول سورة النجم، إلى أن وصل إلى قول الله :{أَزِفَتْ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ* فَاسْجُدُوا لله وَاعْبُدُوا} [النجم: 57 - 62].

وهنا يخر النبي ساجداً لله ، والمشركون الذين اجتمعوا لقتله، إذا بهم يخرون جميعاً لله سجودا وتسليماً واستسلاماً لعظمة القرآن، وذاع الخبر في الناس وانتشر انتشار النار في الهشيم، حتى أشيع بين الناس أن قريشا قد أسلمت.

بل وسجد الجن مع الرسول بسورة النجم، نعم الجن، ألم يقل المولى :{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: 1، 2].

ألم يقل المولى :{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [الأحقاف: 29 - 32].

وهذا هو الوليد بن المغيرة وكان متعنتاً متكبراً منكرا فلما ذهب إلى النبي ليعرض عليه الملك والجاه والسلطان، حتى يرجع إلى دين آبائه وأجداده، وقد قرأ عليه النبي آيات جليلة من القرآن الكريم، قال الوليد كلماته الخالدة في حق القرآن: إني سمعت كلاماً من محمد لا هو كلام الإنس ولا هو من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

ولم لا؟ وهو كلام ربنا ، قال :{حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً

عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف: 1 - 4].

وقال :{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: 1 - 3].

وقال :{حم* تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ} [فصلت: 1 - 6].

هذا الكتاب الذي يجمع أسرار الدنيا كلها ويحوى أخلاق الدين ودستور الحياة، حتى فطن له أعداؤنا قبل أن نفطن له، وأخذوا منه وشربوا، ثم حاولوا طمس معالمه فما استطاعوا تحقيقاً لوعد الله :{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف وصل إلينا القرآن الكريم بهذه الصورة التي بين أيدينا؟.

لقد مر القرآن الكريم بثلاث مراحل حتى وصل إلينا بالصورة التي نراها عليه الآن:

المرحلة الأولى: كانت في عهد الحبيب المصطفي وهى المرحلة التي جمع فيها في صدر النبي وفي صدور الصحابة ، منَّ الله عليهم بملكة حفظ جليلة، وحفظ النبي القرآن، فانتقل القرآن من صدر النبي إلى صدور الصحابة ، بل كان النبي ﷺ من شدة حرصه على حفظ القرآن يتعجل التلاوة خلف أمين السماء، فنزل قول الله :{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: 16 - 19].

فجُمع القرآن في صدر النبي ، واتخذ النبي مجموعة من كتاب الوحي كزيد بن ثابت، وكأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، فكان النبي

إذا نـزل عليـه جبريـل بالآيـة أمـر كتـاب الـوحي فنسـخوها فـي اللخـاف والعسب، واللخاف نوع من أنـواع الحجـارة الرقيقـة التـي كانـت تنحـت أو يكتب عليها، والعسب: جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكتبون عليه أيضاً، فكان يأمر النبي ﷺ كتبة الوحي بكتابة الآيات كما يمليها عليهم رسول الله ، وظل القرآن في هذه المرحلة في اللخاف والعسب أي: في جريد النخل ومكتوب على الحجارة وفي صدور الرجال إلى أن مات سيد الرجال .

المرحلة الثانية: فلقد كانت في عهد أبى بكر لما وقعت معركة اليمامة بين مسيلمة الكذاب وبين الصحابة، قتل في هذه المعركة عدد هائل من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن في صدورهم، فجاء عمر إلى أبى بكر، وقال له: يا أبا بكر، يا خليفة رسول الله اجمع القرآن في مصحف واحد.

فقال أبو بكر الصديق : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله، لا... فقال عمر : هذا والله خير... قال الصديق: فمازال عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري بقول عمر: فأرسل إلى زيد بن ثابت .

اسمع... فقال الصديق لزيد: يا زيد إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، فتتبع القرآن واجمعه، قال زيد: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن.

انظروا إلى أصحاب الهمم العالية الذين يقدرون المسؤوليات الضخام الجسام قال: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن، قال: فتتبعت القرآن فجمعته من اللخاف أي: من الحجارة الرقيقة ومن العسب، أي من جريد النخل وصدور الرجال وجمع القرآن في صحف ضخمة عديدة، وانتقلت هذه الصحف إلى بيت الصديق فلما توفي الصديق انتقلت الصحف إلى بيت عمر ، فلما توفي عمر انتقلت الصحف إلى أم المؤمنين حفصة زوج النبي .

المرحلـة الثالثـة: والكبيرة والخطيرة كانت فـي عهد عثمان ، فروى البخارى أن حذيفة بن اليمان عاد إلى عثمان بعد غزوة أرمينيا في الشام مع أهل الشام وبعد غزوة أذربيجان مع أهل العراق، دخل حذيفة على عثمان فزعاً وهو يقول: يا أمير المؤمنين أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في

كتاب ربهم كما اختلف اليهود والنصارى.

قال عثمان: وما ذاك؟ رأى حذيفة أهل الشام يقرؤون القرآن بقراءة أبى ابن كعب ، ورأى حذيفة أهل العراق يقرؤون القرآن بقراءة عبد الله بن مسعود ، فكان أهل الشام يسمعون قراءة من أهل العراق لم يسمعوها من قبل، وكان أهل العراق يسمعون قراءة من أهل الشام لم يسمعوها من قبل، فاختلفوا اختلافا شديداً حتى كفر بعضهم بعضاً، فجاء حذيفة فزعاً: أدرك الأمة قبل أن تختلف في كتاب ربها، كما اختلف اليهود والنصارى مع أن الله من رحمته وتيسيره على الخلق قد أنزل القرآن على سبعة أحرف كما قال النبي : **إنما أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف.**

فلما سمع أهل الشام القراءة ما سمعوها من أبى بن كعب ، وسمع أهل العراق قراءة ما سمعوها من عبد الله بن مسعود ، اختلفوا، فأرسل عثمان بن عفان إلى حفصة أم المؤمنين أرسلي إلينا بالصحف، أي: التي جمعت في عهد الصديق لننسخها في مصحف واحد، فأرسلت حفصة المصحف إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى كاتب النبي زيد بن ثابت وإلى مجموعة من أصحاب رسول الله ، وأمرهم أن ينسخوا الصحف في مصحف واحد، وقال لهم: إن اختلفتم في الكتابة مع زيد، فاكتبوا بلسان قريش، فإنه قد نزل بلسانها، أي: بالقراءة التي حفظها أصحاب النبي من قريش.

ونسخوا مجموعة من هذا المصحف الواحد مجموعة كثيرة، وأرسل عثمان إلى كل مصر من الأمصار بمصحف واحد إمام، وأمر ببقية الصحف غير هذا المصحف الإمام أن تحرق.

وبذلك جمع عثمان الأمة كلها على مصحف واحد، قرأ به كله نبينا وهذا هو المصحف الذي هو بين أيدينا الآن، وهو يسمى بالمصحف الإمام، أي: الذي جمعه عثمان من الصحف كلها.

وهكذا حفظ الله القرآن الكريم، فلم تتغير منه آية، ولم تتبدل منه كلمة، ولم يحذف منه حرف، فما تولى الله حفظه لا يضيعه أحد، قال : **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: 9].

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف ما هو الواجب علينا تجاه القرآن الكريم؟.

الواجب الأول: تلاوة القرآن الكريم:

فأعلى الذكر منزلة تلاوة القرآن الكريم، ولقد وردت آيات عديدة تحثنا على تلاوة القرآن، وتبين المنزلة العالية لمن حقق هذا الواجب.

فقال :{**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**} [فاطر: 29، 30].

وحثنا الرسول على تلاوة القرآن الكريم، وبين لنا المنزلة العالية لمن يداوم على قراءته، فروى البخاري أن الرسول قال:**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة** (الملائكة الكتبة) **الكرام البررة** (البررة جمع بار، وهو المطيع) **والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو شاق عليه، له أجران.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**مثل الذي يقرأ القرآن مثل الأُترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرياحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر.**

وكلما ازداد الإنسان في القراءة ازدادت درجاته في الجنة، فروى الترمذي أن الرسول قال:**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.**

بل بين الرسول أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فروى مسلم أن الرسول قال:**اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.**

ولكن للأسف الشديد أهملنا قراءة القرآن إلى حد بعيد، نقرأ القرآن الكريم في المناسبات الحزينة، وزينا به صدور النساء، فأصابنا ما نحن فيه، وصدق الله إذ يقول:{**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً**} [الفرقان: 30].

إن الله لم ينزل القرآن ليقرأ على الأموات في القبور، ولم ينزله الله ليوضع في العلب القطيفة الفخمة الضخمة التي توضع في مؤخرة السيارة، وفي غرف الصالون.

ولـم ينزلـه الله ليوضـع فـي البراويـز الفضـية والذهبيـة ويعلـق علـى الجدران والحوائط، ولم ينزله الله ليحلى به النساء صدورهن في مصاحف صغيرة، ولم ينزله الله ليهديه الحكام والزعماء إلى بعضهم البعض، فترى الحاكم يستلم المصحف منحنياً على كتاب الله ليقبله بخضوع جسدي كامل.

اقرأ معي قول الله وهو يبين لماذا أنزل القرآن، فقال:{طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طـه: 1، 2] ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بـه، أو لتشقى الأمة من بعدك به، أو لتشقى بحدوده وأوامره ونواهيه وتكاليفه.

كلا، بل لقد أنزل الله على الرسول ليقيم بـه أمة ودولة، ويَسعدُ بـه البشر في الدنيا والآخرة، قال :{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9].

الواجب الثاني: العمل به وتطبيق أحكامه:

إن الله أنزل كتابه بالحق والميزان، ليقوم الناس بالقسط، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وفرض على المسلمين ما فيه من أحكام.

فقال :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 49، 50].

إن إهمال التشريع الإلهي واعتناق القوانين الأرضية، عبث شائن، وجاهلية منكرة، قال :{أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [الأنعام:114- 116].

* * *

بـر الوالدين

بر الوالديـن

أسبـاب نـعيم القبـر

بر الوالدين

الحمد لله رب العالمين: نحمدك يا رب كما علمتنا أن نحمدك، وإن كنت في غنا عن حمدنا لك، لكنها منة مننت بها علينا أن رضيت لنا أن نحمدك.

إلهي: هل في الوجود رب سواك فيدعى؟!!، أم هل في الملإ إله غيرك فيرجى؟!!.

إلهي: لا رب لنا سواك فندعوه، ولا إله لنا غيرك فنرجوه.

إلهي: هذه ذنوبي في الورى كثـــرت ::: وليس لي عمل في الحشـــر ينجـــيني

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه حـــب ::: المصطفى وهـــذا القـــدر يكفـــيني

يا من لطفت بحالي قبـــل تكـــويني ::: لا تجعل النار يوم الحشـــر تكـــويني

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن بر الوالدين ليس من خصوصيات الأمة المحمدية فحسب، بل إنه أمر إلهي قديم، فرضه الله على الأمم قبلنا، وأخذ عليهم العهد والميثاق بذلك، فقال : **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ}** [البقرة: ٨٣].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن أحق الناس بالبر والإحسان في الدنيا: الوالدان، فروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي، قَالَ :**أُمُّكَ**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :**ثُمَّ أُمُّكَ**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :**ثُمَّ أُمُّكَ**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :**ثُمَّ أَبُوكَ**.

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: بر الوالدين، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر

عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الله ربط بين أمرين لا غنى لأحدهما عن الآخر، فربط بين الأمر بعبادته والأمر ببر الوالدين، وبين ذلك في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وذلك على النحو التالي:

1 - قال: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} [النساء: ٣٦].

2 - وقال: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١].

3 - وقال: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً} [الإسراء:٢٣ - ٢٥].

ولقائل يقول: لماذا ربط الله بين توحيده والإحسان إلى الوالدين؟

أقول: ربط الله بين توحيده والإحسان إلى الوالدين لسببين:

السبب الأول: لأن النشأة الأولى من عند الله ، والنشأة الثانية (التربية) من جهة الوالدين.

السبب الثاني: لأن عبادة الله لا تكفي مع العقوق، ولا يغني بر الوالدين مع الشرك بالله ؛ لأن من طبيعة العبادة الامتثال والطاعة، فلا تتم

العبادة إلا بهما، (توحيد الله ، وبر الوالدين).

وقد أكد الشرع الحنيف هذا الربط بعدة أمور:

أولاً: تكرار الأمر بالإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم: فقال : {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[لقمان: ١٤، ١٥].

وقال :{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٨].

وقال :{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥].

ثانياً: جعل الرسول برَ الوالدين مقدماً على الجهاد في سبيل الله : فروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ :**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ :**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**.

وروى أحمد والبيهقي والنسائي أن جاهمة جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فقال: يَا رَسُولَ الله: أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ :**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ :**فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْد رِجْلَيْهَا**.

ثالثاً: جعل الرسول رضا الرب في رضا الوالدين: فروى الطبراني أن الرسول قال:**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**.

فالواجب على كل مسلم أن ينتبه لهذا الأمر، ويعمل جاهداً لتحقيق هذا الواجب، حتى ينال رضا الله ، ورضا الرسول .

الحقيقة الثانية: إن بر الوالدين كان صفة أصيلة من صفات الأنبياء والمرسلين، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، وذكر لنا نماذج متعددة لبر الأنبياء والرسل إلى الوالدين، وذلك على النحو التالي:

أولاً: سيدنا إبراهيم ﵇:

فلقد صور لنا القرآن أن سيدنا إبراهيم ﵇ بلغ مبلغاً عظيماً لا مثيل له في البر بأبيه، فكان يدعو أباه إلى الجنة، وأبوه يدعوه إلى النار، يدعو أباه إلى توحيد الله ، وأبوه يدعوه إلى الشرك بالله ، سيدنا إبراهيم ﵇ يدعو أباه بحلم، لكن أباه يعترضه بغضب وشدة، وكان يكرر دعوته لأبيه بغاية التلطف واللين، مستعملاً في خطابه معه يا أبت؛ ليشعره بأنه ابنه، والابن البار يكون حريصاً على كل ما ينفع أباه، فقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ} [مريم:٤١ - ٤٣].

إن سيدنا إبراهيم ﵇ لم يصف أباه بالجهل المفرط، ولم يصف نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم، وشيئاً منه ليس معك، فاقبل قولي ونصحي، ثم يقول له متوسلاً إليه، ومستطعفاً إياه:{يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياًّ * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياًّ} [مريم: ٤٤، ٤٥].

وبالرغم من هذا اللين، وذاك التلطف في الخطاب، والتزام أقصى حدود الأدب، إلا أنه أجابه كما قال المولى :{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياًّ}[مريم: ٤٦].

فرد سيدنا إبراهيم ﵇ على أبيه بكل لطف وحنان، فقال :{قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ} [مريم: ٤٧، ٤٨].

ثانياً: سيدنا إسماعيل ﵇:

فهذا النبي ﵇ ضرب أروع الأمثلة في بر الوالدين، وذلك لما رأى سيدنا إبراهيم ﵇ تلك الرؤيا الربانية، التي تأمره أن يذبح ولده إسماعيل ﵇، وكان قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وهي سن خطيرة في مرحلة الشباب، ولقد صور لنا القرآن الكريم ذلك، فقال :{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا

تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات: ١٠١ - ١٠٧].

ثالثاً: سيدنا يحيى عليه السلام:

فلقد ذكر لنا القرآن الكريم أنه كان براً بوالديه، فقال :{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِياً * وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِياً * وَبَراً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِياً * وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً} [مريم: ١٢ - ١٥].

رابعاً: سيدنا عيسى عليه السلام:

فلقد ذكر لنا القرآن الكريم أنه كان براً بأمه، فقال :{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً * وَبَراً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وَلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَياً} [مريم: ٣٠ - ٣٣].

فالواجب على كل مسلم أن يقتدي بهؤلاء الأنبياء، وأن يكون براً بوالديه، كما كانوا، فهم قدوة لنا، واتباعهم واجب علينا جميعاً، فقال : {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٩٠].

وعلى المسلم العاقل أن يبتعد عن العقوق؛ فلقد دعا الرسول بالذل على العاق لوالديه، فروى مسلم أن الرسول قال:رَغِمَ أَنْفُ" أي لصقه بالتراب، والمقصود الدعاء عليه بالذل " ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ :مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ.

فمن أدرك أبويه أو أحدهما حياً، ولم يكن سبباً في دخوله الجنة، استحق نار جهنم، فروى الحاكم عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قال رسول الله : احضروا المنبر فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال:آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال:آمين فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال:آمين.

فلما نزل، قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال :إن جبريل عليه السلام عَرَض لي فقال: بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت:

آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعداً لمن ذُكِرتَّ عنده فلم يُصل عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبرَ، أو أحدَهُمَا، فلم يُدخِلاه الجنة، قلت: آمين.

الحقيقة الثالثة: إن الإنسان منا مهما قدم لوالديه، فهو قليل في جانب ما قدماه، فمهما قدم الإنسان من معروف، ومهما فعل من خير، فلن يستطيع أن يؤدي ولا جزء يسير مما قدمه الوالدان طوال مراحل عمر الإنسان المختلفة.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وغيرُه أن الرسول قال:**لا يجزي ولدٌ والدَه، إلا أن يجدَه مملوكاً، فيشتريه فيعتقَه.**

وروى البخاري في الأدب المفرد وأبو داود أن ابن عمر شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، وهو يقول:

إني لهـــا بعيرُهـــا المـــذلل ::: إن أُذعـــرتْ ركابُهـــا لم أُذعـــر
الله ربي ذو الجـــلال الأكـــبر ::: حملتُهـــا أكثـــر ممـــا حملـــت

ثم قال: يا بن عمر أتراني جازيتُها؟ قال ابن عمر : لا، ولا بزفرة واحدة، وفي رواية: ولا بسهر ليلة من لياليها عليك، ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

وقال رجل لعمر بن الخطاب : إني لي أماً، بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال عمر بن الخطاب : لا؛ لأنها كانت تصنع بك ذاك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه، وتتمنى فراقها.

فالواجب على كل مسلم أن يعي تماماً أنه مهما قدم من بر وإحسان إلى الوالدين، فهو قليل بجانب ما أخذه منهما، فمن نور الوالدين استمد الولد شعاع الحياة، ومن أفقهما سطع فجر وجوده، وتحت مظلتهما الوارفة الحنون نما وترعرع، وشب عن الطوق وأينع.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف مظاهر متعددة لبر الوالدين، وجعل من هذه

المظاهر ما يكون في حياتهما، ومظاهر أخرى تكون بعد مماتهما، فتعالوا معي لنتعرف على مظاهر بر الوالدين في حياتهما.

أولا: الشكر للوالدين:

لقد فرض الله الشكر على الأبناء للوالدين، ومما يزيد من أهمية الشكر للوالدين ووجوبه، أن الله ﷻ قرنه بشكره ، فقال ﷻ:{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤].

قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونات بثلاث، ولا يقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها:

أولها: قول الله :{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: ٤٣]، فمن صلى ولم يؤت الزكاة، لم تقبل صلاته.

ثانيها: قول الله :{وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: ١٣٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول ، لم يقبل منه.

ثالثها: قول الله :{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]، فمن شكر الله ولم يشكر والديه، لم يقبل منه.

وهذا يعني: أن الله لا يقبل الشكر له، إلا إذا كان مقروناً بشكر الوالدين، فإذا شكر الإنسان الله ، ولم يشكر والديه، فلن يقبل الله منه الشكر، وإن العبد إذا شكر والديه، ولم يشكر الله ، فيكون شكره غير مقبول أيضاً.

وروى الترمذي أن الرسول قال: **لاَ يَشْكُرُ اللهَ، مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ.**

وأولى الناس بالشكر في الدنيا: الوالدان، وقد قال بعض التابعين: شكر الله أن يصلي في كل يوم خمس مرات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات.

وعلى الرغم من وجوب الشكر للوالدين، إلا أننا نرى كثيراً من الأبناء لا يقومون بهذا الواجب، بل والأعجب من هذا كله، أن من الأبناء اليوم من ينكر ما فعله أبوه له....

ثانياً: خفض الجناح:

وخفض الجناح هو: التواضع للوالدين، ولين القول لهما، والتأدب عند مخاطبتهما، وعدم رفع الصوت بحضرتهما، ولقد أشار المولى إلى وجوب خفض الجناح للوالدين، فقال:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: **24**].

وروى البخاري في الأدب أن ابن عمر قال لرجل: أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قال الرجل: إي والله، قال ابن عمر : أحي والداك؟ قال الرجل: عندي أمي، قال ابن عمر : فو الله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

ولقد كان السلف الصالح لا يرفعون أصواتهم بحضرة والديهم، فقد كان محمد بن سيرين لا يكلم أمه، إلا كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه.

بل لقد بلغ البر بأحد سلفنا الصالح أنه كان لا يستفهم أمه ولا أباه كلاماً، حتى يخرج من عندهما.

ثالثاً: إلقاء السلام عليهما:

فالواجب على كل مسلم إذا دخل على والديه أن يلقي السلام عليهما، فإن ذلك من البر بهما، ولقد أشار المولى إلى هذا الواجب، فقال:{فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ الله مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تعْقِلُونَ} [النور: ٦١].

وروى الترمذي أن الرسول قال:**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**

وأولى الناس بإلقاء السلام الوالدان، ويُفضل أن يقرن ذلك بتقبيل يديهما، فروى البخاري في الأدب المفرد وأحمد عن أبي مُرة: أن أبا هريرة كان يستخلفه مروان، وكان يكون بذي الحليفة، فكانت أمه في بيت، وهو في آخر، قال: فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله.

رابعاً: الإذن عند السفر:

فالواجب على المسلم إذا أراد أن يسافر إلى أي مكان، عليه أن يستأذن والديه في السفر، فإن ذلك من الواجب عليه، حتى ولو كان السفر إلى الجهاد في سبيل الله ، ولقد أشار الرسول إلى هذا الحق، فروى أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : أَنَّ رَجُلاً هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ :**هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ؟** قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ :**أَذِنَا لَكَ**، قَالَ: لاَ، قَالَ :**ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلاَّ فَبِرَّهُمَا**.

قال الجصاص في أحكام القرآن: قال أصحابنا: لا يجوز أن يجاهد إلا بإذن الأبوين.

وقال ابن قدامة: وذهب بعض الفقهاء إلى أن إذن الوالدين شرط لصحة الجهاد، إذا كانا مسلمين، فإن كانا غير مسلمين، فلا إذن لهما في الجهاد.

خامساً: الدعاء لهما:

فالواجب على الابن أن يدعو الله لوالديه، بالرحمة والمغفرة، فإن هذا الأمر من البر، ولقد أشار المولى إلى هذا الواجب، فقال:{**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**} [الإسراء: **24**].

وفي هذه الآية ربط جميل بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، حتى يرق القلب ويلين، فيسارع بالدعاء ويرفعه إلى الله ، ملتمساً الرحمة والمغفرة.

ولا يظن أحد أن الدعاء للوالدين يكون بعد موتهما، أو موت أحدهما، فالدعاء للوالدين يكون في حياتهما وبعد موتهما.

وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه، فقد دعا له على الرغم أنه على الشرك، فقال :{**قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ**} [مريم: ٤٧، ٤٨].

سادساً: عدم سبهما:

فالواجب على الابن ألاَّ يسب والديه، ولا يكون سبباً في سبهما، فإن

هذا من البر لهما، أما لو سبهما، أو كان سبباً في سبهما، فقد ارتكب كبيرة من الكبائر، فروى مسلم وغيره أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: **مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : **نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ.**

سابعاً: عدم التأفف والتضجر من أوامرهما:

فإذا أمرك والداك، أو أحدهما بأمر هو في استطاعتك، فالواجب عليك الالتزام والطاعة لأوامرهما، فالتأفف من أوامر الوالدين منهي عنه، فقال : **{فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا}** [الإسراء:**23**].

بل الواجب على الابن أن لا يتكلم إلا بالكلام الطيب، انطلاقاً من قول الله : **{وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً}** [الإسراء:**23**].

فكم من الأبناء إذا أمره والداه بأي أمر، أو طلبا منه أي طلب، تجده يتأفف ويتضجر، ويُصدِّر كلامَه بكلمة أف، ويتذمر من طلبات أبويه، فهذا من العقوق الذي قد نهانا الشرع عنه.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على صور البر بعد وفاة الوالدين.

أولاً: الدعاء لهما:

روى مسلم والبيهقي واللفظ له، أن الرسول قال: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.**

فروى أحمد وابن ماجه أن الرسول قال: **إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ.**

ثانياً: الصدقة عنهما:

فيجوز للابن أن يتصدق عن والديه بعد موتهما، فإن ذلك جائز شرعاً، روى البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا، وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ، تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ : **نَعَمْ.**

وروى أبو داود عن سعد بن عبادة أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :الْمَاءُ، قَالَ: فَحَفَرَ بِئْرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لأُمِّ سَعْدٍ.

وروى أحمد والنسائي عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا، قَالَ :نَعَمْ، قَالَ : فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :سَقْيُ الْمَاءِ، قَالَ : فَتِلْكَ سِقَايَةُ آلِ سَعْدٍ بِالْمَدِينَةِ.

ثالثاً: قضاء دينهما:

فإذا مات الوالدان أو أحدهما، وعليهما أو على أحدهما دين، فالواجب على الابن أن يسد هذا الدين، فقضاء دين الوالدين بعد موتهما من البر بهما، روى أحمد والترمذي وابن ماجه والبيهقي أن الرسول قال:**لاَ تَزَالُ نَفْسُ الْـمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةً بِدَيْنِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ.**

وروى ابن عساكر في التاريخ أن الرسول قال:**من قضى دين والديه بعد وفاتهما، وأوفى نذرهما، ولم يستتب لهما، كتب باراً، وإن كان عاقاً لهما.**

رابعاً: الحج عنهما:

فإذا مات الوالدان، ولم يتمكنا من الحج لأي سبب ما، فيجوز للابن أن يحج عنهما، بشرط أن يكون قد حج عن نفسه أولاً، روى البخاري ومسلم أن رَجُلاً قال: يا نَبيَّ اللَّه، أبي مَاتَ ولم يَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عنه؟ قال : **أرأَيتَ لو كان على أَبيك دَيْنٌ، أَكُنتَ قَاضِيَهُ؟** قال: نعم، قال :**فَدَيْنُ اللهِ أَحقُّ.**

وروى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ :**نَعَمْ، فَحُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ، أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟** قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ :**اقْضُوا الله، فَإِنَّ الله أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ.**

خامساً: الصوم عنهما:

فلو مات أحد الوالدين وعليه صيام، ولم يتمكن من قضائه قبل موته لعذر المرض، فيجوز للابن أن يصوم عنه، روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ فَقَالَ :**لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ**

قَاضِيَهُ عَنْهَا؟، قَالَ:نَعَمْ، قَالَ :فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى.

سادساً: زيارة قبرهما:

فمن البر بالوالدين بعد موتهما، أن يزور الابن قبرهما، فروى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة : أن الرسول قال:اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَ أُمِّي، فَأَذِنَ لِيَ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَدْعُوَ لَهَا، فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لِي.

سابعاً: أن يصل المسلم أقاربهما وأصدقائهما بعد موتهما:

فمن البر أن يصل الإنسان ما كان يصله أبواه، فروى مسلم وأبو داود أن الرسول قال:إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ، صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ.

وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ مَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ أَبُو الأَعْرَابِيِّ صَدِيقًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: أَلَسْتَ فُلانَ بْنَ فُلانٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ بِحِمَارٍ لَهُ كَانَ يَعْتَقِبُ، وَنَزَعَ عِمَامَةً كَانَتْ لَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: شُدَّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِي هَذَا دِرْهَمًا، قَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ:احْفَظْ وُدَّ أَبِيكَ، وَلا تَقْطَعْهُ، فَيُطْفِئُ اللهُ نُورَكَ.

وروى أبو داود عنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ :نَعَمِ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على بر الوالدين، فهناك نتائج في الدنيا، ونتائج في الآخرة، أما النتائج التي في الدنيا، فهي على النحو التالي:

أولاً: رضا الله :

ولا شك أن هذه الثمرة الطيبة يتمناها كل مؤمن موحد بالله ، بل هي غايته العظمى، وهل بعد رضا الله على عبده شيء؟ روى الترمذي وابن

حبان والحاكم أن الرسول قال: **رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ.**

ثانياً: غفران الذنوب:

روى الترمذي عن ابن عمر قال: أنَّ رجلاً أتى النبي فقال: يا رسول الله: إني أصبتُ ذنبًا عظيمًا، فهل ليَ من توبة؟ فقال: **هَلْ لَكَ مِن أمٍّ؟**، قال: لا، قال: **فهل لك من خَالةٍ؟** قال: نعم، قال: **فَبِرَّها.**

ثالثاً: استجابة الدعاء:

روى مسلم كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: **يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ، هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

رابعاً: السعة في العيش والبركة في العمر:

روى أحمد أن الرسول قال: **من سره أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه.**

وروى الطبراني والحاكم أن الرسول قال: **من بر والديه، طوبى له، زاد الله ﷻ في عمره.**

خامساً: تفريج الكروب:

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر قال: سمعت الرسول قال: **انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فناء بي طالب السحر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فجئتهما به، فوجدتهما**

نائمين، فتحرجت أن أوقظهما، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فقمت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منها، وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، وكانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب النساء إلي، وتركت الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، ثم قال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجورهم، غير رجل واحد منهم، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال وارتعجت، فجاءني بعد حين، فقال لي: يا عبد الله أد لي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذ ذلك كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا من الغار يمشون.

سادساً: ثواب الحاج والمعتمر والمجاهد:

فروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ، وَإِنِّي لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ :هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ وَالِدَيْكَ؟، قَالَ: أُمِّي، قَالَ :فَاتَّقِ اللهَ فِيهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ، وَمُجَاهِدٌ، فَإِذَا دَعَتْكَ أُمُّكَ، فَاتَّقِ اللهَ وَبِرَّهَا.

سابعاً: بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله :

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله أيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا، قَالَ ابن مسعود : قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ :بِرُّ الْوَالِدَيْنِ.

أما النتائج التي تكون في الآخرة، فهي على النحو التالي:

أولاً: الوصول إلى أعلى درجات القرب من الله :

روى أحمد عن عمرو بن ميمون الأزدي لما تعجل موسى ﷺ إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه، وقال: إن هذا لكريم على ربه، فسأل ربه أن يخبره باسمه، فلم يخبره باسمه، قال:**أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة.**

ثانياً: دخول الجنة:

روى ابن ماجه والنسائي والحاكم عنْ مُعَاوِيَة بْنِ جَاهِمَة أن جاهمة جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَدْتُ الْغَزْوَ، وَجِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ :**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ :**الْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا.**

وروى الترمذي عن أبي الدرداء قال: سمعت الرسول يقول:**الْوَالِدُ أَوْسَطُ بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَحَافِظْ عَلَى الْبَابِ، أَوْ ضَيِّعْ.**

وروى أحمد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول : **نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان،** فقال لها رسول الله :**ذاك البر، كذاك البر،** وكان أبر الناس بأمه.

* * *

صلة الرحم

أسباب نعيم القبر

صلة الرحم

الحمد لله رب العالمين: هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه، وصدق الله إذ يقول:**{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [الحديد: 3].

سبحانه: يصل من يصل رحمه، ويقطع من يقطع رحمه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال المولى : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك، قالت: بلى، قال المولى : فذاك لك.**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بصلة الرحم، فقال : **{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً}** [الإسراء: 26].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً بين لنا أن صلة الرحم تكفر الذنوب، فروى الترمذي عن ابن عمر قال: أتى الرسولَ رجلٌ فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟

فقال :**هل لك من أم؟** قال الرجل: لا، قال الرسول :**فهل لك من خالة؟** قال الرجل نعم، قال الرسول :**فبرها.**

وفي نفس الوقت بين لنا الرسول أن الله لا يقبل عملَ قاطع رحم، فروى أحمد أن الرسول قال:**إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم)** فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام:

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب نعيم القبر، ألا وهو: **صلة الرحم،** انطلاقاً من قول الرسول في الحديث الذي رواه الترمذي:**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**

وروى البخاري ومسلم أن رجلاً سأل الرسول عن عمل يدخله الجنة

ويباعده عن النار، فقال الرسول :**تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم.**

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتى في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم:

الحقيقة الأولى: إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا يمكنه أن يتغلب بمفرده على مشقات الحياة وصعابها، مهما كان وضعه، ومهما كان غناه.

فالإنسان منا في حاجة دائمة إلى معين يعينه، وناصرٍ ينصره، وإنسانٍ يأخذُ بيده كلما كثرت مشاكلُ الحياة، وازدادت صعوبتها.

فإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد من المستحيل أن يعيش شخص في معزل عن الكون، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستغني عن غيره.

فالإنسان مهما بلغ فلن يستطيع أن يعيش وحده، وما سمي الإنسان إنساناً؛ إلا لأنه يأنس بغيره وغيره يأنس به، وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: 32] وفي هذا دليل على عدم استغناء الإنسان عن غيره مهما بلغ.

الحقيقة الثانية: إن أكثر الناس بك صلة في الحياة هم أقاربك ورحمك، الذين ربط الله بينك وبينهم برباط وثيق وبرباط متين.

فأقاربك هم أحق الناس بإسداء الخير، وأولاهم بالمعروف والإحسان، فقريبك أيها المسلم جزء منك وأنت جزء منه.

قريبك إذا أحسنت العلاقة بينك وبينه كما أمر الله وكما أمر الرسول يكون أول شخص يعينك إذا استعنت، ويغيثك إذا استغثت، ويلبي نداءك وقت الشدة إذا ناديت، وينهض لإزالة ما بك من أوجاع وآلام إذا توجعت أو تألمت، قريبك يحمي بيتك في الغيبة، ويثور ويغضب إذا مست كرامتك وشرفك بسوء، قريبك يحزن لحزنك ويفرح لفرحك، وصدق من قال:

فهو الصديق وإن نبا بك منزل ::: وأخوك وإن ضاقت بك الأرجاء
يرعى الجميل ولا يضن لحادث ::: عند الشدائد والرخاء سواء

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: 75]

وقال :{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً} [الأحزاب: 6].

الحقيقة الثالثة: إن صلة الرحم واجبةٌ على كل مسلم، وقطيعتَها كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وقد نقل الاتفاقَ على وجوب صلة الرحم وتحريم القطيعة القرطبي والقاضي عياض وغيرهُما.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].

وقال :{فَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم: 38].

بل كانت صلة الأرحام مفروضةً على بني إسرائيل، فقال :{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ} [البقرة: 83].

وإذا نظرنا إلى الشرع الحنيف نجد أنه اهتم بصلة الأرحام اهتماماً بالغاً، فقدم صلة الأرحام على اليتامى والمساكين وابن السبيل في الذكر والرعاية والاهتمام، فقال :{لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

وقال :{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 125].

وقال :{وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً} [الإسراء: 26].

الحقيقة الرابعة: لا يوجد عذر البتة لأي إنسان في مقاطعة أهله، ويقول: إنهم يسيئون إلي ويتمنون لي الشر، ويدبرون لي المكائد.

فالإنسان منا يستطيع أن يضم أقاربه إلى صفوفه بإحسانه وكرم أخلاقه، فإذا كان أقاربك أشراراً فكن أنت خيراً منهم، وإذا كانوا مسيئين فكن أنت محسناً، وتودد إليهم وإن تباعدوا، وعاملهم باللطف وإن جهلوا، وصل حبل المودة والسلام وإن قطعوه، فإن فعلت ذلك لانت قلوبهم وظهرت محبتهم، وزال بغضهم.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 33، 34].

ولقد أشارت السنة النبوية إلى ذلك، فروى مسلم أن رجلا جاء إلى الرسول فقال له: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسؤون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال الرسول :**إن كان كما تقول، فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك.**

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد كانت معاملته لأقاربه خير قدوة، فقد آذاه قومه، وأرادوا قتله، وبيتوا أمرهم، حتى

اضطروه إلى الخروج من وطنه ومسقط رأسه، فلما جاء نصرُ الله والفتحُ المبين، دخل الرسول مكة ظافراً منتصراً على أعدائه الذين أخرجوه من داره.

فقال لهم الرسول في رفق وحلم: **ما تظنون أني فاعل بكم؟** قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: **اذهبوا فأنتم الطلقاء** وعفا عنهم.

إخوة الإسلام:

لقد وضع الشرع الحنيف ضوابط لصلة الرحم، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الضوابط.

أولاً: أن يعلم المسلم أن صلة الرحم من أخص صفات المؤمنين: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه.**

بل إن صلة الأرحام كانت من أخص صفات سيد المرسلين ، فروى البخاري ومسلم أن السيدة خديجة قالت للرسول الله مطمئنة له، ومهدئة من روعه: **كلا، لا يخزيك اللهُ أبداً، إنك لتصل الرحم.**

ثانياً: الإخلاص لله : فعلى الإنسان منا عند صلته لأرحامه عليه أن يستصحب الإخلاص لله في كل عمل يقوم به؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

قال: **{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}** [البينة: 5].

وقال: **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}** [الأنعام: 162، 163].

أما لو انعدم الإخلاص في صلة الأرحام فتكون غير مقبولة، فيقول في الحديث القدسي الذي رواه مسلم: **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.**

ثالثاً: العفو والمسامحة: انطلاقاً من قول الله: **{وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**

[فصلت: 34].

وقال :{خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199].

ولنا في سيدنا يوسف الأسوة والقدوة الطيبة، فقد حسده إخوته وأجمعوا على أن يلقوه في غيابات الجب، فتم لهم ما أرادوا، وبيع سيدنا يوسف في السوق كما يباع الرقيق، ولقي من المحن والشدائد ما لم يتحمله إلا عباد الله المخلصين.

ثم بعد ذلك دارت الأيام دورتها، وأكرمه الله أشد الكرم، وصارت خزائنُ الأرض بيده، والناس في قحط وجوع، فذهب إليه إخوته الذين ائتمروا عليه، فأكرمهم وقال لهم كما قال المولى :{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ الله يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ الله عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: 88 - 92].

رابعاً: أن تستشعر أن أقاربك وأرحامك أولى الناس بك وأحقهم بعطفك وخيرك: قال :{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال: 75].

وروى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، أن الرسول قال:**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي القرابة ثنتان، صلة وصدقة.**

خامساً: أن تكون قدوة حسنة: وذلك في جميع أعمالك وتصرفاتك وأخلاقياتك مع جميع أقاربك وغيرهم، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، ففي صلح الحديبية عندما رفضت قريش دخول الرسول والمؤمنين مكة، وتم الصلح على أن يعودوا هذا العام ويأتون العام القادم للعمرة، أمر الرسول أصحابه أن يتحللوا، فرفضوا، فغضب الرسول ودخل خيمته، وكانت أم سلمة (رضي الله عهنا) بها، فسألته عن سبب

غضبه، فحكى لها، فقالت أرى أن تخرج بنفسك وتتحلل أنت أولاً، فإذا رأوك قد تحللت تحللوا، وبالفعل خرج الرسول وتحلل، فلما رأى الصحابة أن الرسول قد تحلل، تحللوا جميعاً.

فلا يليق بمسلم ألاّ يكون قدوة لأقاربه، فقال :**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [البقرة: 44].

ويقول :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}** [الصف: 3، 4].

سادساً: صلة الرحم وإن كانوا لا يصلون: فبعض الناس لا يصل أقاربه إلا إذا وصلوه، وهذه ليست بصلة في الحقيقة، بل هذه تعد من باب المكافأة، فالواصل ليس بالمكافيء، روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال: قال الرسول :**ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها.**

سابعاً: الالتزام بالأسلوب الحسن: وذلك يكون بالكلام الطيب، والابتسامة، والبشاشة عند لقياهم، والدعاء لهم، فالكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وطلاقة الوجه صدقة، روى ابن حبان عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ :**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ.**

واسمع معي إلى التوجيه الإلهي للرسول ، فقد حذره من القسوة في المعاملة، فقال :**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاًّ غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159].

ثامناً: الاهتمام بالمناسبات الدينية: والتي يحث عليها الدين الإسلامي وإحيائها، مثل: الأعياد، وقدوم مولود جديد، والعقيقة، والزواج، والوفاة.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على صلة الأرحام.

أولاً: صلة الأرحام سبب لصلة الله للواصل، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال المولى : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك، قالت: بلى، قال المولى : فذاك لك.**

ثانياً: صلة الأرحام من أحب الأعمال إلى الله ، روى أبو يعلى أن رجلا من خثعم سأل الرسول : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال الرسول :**الإيمان بالله** قال: ثم مه؟ قال :**صلة الأرحام** قال: ثم مه؟ قال :**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال :**الإشراك بالله** قال: قلت يا رسول الله، ثم مه؟ قال :**قطيعة الرحم** قال الرجل: ثم مه؟ قال :**الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.**

ثالثاً: صلة الرحم تشهد للواصل بالوصل يوم القيامة، فروى البخاري في الأدب والحاكم أن الرسول قال:**وكلُ رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها.**

رابعاً: صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق، روى البخاري عن أنس بن مالك أن الرسول قال:**من أحب أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأَ له في أثره، فليصل رحمه.**

ومعنى زيادة العمر، وبسط الرزق: أن يبارك الله في عمر الإنسان ورزقه، فيعمل في وقته ما لا يعمله غيره فيه.

خامساً: صلة الرحم تعجل الثواب وقطيعتها تعجل العقوبة، روى البيهقي في سننه وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم.**

سادساً: صلة الرحم تدفع ميتة السوء، روى عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند أن الرسول قال:**من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه.**

سابعاً: صلة الرحم تثمر الأموال وتعمر الديار، روى الطبراني والحاكم أن الرسول قال:**إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر الله إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم** قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال :**بصلتهم لأرحامهم.**

ثامناً: صلة الرحم سببٌ لمحبة الأهل للواصل، روى الترمذي أن الرسول قال:**إن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر.**

تاسعاً: غفران الكبائر، فروى الترمذي عن ابن عمر قال: أتى الرسولَ رجلٌ فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟

فقال :**هل لك من أم؟** قال الرجل: لا، قال الرسول :**فهل لك من خالة؟** قال الرجل نعم، قال الرسول :**فبرها.**

عاشراً: صلة الرحم تضاعف الثواب، روى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، أن الرسول قال:**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي القرابة ثنتان، صلة وصدقة.**

حادي عشر: صلة الرحم سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً سأل الرسول الله عن عمل يدخله الجنة ويبعده من النار، فقال الرسول :**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم.**

وروى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني، أن الرسول قال:**يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس قيام، تدخلوا الجنة بسلام.**

إخوة الإسلام:

إن أوامر الله وأوامر الرسول ناطقةٌ بأن صلة الرحم قربة عالية، وعمل جليل، فما بالنا وقد أعرضنا عن هذه الحقوق حتى أصبحنا نرى العداوة والبغضاء في الأغلب لا تظهر إلا بين الأقارب، ما بالنا نرى التشاحن والخصام والنزاع يظهر بين أفراد الأسرة الواحدة، نرى القتل والتدابر يظهر بين أولاد العم والخال، نرى اختلاق التهم وتدبير المكائد يحدث بين أفراد العائلة الواحدة.

ما بالنا وقد نرى قلوب الأقارب قد قست بعضها على بعض، ونرى نفوسهم قد تغيرت، ما لهم قد أعلنوا الحرب بينهم، ولعب بهم الشيطان، إنهم اتبعوا أهوائهم وخالفوا القرآن والسنة النبوية، فوقعوا في الشر، وأصابهم الخذلان، والواقع يشهد على ما أقول.

فمثلاً: عندما يغتني رجل من عائلة ما، نجده يتكبر على أهله وينكرهم، ويقاطعهم، ويتهرب منهم، فبهذا العمل الشنيع يغرس في قلوبهم بغضهم له.

مثال آخر: نجد الإنسان منا ينفق ماله في كثير من الأبواب الخارجية مفاخرة ومباهاة أمام أعين الناس، وبجانبه عم أو خال، أو قريب له، قد حطمه الفقر، ودوخه البؤس، وأمام منظره فرد من أفراد عائلته وأقاربه يتكففون الناس السؤال، أو يعيشون بين أحضان المتاعب والآلام، فيسألونه إعانة فلا يجدون منه مجيباً، وينتظرون منه عطفاً فلا يحسون منه شفقة، كأن قلبه قد من الصخر، وكأنه إن أعان قريبه قد ارتكب جرماً كبيراً، أو جني جناية تنشق لها الأرض، أو تخر لها الجبال هداً.

ألا فليسمع هؤلاء الناس الذين يفضلون الغريب على القريب إلى قول الله :**{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [الأنفال: 75].

وقال :**{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً}** [الأحزاب: 6].

وليسمع الجميع إلى قول الرسول :**دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على أهلك.**

فالواجب على كل مسلم فينا أن يعرف ما عليه من حقوق وواجبات تجاه الأهل، وأن يكون براً بهم، وأن يكون عطوفاً عليهم ورحيماً بهم، حتى لا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار، وغضب الناس فيفرحون لمصائبه وبلاياه.

إخوة الإسلام:

بعد أن علمنا النتائج المترتبة على صلة الأرحام، تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها المولى لقاطع الرحم.

أولاً: قاطع الرحم لا يدخل الجنة: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لا يدخل الجنة قاطع** قال سفيان بن عيينة أحد رواة الحديث: يعني قاطع الرحم.

وروى أحمد وابن حبان والحاكم أن الرسول قال:**ثلاثة لا يدخلون**

الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر.

ثانياً: قاطع الرحم لا يقبل عمله: فروى أحمد أن الرسول قال: **إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم.**

ثالثاً: قاطع الرحم لا تنزل عليه الرحمة، روى الأصبهاني والطبراني عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا جلوساً عند الرسول فقال: **لا يجالسنا اليوم قاطع رحم.**

فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له، قد كان بينهما بعض الشيء، فاستغفر لها، واستغفرت له، ثم عاد إلى المجلس، فقال الرسول: **إن الرحمة لا تنزل على قوم وفيهم قاطع رحم.**

رابعاً: قاطع الرحم ملعون: قال: {**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**} [محمد: 22، 23].

خامساً: قاطع الرحم يقطعه الله: روى أبو داود والترمذي أن الرسول قال: **يقول الله: أنا الله، وأنا الرحمان، خلقت الرحم بيدي، واشتققت لها اسماً من أسمائي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال المولى: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال المولى: فذاك لك.**

سادساً: تعجيل العقوبة: روى أبو داود والترمذي وابن ماجه، أن الرسول قال: **مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ، مِثْلُ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ.**

* * *

يوم الجمعة

أسـبـاب نـعيم القبـر

يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين: الذي شرفنا بالإسلام، وجعلنا ولله الحمد خير أمة أخرجت للناس، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله} [آل عمران: ١١٠].

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :{ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: ٦٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمرنا بالتفرغ التام لإقامة شعائر الجمعة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: ٩].

وبين أن التفرغ لإقامة شعائر الجمعة أفضل من الاشتغال باللهو وبالتجارة، فقال :{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ والله خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة: 11].

ثم بعد ذلك أمرنا بالسعي على الرزق بعد الانتهاء من الصلاة، فقال :{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: 10].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أصناف الناس الذين يحضرون صلاة الجمعة، فروى أحمد وأبو داود أن الرسول قال:يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو، وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو، فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا الله ، إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله يَقُولُ:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام: 160].

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **يوم الجمعة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله خصَّ أمة الرسول بعدة خصائص، لم تشاركها فيها أمة من الأمم السابقة، ومن هذه الخصائص: يوم الجمعة، ولقد فرضه الله على الأمم قبلنا، فضلوا فيه، وأعرضوا عنه، فاختار اليهود يوم السبت ليكون عيداً لهم، بحجة أن الله لما خلق الخلق تعب، وأراد أن يستريح، فاختار يوم السبت ليستريح فيه، فرد الله عليهم كذبهم، فقال:{**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**} [ق: ٣٨ - ٤٠].

وفرضه الله على النصارى، فضلوا فيه، واختاروا يوم الأحد، ليكون عيداً لهم، بحجة أن الله بدأ فيه الخلق، وفرضه الله علينا، وهدانا إليه، وجعله خصوصية من خصوصيات أمة الرسول .

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا الله لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا الله لَهُ، فَالْيَوْمُ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى.**

وليست الخصوصية مقصورة على الدنيا فحسب، بل هو من خصوصية أمة النبي في الآخرة أيضاً، فروى الطبراني في معجمه الأوسط والبيهقي عن أنس بن مالك قال: أتى جبريلُ بمرْآةٍ بيضاءَ، فيها وكْتَةٌ (الوكتة بفتح فسكون: الأثر في الشيء، كالنقطة من غير لون) إلى

النبي ، فقال النبي :**مَا هذِهِ؟**، فقَال : هذه الجمعَةُ، فُضِّلْتَ بها أنتَ وأمتَّك، فالنَّاس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير، إلا استُجيب له، وهو عندنا يوم المَزِيد، قال النبي :**يا جبريل: ما يوم المزيد؟** قال : إن ربك اتخذ في الفِرْدَوس وادياً أفْيَحَ (واسع) فيه كُثُب (التل) مِسْك، فإذا كان يوم الجمعة، أنزل الله ما شاء من ملائكته، وحوله منابرُ من نور، عليها مقاعدُ للنبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب، مكللةٍ بالياقوت والزَّبَرْجَد، عليها الشهداءُ والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكُثُب، فيقول الله لهم:**أنا ربكم، وقد صدقتكم وعدي، فاسألوني أُعْطِكم**، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول :**قد رضيتُ عنكم، ولكم عليَّ ما تمنيتم، ولَدَيَّ مَزِيدٌ**، فهم يحبون يوم الجمعة؛ لما يعطيهم فيه ربهُّم من الخير.

ولقد أخبرنا الرسول أن اليهود يحسدوننا على هذا اليوم الأغر، فروى أحمد عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: بَيْنَما أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ : **وَعَلَيْكَ**، قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ :**وَعَلَيْكَ**، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلْ السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَغَضَبُ الله إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحَيُّونَ رَسُولَ الله بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ بِهِ الله، قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ:مَهْ، **إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ، كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ، الَّتِي هَدَانَا الله لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا الله لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ.**

فالواجب على كل مسلم أن ينتهز هذا اليوم، ويقدر له قدره، ويجتهد فيه بالعبادة والذكر والدعاء، حتى ينال رضا الله ، ورضا الرسول .

الحقيقة الثانية: لقد جعل الشرع الحنيف يوم الجمعة أفضل الأيام على الإطلاق، فلقد اصطفاه الله على غيره من الأيام، وفضله على ما سواه من الأزمان، وجعله خير الأيام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم والترمذي أن

الرسول قال:**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ: يَوْمُ الْـجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ الله حَاجَةً، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا.**

وجعله الله سيد الأيام، فروى أحمد وابن ماجه أن الرسول قال: **سَيِّدُ الأَيَّامِ: يَوْمُ الْـجُمُعَةِ، فِيهِ خَمْسُ خِلالٍ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تَوَفَّى الله آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ الْعَبْدُ رَبَّهُ شَيْئًا فِيهَا إِلاَّ آتَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْثَمًا، أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلاَ سَمَاءٍ، وَلاَ أَرْضٍ، وَلاَ جِبَالٍ، وَلاَ رِيَاحٍ، وَلاَ بَحْرٍ، إِلاَّ وَهُوَ يُشْفِقُ مِنْ يَوْمِ الْـجُمُعَةِ، أَنْ تَقُومَ فِيهِ السَّاعَةُ.**

وجعله الله أفضل من يوم عيد الأضحى وعيد الفطر، فروى البيهقي أن الرسول قال:**يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها، وأعظم عند الله من يوم الفطر، ويوم الأضحى.**

الحقيقة الثالثة: للقد انفرد يوم الجمعة بعدة خصائص لم يشاركه فيها يوم غيره، وهي ما يلي:

أولاً: صلاة الجمعة:

فصلاة الجمعة من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي من أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه، سوى مجمع عرفة، ولقد أمرنا الله بالسعي إليها، والتفرغ الكامل لأدائها، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [الجمعة: ٩].

ثانياً: ساعة الإجابة:

ففي يوم الجمعة ساعة إجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله خيراً، إلا أعطاه لسائله، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِنَّ فِي الْـجُمُعَةِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ الله خَيْرًا، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.**

واختلف العلماء في تحديد هذه الساعة، فذهب فريق من الفقهاء إلى أنها وقت جلوس الإمام على المنبر، حتى تنتهي الصلاة، فروى مسلم عَنْ

أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: **هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ، إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ.**

وذهب فريق آخر من الفقهاء إلى القول: بأنها آخر ساعة بعد صلاة العصر، فروى أبو داود والنسائي والحاكم عن جابر أن الرسول قال: **يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله شيئاً، إلا آتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر.**

ثالثاً: تكفير السيئات:

فيوم الجمعة يكفر السيئات والخطايا والذنوب الذي ارتكبها المسلم طوال الأسبوع، بشرط اجتناب الكبائر، فروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه أن الرسول قال: **مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا.**

وروى مسلم أن الرسول قال: **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ.**

وروى البخاري والترمذي أن يزيد بن مريم قال: لحقني عباية بن رفاعة بن رافع، وأنا أمشي إلى الجمعة، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ الله، سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله : **مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ الله، حَرَّمَهُمَا الله عَلَى النَّارِ.**

رابعاً: خلق الله فيه آدم :

فروى مسلم والترمذي أن الرسول قال: **خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ....**

خامساً: تقوم فيه القيامة:

روى مسلم والترمذي أن الرسول قال: **... وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ.**

فالواجب على المسلم الحريص على دينه أن يغتنم فرصة هذا اليوم، ويجتهد فيه بالعبادة، حتى يكفر الله عن سيئاته، ببركة هذا اليوم الأغر.

أخـوة الإسلام:

لقد جعل الشرع الحنيف ليوم الجمعة آداباً خاصة به، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الآداب.

أولاً: الغسل:

والغسل يوم الجمعة سنة مؤكدة، كما قال جمهور الفقهاء، فروى البخاري أن الرسول قال: **إذا جاء أحدكم الجمعة، فليغتسل**.

وروى مسلم أن الرسول قال: **الْغُسْلُ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ، وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**.

ولقد بين الرسول فضل الغسل يوم الجمعة، فروى الطبراني وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن أبي قتادة قال: دخل علي أبي وأنا أغتسل يوم الجمعة، فقال: غسلك هذا من جنابة أو للجمعة؟ قلت: من جنابة، قال: أعد غسلاً آخر، إني سمعت رسول الله يقول: **من اغتسل يوم الجمعة، كان في طهارة إلى الجمعة الأخرى**.

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال: **إن الغسل يوم الجمعة، ليسل الخطايا من أصول الشعر استلالاً**.

وروى أحمد والبخاري أن الرسول قال: **لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَرُوحُ إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ الله لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ لِلْإِمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْـجُمُعَةِ الْأُخْرَى**.

ثانياً: لبس أفضل الثياب:

فعلى المسلم الذي يريد الذهاب إلى صلاة الجمعة، أن يلبس أفضل ثيابه، فروى أبو داود أن الرسول قال: **مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ، أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْـجُمُعَةِ، سِوَى ثَوْبَيْ مَهْنَتِهِ**.

والمراد بأحسن الثياب: الثياب البيض، لما رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي أن الرسول قال: **الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبِيضَ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**.

ثالثاً: الصلاة على الرسول :

فيستحب الإكثار من الصلاة على الرسول يوم الجمعة وليلته، فروى البيهقي وابن ماجه أن الرسول قال:**أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنه يوم مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الملائكة، وإن أحداً لن يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صلاتُه، حتى يَفْرُغَ منها**، قيل: وبعد الموت، قال :**وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فَنَبِيُّ الله حَيٌّ يُرْزَقُ.**

ورسول الله سيد الخلق، والجمعة سيد الأيام، فالصلاة على رسول الله في هذا اليوم مزية ليست لغيره.

وروى أحمد أن الرسول قال:**إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ.**

رابعاً: قراءة سورتي السجدة والإنسان في فجر الجمعة:

فكان من هدي الرسول يقرأ في فجر الجمعة سورة السجدة في الركعة الأولى، وسورة الإنسان في الركعة الثانية، فروى مسلم عن ابن عباس وأبو هريرة : أن الرسول كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة:**{الم * تَنزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ}**و**{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ}**.

وقد يظن ممن لا علم عنده أن المراد تخصيص فجر الجمعة بسجدة زائدة، ويسمونها بسجدة الجمعة، ويعتقد أن الإمام إذا لم يأت بها، تكون الصلاة ناقصة، وهذا وهم، وخطأ كبير.

وقد يقول قائل: لماذا كان الرسول يخصص فجر الجمعة بقراءة هاتين السورتين؟

يقول ابن تيمية: إن الرسول كان يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة؛ لأنهما تضمنتا واشتملتا على خلق آدم ، وعلى ذكر الميعاد، وحشر العباد، وكل ذلك سيحدث يوم الجمعة، فكان قراءتيهما في فجر الجمعة تذكيراً للأمة بما كان فيه، وما يكون فيه، وتكون السجدة جاءت تابعة للسورة، وليست مقصودة لذاتها.

خامساً: الدنو من الإمام:

فلقد حث الرسول على الدنو من الإمام، وحذر من التأخير، فروى البيهقي والحاكم أن الرسول قال:**احضروا الجمعة، وادنوا من الإمام، فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة، حتى إنه ليتخلف عن الجنة، وإنه لمن أهلها.**

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب قال: قال الرسول :**احْضُرُوا الذِّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَزَالُ يَتبَاعَدُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ دَخَلَهَا.**

سادساً: وجوب الإنصات:

إن الإنصات للإمام وهو يخطب الجمعة واجب على كل مصلي، فالكلام أثناء خطبة الجمعة حرام ولا يجوز، حتى ولو كان أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

والرسول حكم على الفرد الذي لم ينصت للإمام وهو يخطب بإلغاء جمعته، حتى وإن صلاها، فهي غير مقبولة، وتكون مردودة عليه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ، فَقَدْ لَغَيْتَ.**

ومعنى لغوت: ضيعت من الأجر، وقيل: بطلت فضيلة جمعتك، ويؤيد هذا المعنى ما في حديث أبي داود:**من لغا، وتخطى رقاب الناس، كانت له ظهراً.**

بل الأعجب من هذا كله: أن الرسول شبه الرجل الذي يتكلم والإمام يخطب، بالحمار الذي يحمل أسفاراً، فروى أحمد والبزار والطبراني أن الرسول قال:**مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ اَلْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَهُوَ كَمَثَلِ اَلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا.**

سابعاً: سنة الجمعة:

يعتقد كثير من الناس أن للجمعة سنة قبلية، فهذا خطأ، فالجمعة ليس لها سنة قبلية، بل يجوز للمصلي أن يصلي ما شاء من التطوع، قبل أن يصعد الإمام المنبر.

أما السنة البعدية: فهي أربعاً في المسجد، واثنتان في البيت، فروى الجماعة إلا البخاري أن الرسول قال:**إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل**

بعدها أربع ركعات.

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن ابن عمر قال: كان الرسول يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته.

أما لو دخل الفرد والإمام يخطب، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين، ويتجاوز فيهما، فروى مسلم عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ الله قَاعِدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَعَدَ سُلَيْكٌ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ :**أَرَكَعْتَ رَكْعَتَيْنِ؟**، قَالَ: لا، قَالَ:**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا.**

ثامناً: يكره إفراد صوم يوم الجمعة:

فالأولى لمن يريد أن يصوم يوم الجمعة أن يصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ، إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ، أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ.**

وروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:**إِنَّ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ، فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ، إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ.**

تاسعاً: حرمة البيع والشراء وقت الجمعة:

لقد نهى المولى عن البيع وقت الجمعة، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}** [الجمعة: ٩].

والنهي في الآية يقتضي التحريم، فأي مال يدخل في كسب المسلم بعد أذان الجمعة، كان مالاً خبيثاً وحراماً.

عاشراً: استحباب قراءة سورة الكهف:

روى البيهقي والنسائي والحاكم والدرامي أن الرسول قال:**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْـجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْـجُمُعَتَيْنِ.**

حادي عشر: التبكير إلى المسجد:

لقد رغب الشرع الحنيف في ضرورة التبكير إلى المسجد يوم الجمعة، وبين الثواب فيه، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول

قال: من اغْتَسَلَ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ غُسْلَ الْـجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَـةً، وَمَـنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّـاعَةِ الرَّابِعَـةِ، فَكَـأَنَّمَا قَـرَّبَ دَجَاجَـةً، وَمَـنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْـخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَـرَجَ الإِمَـامُ، حَضَرَـتِ الْــمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ.

وروى أحمد والترمذي والبيهقي أن الرسول قال: مَـنْ اغْتَسَـلَ يَـوْمَ الْـجُمُعَةِ وَغَسَّلَ، ثُمَّ ابْتَكَرَ، وَغَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ، ثُمَّ جَلَسَ قَرِيبًا مِنْ الْإِمَامِ، حَتَّى يُنْصِتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا عَمَلُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا.

وبين الرسول أن الملائكة يجلسون على أبواب المساجد؛ ليكتبوا الحاضرين، الأول فالأول، وهكذا، إلى أن يصعد الإمام على المنبر، فروى أحمد أن الرسول قال: تَقْعُدُ الْــمَلَائِكَةُ عَـلَى أَبْـوَابِ الْــمَسَاجِدِ يَـوْمَ الْــجُمُعَةِ، فَيَكْتُبُـونَ الْأَوَّلَ وَالثَّـانِيَ وَالثَّالِـثَ، حَتَّـى إِذَا خَـرَجَ الْإِمَـامُ، رُفِعَـتْ الصُّحُفُ.

وروى ابن خزيمة أن الرسول قال: تبعث الملائكة على أبـواب المسـجد يوم الجمعة، يكتبون مجيء الناس، فإذا خرج الإمام، طويت الصحف، ورفعـت الأقلام، فتقول الملائكة بعضهم لبعض: ما حبس فلانـاً؟ اللهـم إن كـان ضـالاً فاهده، وإن كان مريضاً فاشفه، وإن كان عائلاً فأغنه.

فانظر أخي المسلم إلى هذه الأحاديث وغيرها، التي تحثنا على التبكير إلى المسجد يوم الجمعة، وتبين لنا مدى الثواب الذي أعده الله للمسلم الذي يبكر في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة، فهل طبقنا هذه الأحاديث؟ هل كل واحد منا يجتهد في التبكير في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة؟

إن معظم الشباب وبعض الناس في هذه الأيام يتعمدون الذهاب إلى المسجد بعد انتهاء الخطيب من خطبته، أو قرب الانتهاء منها.

إننا إذا أردنا أن نعقد مقارنة بين ذهابنا إلى المساجد وإلى الذهاب إلى الأفراح، نجد أننا نتسارع ونتسابق في الذهاب مبكرين إلى الأفراح، سواءً أكنا شباباً أم شيوخاً، أم أطفالاً.

أما الذهاب إلى المساجد يوم الجمعة نجد أننا لا نهتم بالتكبير، مع أن التبكير فيه ثواب عظيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

فهل هذا تقصير من الخطباء؟ أم إهمال منا جميعاً؟ أهكذا فعل بنا الشيطان، وسيطر علي عقولنا، ومنعنا من الذهاب مبكرين إلى المساجد؟ أهكذا كرهنا الشيطان في الذهاب مبكرين إلى المساجد؟ أهكذا يكون تنفيذ أوامر الله وأوامر رسوله ؟

وفي النهاية نطمع في جنة الله ، ومن أين لنا بجنة الله ، ونحن غافلون عن تنفيذ أوامر رسول الله ، إن الجنة لن نفوز بها إلا إذا نفذنا أوامر الله ، وأوامر الرسول ووصاياه، ومن تعاليمه ووصاياه ضرورة التبكير إلى المسجد يوم الجمعة.

بل الأعجب من هذا كله: إن الرجل يكون جالساً في بيته، ولا يمنعه أي شيء من الذهاب إلى المسجد مبكراً، ومع ذلك لا يهتم بأي شيء، فكثير من الناس يعتقدون أن الجمعة عبارة عن ركعتين فقط، فلماذا هذا الإهمال؟!.

إن اليهود والمسيحيين يبكرون في الذهاب إلى كنائسهم ومعابدهم، يومي السبت والأحد، فلماذا لا نكون نحن المسلمون أفضل منهم.

بل إننا نرى بعض المحلات التجارية تكون مفتوحة، وتقوم بالبيع والشراء، ألم يعلم الجميع أن البيع باطل وحرام أثناء إقامة شعائر الجمعة، ألم يسمع أصحاب المحلات التي تفتح أثناء صلاة الجمعة إلى قول الله :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}**[الجمعة: ٩].

ألم يسمع الجميع إلى قول الله :**{قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ والله خَيْرُ الرَّازِقِينَ}** [الجمعة: 11].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على المخالفات الشرعية التي تحدث من بعض المصلين يوم الجمعة.

أولاً: تخطي رقاب الناس:

لقد حذرنا الرسول من تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، فروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ :**اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ.**

ومعنى آذيت، أي: الناس بتخطيك، ومعنى آنيت، أي: أخرت المجيء وأبطأت.

وبين النبي العقوبة المترتبة على هذا العمل الشنيع، فروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي أن الرسول قال:**مَنْ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، اتَّخَذَ لَهُ جِسْرًا إِلَى جَهَنَّمَ.**

ولكن هناك استثناء من هذا النهي: الإمام، ومن وجد فرجة في الصفوف الأمامية.

ثانياً: التهاون في صلاة الجمعة:

إن الرسول بين الأعذار التي تبيح ترك الجمعة، فروى أبو داود والبيهقي عن جابر أن رسول الله قال:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة في كل يوم جمعة، إلا مريضاً، أو مسافراً، أو امرأة، أو صبياً، أو مملوكاً.**

ولكن هناك من الناس من يتهاون في صلاة الجمعة، ويتركها بحجج واهية، وبدون عذر شرعي، ولقد حذر الرسول من التهاون في ترك الجمعة بدون عذر شرعي، وبين العقوبات المترتبة على هذا العمل الشنيع.

1- حرق البيوت: فروى مسلم والحاكم أن الرسول قال:**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ.**

2- الختم على القلب: فروى مسلم وابن ماجه أن الرسول قال: **لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ.**

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن الرسول قال:**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا، بِهَا طَبَعَ الله عَلَى قَلْبِهِ.**

وفي رواية عند أحمد:**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، طَبَعَ الله**

عَلَى قَلْبِهِ.

3- النفاق: فروى الطبراني في الكبير أن الرسول قال:**من ترك ثلاث جمعات من غير عذر، كتب من المنافقين.**

وروى البيهقي أن الرسول قال:**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ.**

4- عدم البركة: فروى البيهقي وابن ماجه أن سعيد بن المسيب عن جابر قال: سمعت رسول الله يقول على المنبر:**تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ، وَالصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، تُجْبَرُوا وَتُنْصَرُوا وَتُرْزَقُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي يَوْمِي هَذَا، فِي شَهْرِي هَذَا، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي، أَوْ بَعْدَ مَوْتِي، وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ، أَوْ جَائِرٌ، اسْتِخْفَافًا بِهَا، وجُحُودًا لَهَا، فَلَا جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَلَا بَارَكَ اللهُ فِي أَمْرِهِ، أَلَا وَلَا صَلَاةَ لَهُ، أَلَا وَلَا زَكَاةَ لَهُ، أَلَا وَلَا صِيَامَ لَهُ، أَلَا وَلَا حَجَّ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، أَلَا وَلَا يَؤُمَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، أَلَا وَلَا تَؤُمَّ امْرَأَةٌ رَجُلًا، أَلَا وَلَا يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ يَخَافَ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ.**

ثالثاً: التشبيك في المسجد:

فالتشبيك في المسجد أثناء الجمعة مكروه، روى مسلم أن الرسول قال:**إذا كان أحدكم في المسجد، فلا يشبكنَّ، فإن التشبيك من الشيطان، وإن أحدكم لا يزال في صلاة ما كان في المسجد، حتى يخرج منه.**

رابعاً: العبث حال الخطبة:

لما رواه ابن ماجه أن الرسول قال:**من مس الحصى فقد لغا.**

خامساً: القيام من مجلسه وإجلاس غيره فيه:

قال الشافعي (رحمه الله): وأكره أن يقيم غيره من مجلسه، ليجلس في موضعه صلاة الجمعة؛ لما للأول من حق السبق، ولما فيه من سوء الأدب، روى البخاري ومسلم أن النبي أنه قال:**لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه، حتى يخلفه فيه، وليقل: توسعوا وتفسحوا.**

فإن قام الرجل له مختاراً عن مجلسه من غير أمره، لم يكره له الجلوس

فيه، ويكره ذلك للقائم إلا أن يعدل لمثل مجلسه أو خير منه لقربه من الإمام.

ولو بعث رجلاً يأخذ له في الصف الأول موضعاً، لم يكره له ذلك، فقد روي عن ابن سيرين أنه كان يبعث بغلامه ليأخذ له موضعاً، فإذا جاء، جلس فيه، فلو أن رجلاً جلس في موضع، ثم أراد الانتقال منه إلى غيره يوم الجمعة، يكره له ذلك، إلا أن ينتقل إلى موضع أفضل من موضعه، أو يكون قد غلبه النعاس، فأراد الانتقال لطرد النوم عن نفسه، فلا يكره له الانتقال.

ولو أن رجلا جلس في موضع من المسجد، ثم خرج من المسجد لعارض، ثم عاد وقد سبقه غيره إلى موضعه، فالسابق إلى الموضع أحق به من العائد إليه، لكن يستحب أن يتنحى له عن الموضع، فروى مسلم والبيهقي والترمذي أن الرسول قال:**إذا قام الرجل من مجلسه، ثم عاد إليه، فهو أحق به.**

سادساً: التأخر عن الصف الأول:

فالمبادرة إلى الصف الأول لها ثواب عظيم، أعلن عنه الرسول ، فروى البخاري أن الرسول قال:**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا، ولو يعلمون لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً.**

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه أن الرسول قال:**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول.**

وللأسف الشديد نرى كثيراً من المصلين يحضرون إلى المساجد مبكرين، لكنهم يجلسون في أي مكان، أي دون الصف الأول، وهذا جهل، وعدم اتباع سنة الرسول ، ومخالفتهم ما كان عليه السلف الصالح، والزهد في الثواب.

سابعاً: الاحتباء: والاحتباء هو: أن يجلس الرجل على إليتيه رافعاً ساقيه، ضاماً ركبتيه إلى بطنه بثوبه أو يديه، فهذا منهي عنه، لما روى أبو داود عن معاذ بن جبل " أن الرسول نَهَى عَنِ الْحُبْوَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ ".

والحكمة في النهي عن الاحتباء: أنه جالب للنعاس أو النوم، كما أنه

يعرض الطهارة للنقض.

* * *

مراقبة الله

مراقبة الله ﷻ

أسباب نعيم القبر

الحمد لله رب العالمين: الذي شرفنا بالإسلام، وجعلنا ولله الحمد خير أمة أخرجت للناس، فقال :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ باللهِ}[آل عمران: ١١٠].

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ}[الحج: ٦٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أنه رقيب على كل أعمالنا، فقال :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء: 1].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن مراقبة الله أعلى مقامات الدين، فروى مسلم أن جبريل سأل الرسول عن الإحْسَانِ، فقَالَ الرسولُ :**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.**

فاللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب نعيم القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب النعيم في القبر، ألا وهو: **مراقبة الله** ، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الإنسان العاقل هو الذي يعلم أن عمره في الدنيا

محدود، وأنفاسه في هذه الدار معدودة، وعمله محسوب له أو عليه، وأن الموت نهايته، وأن القبر بيته، وأنه يوجد هناك سؤال منكر ونكير، وأن القيامة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجميع يعرض على الله للحساب، وأن هناك جنة أو نار كما يريد الواحد القهار، فما النجاة من هذه الأهوال كلها؟.

النجاة تكمن أو تتمثل في مراقبة الله ، فالسعيد من راقب الله في السر والعلانية.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال:{وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: 31-34].

وقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12].

ولذلك نجد أن لقمان الحكيم أعطى لابنه أول درس بعد توحيد الله في مراقبة الله ، فقال :{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 16].

والشقي من غفل عن مراقبة الله ، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بيضاء، فَيَجْعَلُهَا الله هَبَاءً مَنْثُورًا.

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله: صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قَالَ :أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله، انْتَهَكُوهَا.

ويؤيد هذا أيضاً قول الله :{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: **103-106**].

فالواجب على كل مسلم يريد أن يحقق السعادة في الدنيا، وينال الأجر

العظيم في الآخرة، أن يتخلق بمراقبة الله في السر والعلانية.

الحقيقة الثانية: إن الله انفرد بخصائص لا يشاركه فيها غيره، ومن هذه الخصائص التي انفرد بها: إحاطته بالكون كله.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**} [الطلاق: **12**].

فالله مطلع علينا جميعاً، ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، فقد وسع سمعه كل شيء، فهو يسمع كلَّ المسموعات، ويرى كلَّ المبصرات، وهو عليم بالموجودات والمعلومات.

اقرأ معي قول الله وهو يؤكد على هذا المعنى، فيقول:{**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**} [سبأ: 3].

وقال :{**أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**} [هود: 5].

وقال :{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [المجادلة: 7].

وقال :{**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**} [ق: 16].

كل هذا ليعلم الإنسان علم اليقين أن الله مطلع عليه في كل مكان وزمان.

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل وضع الله علينا شهوداً يشهدون على أفعالنا، ويراقبون كل تحركاتنا، حتى لا يكون للإنسان حجة على الله يوم القيامة، وذلك على النحو التالي:

الشاهد الأول: الأرض: هذه الأرض التي خلقنا منها، وفيها نعود، وعليها نمشي، ومنها نأكل، ومنّا من يطيع الله عليها، ومنّا من يعصي

الله عليها، فهي تشهد لنا أو علينا يوم القيامة، فقال: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة: 1-5].

الشاهد الثاني: الكرام الكاتبين: فقد وضع الله من الملائكة من يكتبون أعمالنا، ويسجلون لنا حسناتنا وسيئاتنا، فقال: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: 80].

وقال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: 10- 12].

وقال: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 17، 18].

الشاهد الثالث: الجوارح: فالجوارح التي أنعم الله بها الإنسان تكون شاهداً يوم القيامة على الإنسان، فقال: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: 24، 25].

وقال: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: 65].

وقال: {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: 20- 23].

الشاهد الرابع: الله: فقال: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].

فالواجب على كل إنسان أن يعلم تمام العلم أنه لا يعيش بمفرده على وجه الأرض، وأن هناك أشياءً عديدة تراقبه، وتعد عليه أعماله، حتى يراها يوم القيامة كاملة غير منقوصة، فقال: {وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى

الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: 49].

كل هذا من شأنه يجعلُ الإنسانَ مراقباً لمولاه في السر والعلانية.

الحقيقة الثالثة: ما معنى مراقبة الله ؟ مراقبة الله هي: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه، بمعنى: أن يعلم العبد أن الله مطلع عليه في السر والعلانية.

وتأمل معي حين أراد الإمام الشافعي (رحمه الله) أن يعلم تلاميذه كيفية مراقبة الله في السر والعلانية، وأراد أن يزرع فيهم هذا الأمر، فماذا فعل؟

أمر أن يحضر كل تلميذ من تلاميذه دجاجة حية، ثم يقوم بذبحها شريطة أن يكون ذلك في مكان لا يراه فيه أحد.

وفي اليوم التالي جاء كل تلميذ وقد ذبح كلُ واحد منهم دجاجته، إلا واحداً، فقد أتى بها حية لم يذبحها، فسأله الشيخ: لماذا لم تذبح الدجاجة؟ قال: لأنني لم أستطع الوفاء بالشرط، قال له: كيف ذلك؟ قال: لأنني حيثما اتجهت، وحيثما ارتحلت، وجدت أن الله مطلع عليَّ ويراني، وفي هذا يقول المولى :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7].

أخوة الإسلام:

إن الحصول على مراقبة الله في السر والعلانية ليس أمراً هيناً، بل هو بالغ الصعوبة؛ لأن هناك معوقات تعوق الإنسانَ على الحصول عليها، ومن هذه المعوقات ما يلي:

1- إبليس اللعين: فقال :{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16، 18].

2- النفس الأمارة بالسوء: فقال :{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [يوسف: 53].

3- الهوى: فقال :{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ الله أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: 23].

وقال :{فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى} [النازعات: 37-41].

ولكن هناك أمور تعين الإنسان على التخلق بمراقبة الله ، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأمور.

أولاً: معرفة الله معرفة حقيقية:

فمن هو الله؟

الله : هذا الاسم الكريم الذي يطلق على الذات المقدسة، التي نؤمن بها، ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا، وإليها مصيرنا.

الله : هو قبل كل شيء، وآخر كل شيء، وهو وارثُ كل شيء، أحاط بعلمه كل شيء، ولا يتوارى عنه شيءٌ، ولا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

الله : هو أول من شهد لنفسه بالوحدانية، فقال :{شَهِدَ الله أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [آل عمران: 18].

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به فقيرٌ إلا أغناه الله .

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به مريضٌ إلا شفاه الله وعفاه.

الله : هو الاسم الذي ما تعلق به ذليلٌ إلا أعزه الله وكفاه.

الله : هو الاسم الذي تقال به العثرات، وتستجاب به الدعوات، وتستدر به الرحمات.

الله : هو الاسم الذي به ولأجله قامت الأرض والسموات.

الله : أعلن عن نفسه فقال:{الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ

وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ} [البقرة: 255].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ الله الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [الحشر: 22-24].

الله : أعلن عن نفسه فقال:{قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ * الله الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-4].

الله : الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، روى مسلم أن الرسول قال:إِنَّ الله لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ.

الله : اسمع معي وهو يقول:{ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: 26].

فإذا ما عرف المسلم ربه معرفة حقيقة تليق بذاته المقدسة، فإنه يستطيع بكل سهولة أن يتخلق بمراقبة الله .

ويجب أن يعلم الجميع: أنه كلما ازداد الإنسان معرفة بربه ، ازداد مراقبة له في السر والعلانية، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أَمَا والله إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ.

ثانياً: أن يعرف الإنسان الحكمة من خلقه:

إن الله لم يخلق الخلق لحاجة يحتاجها منهم، ولم يخلق الخلق ليستأنس بهم من وحشة، ولم يخلق الخلق ليستكثر بهم من قله، ولم يخلق الخلق ليستعين بهم على عمل عجز عن فعله، ولم يخلق الخلق ليجلب بهم منفعة، أو يدفع بهم مضرة، بل خلق الخلق ليعبدوه وحده، ويشكروه وحده، ويقدسوه وحده، ويعظموه وحده، وليسبحوه وحده.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ

إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ الله هُوَ الـرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ} [الذاريات: 56- 58].

وروي في الحديث القدسي:**يا عبادي: ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستعين بكم على عمل عجزت عن فعله، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولكني خلقتكم كي تعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرة وأصيلاً.**

وليس معنى العبادة أن ينصرف الإنسان عن الدنيا وينقطع عنها، ويمكث في المسجد ليل نهاراً، فهذه ليست عبادة، وإنما العبادة تعني: أن يكون كل عمل تقوم به موافقاً لشرع الله ، ويكون خالصاً لوجهه الكريم.

فإذا علم الإنسان أنه خلق لعبادة الله ، استطاع أن يحقق المراقبة الكاملة لله .

ثالثاً: التقوى:

والتقوى هي: أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه، وقاية تحفظه وتمنعه.

وقال علي بن أبي طالب: هي العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

فالتقي هو من يتحقق فيه قول الله :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: 133- 136].

التقي هو من يتحقق فيه قول الله :{الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 1- 5].

ولقد أصبح كثير من الناس يفهمون التقوى فهماً ضيقاً، ويحسبونها

مجرد ركعات تصلى، وأيام تصام، ورسوم ظاهرة تؤدى، وطقوس تنظم وتقام، وكذلك تراهم مع صلاتهم وصيامهم من الحرام يعيشون، وبالربا يتعاملون، وللسرقة والغش والخيانة يفعلون، ولحقوق الناس يغتالون، وبالكذب والنفاق والرياء وخراب الذمم يتعاملون، ومع ذلك يحسبون أنهم لمجرد صلاتهم أو صيامهم متقون ناجون، ألا فليعلم هذا الصنف من الناس أنهم عن طريق النجاة حائدون، وعن سبيل الخير والفلاح ضالون، وفي شهواتهم وأهوائهم متورطون، وصدق الله إذ يقول:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: 103-106].

ليست التقوى كذلك أيها المسلم، بل التقوى عبادة ومعاملة، فالتقي يعبد الله عبادة صحيحة خالية من الرياء، بعيدة عن البدع والخرافات، لا دجل فيها ولا شعوذة، ولا تضليل، ثم بعد ذلك يعامل الناس معاملة حسنة، ومعاملة مبنية على الذمة والأمانة، وسلامة النية، وطهارة القلب، فلا يداهن، ولا يغش، ولا يخادع، ولا يمكر الناس.

ولقد أمرنا الرسول بالتقوى في كل الأحوال والظروف والمناسبات، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه:**اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.**

يعلمنا الرسول من خلال هذا الحديث أن التقوى تكون في الصلاة، وفي الصوم، وفي الزكاة، والحج، وتكون كذلك في البيع والشراء، وفي الأخذ والعطاء، وتُطلَبُ من الإنسان بالليل وبالنهار، في الصباح والمساء، في حالة الشدة والرخاء، وفي أي حالة وجد عليها الإنسان نفسه.

فالإنسان الذي يحقق التقوى، يستطيع أن يحقق مراقبة الله بكل سهولة.

رابعاً: الاتباع:

والاتباع هو: أن يجعل كل مسلم فينا الرسول قدوته؛ لقول الله : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ

الله كَثِيراً} [الأحزاب: 21].

والله فرض علينا اتباع سبيله، وما شرع من الدين القويم، فقال:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

ويقول على لسان نبيه محمد :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

فالله بين لنا أن له سبيلاً واحداً، سماه صراطاً؛ لأنه أقرب طريق إلى الحق والخير والسلام.

وروى أحمد وغيره أن الرسول خط خطاً، ثم قال:**هذا سبيل الله** ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، وقال:**هذه السبل المتفرقة، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** ثم قرأ الرسول قول الله : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

فالواجب علينا جميعاً أن نتبعَ كلَ ما جاء به الرسولُ في جميع أقواله وأفعاله، والتأسي به في سائر أحواله، قال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: 7].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**دعوني ما تركتكم عليه، فإنما أهلكَ من كان قبلكم: سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم.**

وإن الاتباع لما جاء به الرسول يجب أن يكون في كل مجالات الحياة، من عبادة، وشريعة، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، فالاتباع في كل مجالات الحياة أمر محتم علينا، وليس لنا فيه أيُّ خيارٍ، فقال :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً} [الأحزاب: 36].

خامساً: طاعة الله :

والطاعة هي: فعل المأمورات، وترك المنهيات، أو بمعنى آخر: أن يحقق الإنسان منهج افعل ولا تفعل، قال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: 7].

وقال ﷻ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 208].

قال ابن عباس : "يعني الطاعة".

وروى البخاري ومسلم: أن أعرابياً جاء إلى الرسول فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة، قال الرسول :تعبدُ اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصومُ رمضان.

قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى، قال الرسول :من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا.

ولقد أمرنا الله بالطاعة له ولرسوله ، فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 33].

وقال :{فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: 16].

وعندما أمر الله المؤمنين بالتثبت عند لقاء العدو، أمرهم بالطاعة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 45، 46].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59].

فطاعة الله تعين الإنسان على التخلق بمراقبة الله في السر والعلانية.

سادساً: الرفقة الطيبة:

فالرجل على دين خليله، وإن الصاحب ساحب، فإما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله ، وإما أن يأخذ بيدك إلى غضب المنتقم الجبار.

فابحث عن العلماء العاملين، والدعاة المؤمنين، والزم غرسهم، فإنهم

سيأخذون بيديك إلى مرضاة الله ، فروى أحمد والحاكم أن الرسول قال:**الْـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ.**

وفي رواية:**إلى من يخالل.**

وروى أبو داود والترمذي أن الرسول قال:**لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ.**

فعلى المسلم أن يحذر كل الحذر من الرفقة السيئة؛ لأنها تعين الإنسان على المعصية، فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، ولقد حذرنا الشرع الحنيف من الرفقة السيئة، فقال :**{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}** [الفرقان: 27-29].

فالرفقة الطيبة من شأنها تعين الإنسان على مراقبة الله .

سابعاً: عدم إطاعة الكافرين والمنافقين:

فالله نهانا عن إطاعة الكافرين والمنافقين، وحذرنا منها؛ لأنهم لا يأمرون إلا بالشر، فقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [آل عمران: 100، 101].

وقال :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}** [آل عمران: 149، 150].

ولقد نهى الله نبيه محمداً عن إطاعة الكافرين والمنافقين، فقال : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بالله وَكِيلاً}** [الأحزاب: 1-3].

ولقد حذر الله نبيه محمداً من اليهود والنصارى ومن اتباعه لهما، فقال :**{وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ**

هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [البقرة: 120].

وقال :{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 145].

وقال :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة: 49].

فطاعة الكافرين والمنافقين تبعد الإنسان عن منهج الله ، وتجعلها لا يستطيع أن يحقق مراقبته .

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج من سلفنا الصالح لنتعلم كيف نحقق المراقبة لله :

النموذج الأول: جاء في أسد الغابة لابن الأثير: بينما عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين - من الإبل- وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح.

ثم دنا الرجل فقال لعبده: انظر من هذا، فنظر، فقال: أرى رجلاً مُعْتَمّاً بردائه يسوق بكرين، ثم دنا الرجل، فقال: انظر، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان بن عفان ، فأخرج رأسه من الباب، فإذا نفح السموم فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال : بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين هلمَّ إلى الماء والظل ونكفيك، فقال عمر بن الخطاب : عد إلى ظلك، فقال عثمان بن عفان : عندنا من يكفيك!

فقال عمر بن الخطاب : عد إلى ظلك، فمضى.

فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين، فلينظر إلى هذا!.

النموذج الثاني: يقول عبد الله بن دينار خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرَّسْنا - نزلنا للراحة- ببعض الطريق، فانحدر إلينا راعٌ من الجبل، فقال له ابن عمر : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذه الأغنام، فقال الرجل: أنا مملوك، فقال له ابن عمر : قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: إن قلت ذلك لسيدي وصدقني، فأين الله؟ ماذا أقول لله ؟ فبكى ابن عمر ، وذهب إلى سيد الراعي فاشترى منه الأغنام، واشترى العبد وأعتقه، وأهدى له قطيع الأغنام.

النموذج الثالث: روي أن عمر بن الخطاب مرَّ بامرأة تغيَّبَ عنها زوجُها منذ شهور في الجهاد في سبيل الله ، قد تغيبت في ظلمات ثلاث، في ظلمة الغربةِ والبعد عن زوجها، وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة قعر بيتها، وإذا بها تنشد وتقول وتحكي مأساتها:

تطاول هـذا الليـل وازور جانبـه ::: وأرقـني أن لا حبيـب ألاعبـه

فـو الله لـولا الله لا رب غيـره ::: لحرك من هذا السـريري جوانبـه

مخافـة ربي، والحيـاء يصـدني ::: وأكـرم بعلي أن تنـال ركائبـه

وتبين لعمر بن الخطاب أن زوجها مجند في أحد جيوشه، وعند الصباح ذهب إلى ابنته حفصة (رضي الله عنها) ويسألها: يا حفصة: كم تصبر المرأة عن زوجها؟

فيجيبه حفصة (رضي الله عنها): تصبر شهراً، وشهرين، وثلاثة، وينفذ مع الشهر الرابع صبرها.

فيسن عمر من فوره قانوناً بألا يغيب في الجهاد جندي متزوج أكثر من أربعة أشهر، فيرسل إلى زوج السيدة يستدعيه من فوره.

النمـوذج الرابـع: أصدر عمر بن الخطاب قانوناً يمنع غش اللبن، بخلطه بالماء، وذات ليلة خرج عمر بالليل يتفقد أحوال الرعية، فإذا بامرأة تريد أن تخلط اللبن بالماء، طمعاً في زيادة الربح، فذكَّرتها ابنتها بأمر عمر بن الخطاب ، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ فتقول

البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا.

فما كان من عمر الذي سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله ، إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإني لأرجو الله أن يخرج من أصلابها رجلاً يوحد الله به كلمة المسلمين.

فقد تزوجها عاصم ، فأنجبت له بنتاً تسمى ليلى، وكنّيت بأم عاصم، ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي قاد المسلمين إلى كل خير.

فهذا ما كان عليه السلف الصالح، أما اليوم فقد تغيرت الأحوال، وانعكست المفاهيم، وقلَّ الخوف من الله ، وضعفت مراقبة الله في نفوس الناس.

فأين الذين استهانوا بعقيدة التوحيد؟ وأفسدوا في الأرض بالبدع والخرافات بعد إصلاحها بالإيمان؟ أين هم من مراقبة الله ؟

أين الذين يراءون في أعمالهم، ويداهنون بأقوالهم وأفعالهم، ويتبعون رضا الناس ورغباتهم، أين هم من مراقبة الله القائل:**{أَتَخْشَوْنَهُمْ فالله أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [التوبة: **13**].

أين الذين أطلقوا ألسنتهم في الحرام، ويتكلمون بالغيبة والنميمة والكذب والسب من قول الرسول :**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**.

أين الذين أطلقوا فروجهم وأيديهم وأرجلهم وآذانهم وجعلوها تواقع الحرام؟ أين هم من قول الله :**{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحَقُّ المُبِينُ}** [النور: 24، 25].

وقال :**{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** [يس: 65].

وقال :**{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا الله الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ**

سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ} [فصلت: 20- 23].

أين الشباب المنغمس في أوحال الرذائل والمنكرات؟ فلا يعرفون الجماعات ولا يؤدون الصلاة؟ أين هم من مراقبة الله ؟

لقد أغرهم ما هم فيه من صحة وقوة، ونسوا أن الموت يأتي بغتة، فلا يفرق بين كبير وصغير، ولا بين صحيح وسقيم.

أين النساء اللاتي سرنَّ في ركاب الجاهلية الأولى؟ فلا يبالين بتعاليم الدين الحنيف، بل اتبعن أهوائهن، فوقعن فيما حرم الله .

أين المجتمع كله من مراقبة الله ؟ أنسي الجميع قول الله :{أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين: 4-6].

فالكل سيقف أمام الله ، كما قال:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على النتائج المترتبة على مراقبة الله ، فهناك نتائج دنيوية، ونتائج أخروية، أما النتائج الدنيوية فعلى النحو التالي:

أولاً: ترك المعاصي:

فمراقبة الله في السر والعلانية من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، فقال :{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ} [آل عمران: 135، 136].

ثانياً: جلب الخير للأمة:

فمراقبة الله تحيي القلوب الميتة، وتوقظ الضمائر النائمة، وتجعل من

الإنسان نموذجاً فريداً، يندر وجوده بين البشر، فهو لا يخطو خطوة واحدة إلا ويسأل نفسه: هل هذا العمل يرضي الله أم لا؟

وإذا راقب كل فرد منا الله ، فإن الأمة بأسرها تعيش في مأمن من كل سوء، ويسوق الله الخير لها، ويحجب عنها كل شر، فقال :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: 96].

ثالثاً: اعتراف المؤمن بجريمته:

إن مراقبة الله تجعل المسلم الذي ارتكب أي جريمة أن يعترف على نفسه حتى يطهر نفسه من هذا الذنب الذي ارتكبه، فإذا كان الناس يبحثون دائماً عن ثغرات في القانون - وما أكثرها، لأنه ليس من عند الله - فيحاولون الهروب من زمام العقوبة على جرائم قد ارتكبوها.

أما إذا نظرنا إلى ما يفرضه قانون الإيمان على الفرد، فإن إيمانه يفرض عليه مراقبة الله في السر والعلن، فإذا وقع في الجريمة وجد الإيمان يقوده إلى أن يعترف على نفسه، ويطلب القصاص من نفسه، حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه، ورجاء أن يكون ذلك كفارة له عن ذنبه وشفيعاً له إلى ربه، ولا يخشى في ذلك أن تقطع يده، أو أن يرجم، أو أن يجلد.

روى مسلم وغيره أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَتَاهُ أَيْضًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ:**أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا؟ تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟**، فَقَالُوا: لاَ نَعْلَمُهُ إِلاَّ وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، قَالَ: فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ، وَلاَ بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةُ، حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

ثم جَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله: إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله: لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَ الله إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ :**إِمَّا لاَ فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي**، فَلَمَّا وَلَدَتْ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ،

قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ :**اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ، حَتَّى تَفْطِمِيهِ**، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ :**مَهْلاً يَا خَالِدُ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.

رابعاً: الأكل الحلال:

فالمؤمن يعلم تماماً انه سيسأل عن ماله، من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ فروى الترمذي أن الرسول قال:**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن أربع**، - وذكر منهم- **وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**.

فمراقبة الله تجعله لا يأكل إلا الحلال، وتجعله ينأى بنفسه عن مواطن الشبهات، فلا يأكل إلى الحلال، ولا يدخل في بيته إلا الحلال.

روى البخاري عنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْهَا) قَالَتْ: كَانَ لأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ.

خامساً: إشاعة العدل:

إن مراقبة الله توقظ ضمير المؤمن، فتجعله يخاف أن يأتي يوم القيامة مفلساً من كثرة المظالم، فتجده يقتص من نفسه خوفاً من أن يلقى الله وعليه مظلمة لأحد من الناس، فروى الطبراني في الأوسط والكبير والبزار وعبد الرزاق عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ : أَنّ النَّبِيَّ خَطَبَهُمْ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي خُفُوقٌ**

مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي، وَمَنْ ضَرَبْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي، ثُمَّ قَالَ:الْـحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ.

وفي عام المجاعة كان عمر بن الخطاب لا يأكل إلا الخبز والزيت، حتى اسود جلده، فيكلمه بعض الصحابة في ذلك، فيقول: بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع.

سادساً: جعل الضمير حياً يقظاً:

فمراقبة الله تجعل ضمير المسلم حياً يقظاً دائماً، فتجده يحاسب نفسه أولاً بأول، ماذا عملت، ولماذا عملت؟ وكيف عملت؟ فهو قاض على نفسه، يصدر حكماً سريعاً على نفسه بالمثوبة أو العقوبة، فقال :**{وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: 2].

قال الحسن البصري في هذه الآية: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشريتي؟ والفاجر يمضي قُدماً لا يعاتب نفسه.

سابعاً: تزكية النفس:

إن الله جعل تزكية النفس إحدى المهمات التي من أجلها بعث رسوله ، فقال :**{لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}** [آل عمران: 164].

وأقسم الله أحد عشر قسماً على حقيقة واحدة هي قوله :**{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}** [الشمس: 9، 10].

فمراقبة الله أقرب طريق لتزكية النفس، فروى أبو داود أن الرسول قال:**ثَلاَثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ، فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ الله وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ...** .

وفي رواية البيهقي:**وزكىَّ نفسه**، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال :**يعلم أن الله معه حيث ما كان.**

ثامناً: تفريج الكروب:

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر قال: سمعت الرسول قال:انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم،...... وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، وكانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب النساء إلي، وتركت الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها....

أما النتائج الأخروية فمنها ما يلي:

أولاً: الأجر العظيم:

قال :{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12].

ثانياً: النجاة:

فروى البيهقي أن الرسول قال:ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى و الفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب.

ثالثاً: ظلال عرش الرحمن:

روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

رابعاً: الجنة: وليست جنة واحدة، بل جنتان، فقال : {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: 46]. قال مجاهد في تفسير هذه الآية : هو الرجل يخلو بمعصية الله ، فيذكر مقام الله ، فيدعها فرقا من الله .

* * *

الفهرس

* * *